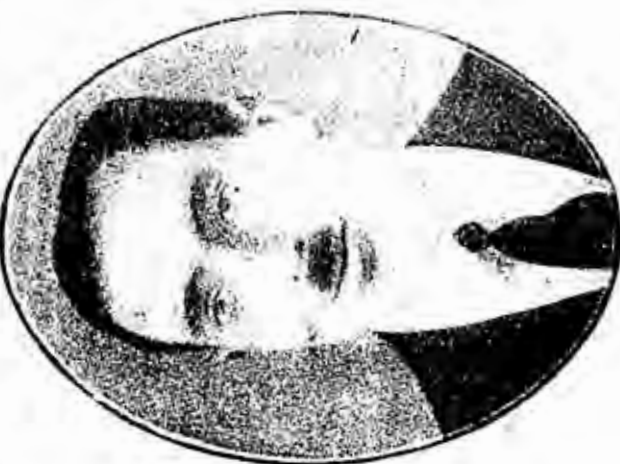




المغفور له

الملك فيصل الاول



الدكتور هيشكل بك



الأستاذ إبراهيم اللزني



الدكتور طه حسين

راجع مقال

تعريف أدباء مصر إلى الدكتور هيشكل

المنشور في هذا الجزء



السيدة « آني يترانت »

(اقرأ مقالاً عنها في هذا الجزء)



الأستاذ عباس محمود العقاد

(اقرأ حديث تعريف أدباء مصر إلى الأقطار العربية)



الأستاذ محمد الهراوي

الجزءان : ٦٥٥

السنة الثالثة

المعرفة

سبتمبر وأكتوبر ١٩٣٣

جداى الأولى والثانية ١٣٥٢

مجلة — شهرية — جامعة

[مقررة في وزارة المعارف العمومية]

لصاحبها ونشرها ومحررها المسئول

عبد العزيز الأسدي

الخامس

شعارها : اعرف نفسك بنفسك

المجلد

خراطير المحرر

فيصل الأول

أحقاً مات فيصل؟ وصدفاً قضى عامل العراق؟ إذن فقد تجاوزت الفجيعة مسالك العراق، وأخذت تمضي كالرابعة العاصفة إلى مسالك الشرق كله. وأولئك الذين كانوا يستظلون بالروح السامية الفياضة التي انطوت عليها شخصية الملاك الفقيد العظيم «فيصل». وأولئك الذين استروحوا في ظله أجزل نديجات الحرب، وأوفر ما ينطلق معها من عبير، وأولئك الذين شهدوا فيه المثل الأعلى لحياتهم الضاربة إلى سدة الجبد، الداعية إلى استعادة السؤدد العربي الدابر، أولئك جميعاً قد سحوا سخين الدمع، وسكبوا قلوبهم حشرات حين فاجأهم الناعي بقوله إن «فيصل» قد ذهب إلى طريق الخلود، وإن اسمه قد عيأت له الأقدار صفحته من كتاب التاريخ العربي الضخم المقعم بأروع الجلائل، وأجل الذكريات.

وما والله يعز الدمع على واحد شبيه «فيصل»، أو يكون صورة من هذه الخصائص التي حركت الدنيا في نشاط ودأب، ليعلم العالم أجمع أن العراق قد آلى على نفسه أن يستبق خطوات الأمم في سبيل الحياة المكفولة السعادة. وما والله يهون الدمع على أحد إلا أن يكون واحداً من أولئك الذين لا يطيعون الحياة على هامة شعب منقف موفور الدراية.

ونحمد الله أن الشرق كله قد افتقد أولئك الملوك القساة الغلاظ الشداد ، وأن الأقدار قد أتاحت له القادة الذين يبسطون على سمائهم ظلاً من الرحمة ، وظلاماً من العدالة ، وظلاماً من الحياة المشرقة . ومن هؤلاء كان « فيصل » ، الذي تألفت في سماء العراق أضواءه ، فكانت تهدي شعبه في الساعات العصية العصبية إلى مواقف الحكمة والسادات ، وكانت تأخذ به راضية مغتبطة إلى طريق المجد . وما نشك في أن تاريخ الملك الراحل سيكون منار المؤرخين جيلاً بعد جيل ، ففيه شعب ذات شعب ، وأغصان ذات أفنان ، ولكننا نريد أن نذكر بالخير هذه الميزة الباقية التي لم يدركها النجاح المنشود ، والتي ألقاها نخبتنا الداوية إلى مصير لاندري من أمره شيئاً .

ونعني بهذه الميزة « دعوته » - رحمه الله - إلى « الوحدة العربية » في كثير من الحواس : وفي كثير من الأمل ، حتى لقد كانت تشغله عن نفسه ، ولقد كانت باكورة أعماله بعد أن تجاوز بسقينة العراق أنواء البحر المهلكة وبلغ بها شاطئ النجاة ، ولقد ذهب من الدعوة إليها مذاهب أخلص المصلحين في الدعوة لألصق مبادئه بوجدانه ونفسه ، وكانت صراحته الغالبة على كل طبيعة فيه تضع أمامه كثيراً من العقبات : ولكنه مع ذلك لم يبخل على هذه العقبات بالجرأة الكافية لإزهاقها وإحالتها إلى أشتات شقية لا روح فيها ولا حياة .

إن هذه الدعوة الواسعة للوحدة العربية قد أتاحت للفقيد العظيم أن يكون الشخصية البارزة في أرجاء الجزيرة ، وقد مكنت له أن يكون رجل الساعة حين تعصف الأمور بالمعطاء ، وحين تضيق منهم الصدور . ويشهد الله أنه لم يكن الرجل الساع إلى غير الخير ، ولم يكن الرجل الداع إلى تناهد أو خصام ، وإنما كانت نفسه جياشة بأعظم معاني الخير ، لا لشعبه وحده ، وإنما للشعوب العربية جميعاً .

وإن مصر التي كانت آخر بلد إسلامي . شهد الفقيد العظيم في آخر أيامه حين سفره الأخير إلى أوروبا ، لتحشد في قلوب بنيها أفواج من الحزن والألم والحسرة والقطوب ، هي في تفصيلها وفي جلته مشاركة فياضة لمواطن العراق الشقيق الحزون .

وإن العروبة التي غمرها الفقيد العظيم بتجليل عطفه لتبكي فيه الرجل الذي سعى إلى تزويدها بالحياة والمجد . وإن مصر العربية ، وإن العروبة التي تكون القومية الواسعة لمن ينطق الضاد ، لتبكيان الفقيد العظيم ، وتقفان في الوقت نفسه موقف الأمل في خليفته « غازي » ، وهما يعلمان أنه غرس هذه اليد التي جلت صنائعها على أذهان العادين والحاسبين .

ها ترجوان له عزاء عن خبيثته ، وتوفيق في قيادته ، وسداداً في خطواته ، وهناءة في حياته ، وعهداً طويل الأمد . باقي الأثر ، حافلاً بأشهاد من أعمال والده العظيم . .

مات فيصل الأول . فليحيى غازي الأول .

تعريف أدباء مصر

إلى الأقطار العربية

للأستاذ محمد الهرأوى

كانت رحلة صديقنا الفاضل الأستاذ الهرأوى إلى الأقطار الشقيقة : سوريا ولبنان وفلسطين، بمثابة سفارة أدبية رائعة، كما كانت وصلاً للعلاقات التي تأثرت أخيراً بموت شاعري مصر العظمين : شوقي وحافظ ؛ فجاءت هذه الرحلة موفقة موثقة روابط الإخاء الأدبي ، وفرصة طيبة لرفع صوت الأدب في صخب السياسة ، وزعازع الجو المادى ، الذى عصفت أمواجه بكل شئ ، وطفى سيله على ما عداه من شئون الحياة .

على أن الرحلة لم تقتصر على تبادل التحايا الأدبية بين الشاعر وأدباء تلك الأقطار ، بل تعدتها إلى تناول فنون شتى من النواحي الاجتماعية ، وضروب متعددة من ألوان الأحاديث العامة في الشؤون الأدبية ؛ ومن أهم تلك الأحاديث : توجيه صنوف من اللوم ، ورشاش من العتاب إلى مصر ، لتجاهلها شعراء الأقطار الشقيقة وأدبائها ؛ بقدر اهتمام جيراننا بأدبائنا وشعرائنا .

وفد عقد الأستاذ صاحب مجلة « العاصفة » - التى تصدر فى بيروت - حديثاً جامعاً مع الأستاذ الهرأوى ، بدد فيه الثانى أثر اللوم والعتاب ، وقام بتعريف أدبائنا جميعاً إلى جيراننا . ونشرت « العاصفة » ذلك التعريف فى مقالين متتابعين ، الأول بتاريخ ١٣ أغسطس سنة ١٩٣٣ ، والثانى بتاريخ ٢ أغسطس سنة ١٩٣٣ .

ولما كانت « المعرفة » يسرها أن تحتفل بهذا النقد النزيه ، شاكراً لأدباء الأقطار الشقيقة عنايتهم بهذا الموضوع ؛ فقد رأت أن تنشر هذين المقالين ، على أن تقوم بنصيحتها فى ذلك : من تعريف أدباء الأقطار الشقيقة إلى مصر .

قالت مجلة « العاصفة » الغراء :

« مصر تجهلنا ونحن نعرفها بأسماء أعلامها فرداً فرداً ، وبأسماء مدنها وقراها مدينة مدينة وقرية قرية ، وبأسماء شوارعها شارعاً شارعاً ، فلا ينبغ فيها ذو موهبة وعلم ألا نكون قد تناقلنا اسمه وتحدثنا عن أدبه وحكمنا حكماً عليه . وأحكامنا على نوابغ مصر طامخه بالأعجاب بإخواننا المصريين ، حتى كأننا قطعة من ذلك البلد المالك منا القلوب والشاخصة إليه الأبصار .

والغريب أن هذه العواطف المتقدمة في أفئدتنا نحو مصر لا تتقد في قلوب المصريين نحونا. وإذا هي انتقدت فإن نارها تكاد تكون ضئيلة جداً؛ فالمصريون في شغل بأنفسهم عنا. وربما كان أدباؤنا بأجمعهم مجهولين في مصر؛ فالمصري يعرف أن هناك براً يقال له بر الشام، وأن في بر الشام جبال لبنان وقلعة بعلبك ومدينة حلب ومدينة دمشق؛ ولكنه لا يكاد يذكر أحداً من شعرائه ولا من كتابه، وإذا ذكر قال: هناك جريدة تدعى بهذا الاسم وجريدة بهذا الاسم الآخر، ووقف فيما يتذكره عند هذا الحد.

ولا ندرى الباعث على هذا الإهمال في أفئدة المصريين، فكأنه لا رابطة بيننا وبينهم، وكأن لا صلة تجمع بين أدبائنا وأدبائهم، مع أن اللغة العربية هي الجامعة الكبرى، ومع أن مصر على مسافة قريبة من لبنان وسوريا، فما هي إلا بضعة عشرة ساعة حتى يتصل اللبناني والسوري بمصر، ويتصل المصري بسوريا ولبنان. وعندنا أن التعارف بين أدباء القطرين لا بد منه، ونرى أن تتولى إحدى الصحف المعروفة في وادي النيل هذا التعارف، فتنتشر الأحاديث عن أدباء سوريا ولبنان، كما تنتشر الأحاديث عن أدباء القطر المصري. فمن الواجب ألا يكون أبناء الأقطار العربية غرباء بعضهم عن بعض، بل من الواجب ألا يكون أدباء اللغة العربية غرباء بعضهم عن بعض؛ فالأدب هو أعظم صلة تربط شعباً بشعب وقطراً بقطر.

تقول هذا في صدد حديثنا عن الشاعر المصري الفحل الأستاذ محمد المراهوي. فالأستاذ المراهوي - وهو من شعراء البلاد العربية اللامعين، ومن أوتوا قوة وموهبة في السبك والنظم - يرى من الضرورة أن تكون هناك جريدة أشبه بهيئة الوصل بين مصر وسائر الأقطار الناطقة بالضاد؛ فينتقل إلى المصريين آثار الأدباء في الأقطار العربية الأخرى، وتعرفهم إلى أدباء مصر؛ ونحن نرى أن على كل جريدة مصرية أن تخصص بعض حقولها بأخبار أدباء اللغة العربية غير المصريين.

وقدود الأستاذ المراهوي أن تكون هناك سفارة أدبية في كل قطر من الأقطار يلجأ إليها الأديب فترشده إلى إخوانه ورفاقه وزملائه؛ ونحن نشاطر هذا الرأي مع كل ما يترأى في تحقيقه من المشقة والعناء.

رأي المراهوي في الأدب:

ولا عجب ونحن نجلس إلى الأستاذ المراهوي إذا حدثناه عن الأدب؛ لا عجب إذا سألناه عن حالة الأدب في وادي النيل، وعن رأيه في الأدب العربي الجديد. والأستاذ المراهوي - وهو من المتعصبين لهذا الأدب العربي، ومن الراغبين في رفع مستواه - أفاض في الحديث وأفاد. وقد لاح لنا منه أنه راض كل الرضا عن حالة الأدب في الزمن الحاضر، وأنه كثير التفاؤل بالمستقبل؛ وعنده أن نهضة اليوم قاعدة وطيدة لنهضة أسمى سيرفع لواءها الجيل الجديد.

قال يبدى رأيه فى نهضة اليوم : « الأدب المصرى الحديث بخير ، ودائماً بخير ، وما هو غير حلقة فى تلك السلسلة التى يتألف منها الأدب العربى فى الأقطار العربية جمعاء . وعندى أن الأدب المصرى اليوم أشبه بالأدب العباسى يوم ازدهار الآداب فى بغداد ؛ وهذه العناصر الجديدة التى تفجى بها الغرب تساعده على النمو ؛ إذا عرف كيف يحافظ على أساوبه العربى المتين .

« وقد تقول لى : لماذا أقول الأدب المصرى ؟ وقد تسألنى : أليكون هناك أدب لبنانى وأدب سورى وأدب حجازى وأدب عراقى ؟ وجوابى : أن الأدب العربى واحد فى كل قطر من الأقطار العربية ؛ وكل ما هناك من فرق فيه ، ذلك الطابع الحلى ؛ فإن ابن لبنان يتغنى بلبنان وابن العراق بالعراق وابن مصر بمصر .

« والشعر - وهو موضع العناية عندى - يرتفع اليوم إلى مستوى يبعث على الرضا ؛ ولا يخفى على أحد أن الشعر كان بالأمس أشبه بالأنشودة تنتقل من فم إلى فم ، ومن لسان إلى لسان ، من الملك إلى سائى الأظمان ، فالجميع كانوا يحفظونه ، أما اليوم فلا يعنى به غير أصحاب الموهبة فيه ، وعندى أن هؤلاء ذوو فضل على الشعر ، فلولاهم لضاع هذا الفن الجليل .

« ومن سوء الحظ أنك لا تكاد تجد أديباً ولا شاعراً منقطعاً إلى خدمة الأدب وحده ، فالأدب لا يطعم - لسوء الحظ - خبزاً ، لذلك يضطر من يميل إليه إلى البحث عن عمل آخر يرتزق منه ! . . . »

مضى ينظم ؟

والاستاذ الهرأوى رئيس حسابات دار الكتب المصرية : فهو شاعر ويشغل بالحسابات ؛ ولقد تعجبنا إياه - وهو من عشاق القريض - كيف يجيد الحساب ويجمع بين الضدين : فالشاعر وإن يكن يصرف مالا ينصرف ، لا يحسن شيئاً مما يقال له علم الحساب .

ولكن الأستاذ الهرأوى مضطر إلى العمل ، فالأدب لا يغنيه عن السعى إلى كسب الرزق ، وهذا العمل لا يمنعه من الانصراف إلى النظم فى أى ساعة أراد .

قلنا : كيف تنظم ؟ فقال : أنظم كلما بدا لى فراغ ، وكلما شعرت بميل إلى النظم ، وأنا لا أقعد للنظم ، ولا أعقد له جلسة خاصة ، ولكنها خواطر تتوارد على فائتها .

آثاره الأدبية :

قلنا : هل من ديوان شعر لك ؟

قال : لدى من الشعر ما يكفى ديوانين ، على أنى لم أجمعه ؛ وكل ما جمعت كتب صغيرة للأطفال .

تقرأ في المعاهد؛ وهي تنطوي على أناشيد في الأخلاق تقال في البيت والشارع والمدرسة،
وتصف الأسرة والمخترعات الحديثة وأدب الطفولة، وهي مسبوكة في قالب عربي صميم.

رأيه في التفاضل :

رأى الأستاذ الهراوي ألا يكون هناك تفاضل في الأدب؛ فالشعر هو الشعر، ولكل
فيه رأيه، والشعراء في اعتقاده يختلف بعضهم عن بعض في اللون، فقد يكون هذا لونه أبيض،
وذلك لونه أسود، والآخر لونه أحمر، وعلى الناس أن يختاروا اللون الذي يتفق وأذواقهم.
ومع كل مافي هذا الرأي من مجال وسيع للأخذ والرد، فإننا ننبته للأستاذ الهراوي كما
أعلنه وصرح به، على أننا - وهو صاحب هذا الرأي - وجدنا مشقة عظيمة في استدراجه إلى
الكلام على المنشئين المصريين أمثال: طه حسين وهيكمل والعقاد والمازني.

رأيه في طه حسين :

قال يحدثنا عن طه حسين: «طه حسين رجل عظيم له أنصار ومحبون، ولكن له آراء ربما
لا أتفق وإياه فيها، وهذا لا يمنعني من تقدير فضله على الأدب. وأسلوبه واضح جلي، ولكنه
مطول لا يسعف القارئ المستعجل. والرجل مفكر لا يبالي أن يكون رأيه مخالفاً في أحيان كثيرة
للآراء الأخرى».

رأيه في الدكتور هيكمل :

وقال عن الدكتور هيكمل: «إنه لا يختلف عن الدكتور طه، فهو مفكر وكاتب لبق، وله أسلوب
خاص وآراء قيمة؛ على أن هذه الآراء لا تتفق أيضاً وآراء الكثيرين. وهذا مما لا يمنع
احترامه، وقد يتفق والدكتور طه في موضوعات كثيرة، وقد يختلفان في موضوعات كثيرة،
وهما الآن على خلاف!»

والعقاد ؟

قلنا: والأستاذ عباس محمود العقاد؟ قال: «هو مفكر قدير، ومعتد برأيه، وديوانه الأخير
«وحى الأربعين» يحترم من حيث التفكير، جيد من حيث النظم، وإذا كان هناك من لا يعجبه
نظم العقاد، فإن هذا مرجعه إلى الذوق. وشعر العقاد كشعر لا يعاب!»

والمازني ؟

قلنا: والمازني؟ قال: «إنه لكاتب لبق وشاعر مبدع، إذا قعد للشعر؛ ولكنه يريد في الشعر
سمواً ربما لم يخلقه الله، وربما كان شعره لا يعجبه!»

وسألنا الأستاذ الهراوي عن رأيه في شعراء هذه البلاد، فوقف لا يبدى رأياً، قائلاً إنه معجب بهم جميعاً، ولكن ذاكرته لا تحفظ الأسماء.

ونحن مع كل ما أشعر به من خيبة حين نسمع هذا الرأي، نرى أن يقيم أدباء البلاد حفلة تذكارية للشاعر الفحل، كي يتذكر - على الأقل - الذين يقولون كلمتهم فيه. وإن يكن نصيبنا من أدباء مصر الإهمال، فلنبذل كل ما في وسعنا كي نثبت لهم وجودنا بما نخلقه من آثار أدبية، وبما نظهره لهم من صداقة ومودة.

ونريد منهم أن يدركوا أن الأدباء إخوان، وأن الأدباء المصريين ليس من مصالحهم أن يغمضوا عيونهم عن أدباء الأقطار الأخرى، فالأدب أسرة واحدة يجب أن يتعارف أفرادها سواء أ كانوا على ضفاف النيل أو على ضفاف الفرات أو على ضفاف بردى أو في أعالي حنين. نعود فنقول: من الواجب أن تقام الحفلة التذكيرية للأستاذ الهراوي، وعلى نقابة الصحف وجماعة الأدباء الاهتمام بإقامة هذه الحفلة، ليدرك إخواننا المصريون أننا نقوم بواجبنا نحو الأدب والأدباء أكثر مما يقومون به هم.

نعلن هذا بكل أسف، وبودنا لو نكون فيه مخاطئين ما
[البقية في العدد المقبل وفيها أسماء كثير من مصر شعراء وأدباءها وصورهم ونبذة عن كل منهم]

مجلة نور الإسلام

والأستاذ محمد فريد وجدي

ما يسر المسلمين عامة، ورجال الدين بصفة خاصة، أن ترف إليهم بشرى ذلك النبأ الجليل: نبأ تعيين العلامة المحقق الأستاذ محمد فريد وجدي، مديراً لإدارة مجلة «نور الإسلام» ومكتب ترجمتها، ورئيساً لتحريرها.

وما نشك في أن هذا النبأ السار سيقابل بالفرح العميق، والدعوة إلى توفيق الأستاذ وجدي، في عمله الجديد، الذي اكتسب به ورجال الأهر خاصة، قوة عظيمة، وعنصراً قوياً في الدفاع عن الدين، والدعوة إلى طريقة الحق، من طريق العقل والمنطق، والعلم والفلسفة، وتدعيمه باستحداث العلوم والمعارف، ومتنوع الثقافات العالمية.

فهنيئاً للأزهر بهذا المدره العظيم، وهنيئاً لمجلة «نور الإسلام» بهذا الذي سيبهجها بعد مواتها. ورجاؤنا أن يضيف الأستاذ إلى جهوده العلمية في المجلة جهوده الأخرى في سبيل تنظيمها وإدارة مالياتها إدارة حازمة، ومراقبتها بدقة تقضى على كل ما يشاع ويداع. ونرجو ألا يحرم قراء «المعرفة» من بحوثه القيمة، التي خصها بها منذ إنشائها.

آنى بيزانت ANNIE BESANT

ومذهب الثيوصوفية الحديثة

توفيت السيدة « آنى بيزانت » فى أواخر الشهر الماضى ؛ ولما كانت تعتبر بحق زعيمة الثيوصوفية الحديثة، وباعثة الفلسفة المشرقية فى أوروبا، فقد أردنا أن تقدم بين يدي القراء مقالاً عنها نلم فيه بتاريخ حياتها، وتطورات مذهبها، راجعين إلى أوثق المصادر عنها، ومنها مذكرات خاصة بنا، يعلم القارى منها كثيراً من أسرار هذه السيدة وخفايا مذهبها، حصلنا عليها من مكاتبات خاصة بيننا وبين أحد أتباعها فى لندن منذ ست سنوات، راجين أن يعلم القارى أنا لا نرافق أصحاب هذا المذهب على مذهبهم، لا تلميحاً ولا تصريحاً، لأن الثيوصوفية - فى نظرنا - مذهب خاطئ، لا يقوم على أسس علمية صحيحة، ولا عقائد دينية سليمة؛ وقد أدخلنا هذا المذهب ضمن المذاهب الحديثة الخاطئة، فقلنا فى أول جزء من أجزاء « المعرفة » مايو سنة ١٩٣١ ص ٤ مانصه : « وستكون « المعرفة » معولاً هداماً لبناء المذاهب المادية الاغلاوية، ومبضعاً دقيقاً لبتلر الفاسد من مذهبي الثيوصوفية واستحضار الأرواح وغيرهما من المذاهب المنتشرة فى أوروبا وأمريكا ».

وإننا نذكر بصدد هذا أن الأستاذ الفيلسوف « René Guénon » وضع كتاباً بالفرنسية عنوانه « Le Théosophisme » فقد فيه دعاوى هذا المذهب تفنيدياً لا يدع لمستريب شك؛ فليقرأه من شاء، ولما كانت مهمتنا فى هذا المقال - خاصة - التأريخ البعيد عن الهوى والتعصب؛ فقد اكتفينا بسرد تاريخ حياتها الآن، على أن نناقش مذهبها فى بحث آخر .

فى اليوم الأول من أكتوبر لسنة ١٨٤٧ ميلادية، ولدت الطفلة « آنى » صاحبة الترجمة، فاستقبلها أهل لندن بغير كثير اهتمام، أو شديد عناية، كما استقبلها أبوها « وليم بيج وود » William page Wood، ولا نقول أمها، شأنها فى ذلك شأن كل المخلوقات التى لا يعرف أحد غير الله من أمر مستقبلها شيئاً .

وإننا لتتخيل حال هذه الصبية - بعد إذ حبت وثبتت ودرجت حتى قطعت مرحلة المراهقة - فى شبه غيبوبة وبقطة معاً، واستسلام وشك معاً، وإيمان وحيرة فى آن واحد، إيمان بالله والمستقبل، وحيرة من شأن هذا العالم الذى هبطت إليه، خصوصاً بعد محنتها الأولى بفقد والدها الذى أسلمها إلى أمها - وهى فى سن الخامسة من عمرها - عندما أسلم روحه فى عام ١٨٥٢ م .

والباحث في مثل هذه الشؤون لا يستطيع أن يترك هذا الدور دون أن يستقرأه ويستوحيه الكثير من أمر هذه الصبية التي خلفها والدها بقيمة إلا من أمها الأارلندية الأصل، والتي تمت إلى أسرة من أعرق الأسر حسبا ونسبا، وأقدمها تاريخا وذكرا، وأبعدها نباهة صيت، وواسع شهرة.

نشأت الصبية في حضن أمها - وهي على ما قدمنا من حسب ونسب - فتولتها بالتربية والتهديب، وعنت بأمر عقلها وجسمها أتما عناية، ثم قامت لها مقام المعلم، فأخذتها بدراسة اللغات الحديثة الحية، وأخصها الانجليزية لغتها الأصلية، فالفرنسية ثم الألمانية، واضعة نصب عينيها في الوقت نفسه، تدريبها على العزف على الآلات الموسيقية، وركوب الخيل، والرياضة البدنية، غير ناسية تعليمها دروسا في الأدب القديم والحديث، وفنوننا شتى من ألوانها كالشعر والنثر والحكم والأمثال، وما يدخل في هذه الضروب من قصص وسير وخلق واجتماع.

ويبدو لنا من قراءة سيرة أمها، أنها كانت شديدة التقوى، كثيرة الزهد في الحياة وألوانها الفتاة، بعيدة عن التأثير بزخرفها الباطل وأمانيتها الكاذبة، فأثرت هذه الروح في ابنتها ذلك الأثر الذي سنراه طلقا بحياتها في جميع أدوارها، رغم ما تقلبت عليه في تلك الأدوار من إيمان وإحدا، ويقين وشك، واستسلام وجحود، وتصديق وإنكار.

* * *

لسنا نشك مطلقا في أن المترجم لها ورثت عقيدتها هذه عن أمها وراثته لا أثر للتكلف أو التعمل فيها، وإلا فبماذا تفسر عكوف أمها على تدريسها اللغات الحديثة، والفنون الجميلة من أدب وموسيقى، وعلوم حركية كالرياضة وركوب الخيل، دون أن تلقنها شيئا من دينها وأسراره، أو تبنيها فكرة من أفكارها المذهبية؟

قد يكون ذلك حدث فعلا، بل لابد أن يحدث، لكننا ننكر أن تكون الأم وجهت عناية خاصة إلى إرشاد ابنتها إلى دينها، أو تلقينها شيئا من أسرار مذهبها؛ فلم يبق لدينا إلا أن المترجم لها ورثت دينها عن أبيها وراثته، فنشأت على ما نشأ عليه دون ما تفكير أو إعمال فكر ونظر. يقول فيلسوف المعرفة في التدليل على صحة هذا الرأي القائل بالوراثة الدينية:

وينشأ ناشئ الفتيان منا	على ما كان عوده أبوه
وما داب الفتى بحجا ولكن	يعلمه الدين أقربوه
وطقل الفارسي له ولاية	بأفعال التمجس دربوه

فإذا كان في ظن إنسان شيء يدفعه إلى استنكار ذلك الرأي أو الاسترابة فيه، فليذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يولد المرء على الفطرة، وإنا أباؤه يهودانه أو نجسانه أو ينصرانه».

ندع هذا لنعود إلى سيرة المترجم لها، فترى أن «آنى» لما أشرفت على ربيع العقد الثالث من حياتها، أو اختتمت عقدها الثاني بمعنى أدق، أى فى عام ١٨٦٧ م، تقدم إلى خطبتها القس. «فرانك بيزانت Frank Besant»^(١)، ولما كانت روحها ملتئمتين، أو لما كانت المسكينة تعتقد أن روحيهما متلائمتان بحكم ميلها إلى الحياة الدينية، بل إلى حياة الرهبنة ميلاً شديداً أخذ عليها مسارب الحس، فقد أملت من هذا الزواج خيراً كثيراً، وراحت تتخيل سعادتها المقبلة فى الرتبة المستقبلية، وتعلم بأطياف المنى والآمال، منى الروح وآمال النفس، ولكن :

يقفون والفلك المحرك دائر ويقدرون فتضحك الأقدار

أجل، فقد شاء القدر العاتى — ولا شأنى لحكمه إلا الغافلون — أن يبدل نعيمها شقاء، وأحلامها آلاماً، وحظها نعاسة، وإيمانها كفرأ، ويقينها شكاً، واستسلامها تدمراً، فرزقها طفلاً وطفلة، وكانا معاً، أو كانت الثانية فى الغالب مبعث ذلك كله.

فقد مرضت الطفلة مرضاً شديداً أذهل عقل الأم، واستنفد كل ما وهبتها الطبيعة من قوة البنية، وسلامة الجسم، وشدة الشكيمة، وقوة المعارضة، ففقدت أولئك جميعاً بسبب رعايتها ابنتها وقيامها بالسهر عليها طيلة مرضها كله.

بل فقدت أكثر من هذا كله، فقدت إيمانها الراسخ، وعقيدتها الثابتة، فراحت تنكر الخير والحق والجمال، وتجدد الدين والكتب المتزلة، وتزعم أن لا خير ولا شر، ولا رحمة ولا شفقة، وأن الله هو أصل الخير والشر، فكما يفعل الخير يفعل الشر، ولا دخل للشيطان فى هذا مطلقاً، ثم ذهبت إلى أهدم من هذا فى الجحود والإنكار والإرجاء والتعطيل، آخذة من مذاهب الشك الفلسفى بجانب، ومذاهب المعطلة المسلمين بجوانب.

وقد كانت فى محنتها هذه تسأل نفسها كثيراً: فقول: ما ذنب هذه الطفلة الصغيرة وهى لما تبلغ سن الرشد؟ وماذا فعلت حتى تستحق هذا العذاب كله؟ وما معنى الخير والشر إذن؟ وأين هى رحمتك ومحبتك يا إلهى؟.

ويأتى الشيطان إلا أن يضللها، ويفتح لها مسالك الشر والوسواس، فتظل على تلك الحال فترة طويلة، حتى يقودها أخيراً إلى إنكار الأديان جميعاً، وجحد الكتب السماوية دون ما تخصيص أو استثناء.

إلا أن الله — جلت قدرته — وهو الذى يبلى خلقه ليعلم أيهم أحسن عملاً، من عليها بالشفاء من مرضها، لكن ذلك لم يمنعها من السؤال تنو السؤال، والبحث والتنقيب فى أصول العقائد وموازينها بعضها ببعض.

1 The Rev -Frank Besant (d.1917)- See: The Encyclopaedia Britannica — Thirteenth Edition. New vols 1, P 366

وقد قالت فى تلك المحنة عبارة هامة يجب أن يفهمها كل والد ووالدة، وأن ينظروا إليها بيقظة وانتباه، تلك العبارة هى : « لو أن أمى علمت أن الله هو الذى يأتينا بالخير ، وأن الشيطان يأتينا بالشر ، لما زلت قدمى فى بحر الالحاد ، ولا كبوت فى كبوة الشر » ، ومن هذا يعلم القارىء أن أمها لم تكن بترية ابنتها تربية دينية بقدر ما عنيت بتربيتها اجتماعياً ، ثم فيه ما يؤيد استنتاجنا السابق .

والغريب فى أمر هذه السيدة ، أنها على إنكارها أصول الديانات ، وأسس العقائد فى تلك الفترة ، فإنها لم تنكر وجود الاله !! حتى كان ذلك مئذ دهشة جميع من ناقشتهم من رجال الأديان ، والتجمت بهم من علماء الفلسفة واللاهوت .

ترك الآن هذه المرأة المسكينة برهة ، لنعود إلى زوجها الذى كان يشفق عليها ويرثى لحالها ، ويخلص لها بعض الأيصال ، ولا نقول كله . وحببتنا على هذا الرأى ما رأيناه من نكوصه على عقبيه ، ووقوفه مكتوف اليدين أمام قرار الحكومة الذى أصدرته فى سنة ١٨٧٣م قاضياً بتطليقه إياها ، وطردها من منزل ، فلم يلبث قليلاً حتى طردها من منزله شر طردة خالية الوفاض ، فلم تجد غير أمها تستعطفها وتسألها الرحمة والحنان .

ويظهر أن القافة كانت قد أخذت سبيلها إلى الأم ، فاضطرت « بيزانت » تحت تأثير العيش أن تعمل على كسب قوتها بيدها بنفسها فى الكتب والخدمة فى المستشفيات والقيام على تعهد الأطفال بالمعينة والتربية والتريض .

وكان الله أراد أن يريح تلك الأم المسكينة - أم بيزانت - فتوفاهما بعد حوار جدلى عنيف بينها وبين ابنتها ، كانت خاتمة التسليم لطقوس الكنيسة ، والانصياع لأوامر رجال الدين . ونذكر من هذا الحوار العلمى الفلسفى الطريف نبذاً منه ليكوّن القارىء فكرة عن المحيط الدينى لأوربا فى ذلك القرن .

قالت الأم وقد جاءها رسول الموت ، وأصبحت منه قاب قوسين أو أدنى :
آنى لى رجل من رجال الدين ليرنى قبل أن أسلم الروح ويلقننى الأسرار القدسية ،
والماتير الربانية ، ولا تنس نصيبك معى فى تلقى تلك الأسرار ، عليها تهديك إلى صراط مستقيم .
فقالت بيزانت : إننى يأماه براء عما تقولين ، وكنت أود أن أطيعك فيما تريه ، لولم أكن واثقة من بطلانه ، ففضلاً عن أنى لا أعتقد بتلك الأسرار ، فأنى لا أصدق أن واحداً من رجال الدين يرضى حضورى وسماعى تلك الأسرار ، بله إشراك معك فى تلقىها . سم هل تريه يأماه جديرة بالنفاق من أجل إصرارك على اشتراكى فى تلقى هذه الأسرار ؟ إننى لا أرى غير ما أعتقد ، ولا أعتقد غير ما أرى ، وما كنت يوماً لأرضى النفاق الدينى أو يرتضينى له ، فدعى هذا يأماه !

على أن الأم المريضة لم يؤثر فيها ذلك الحوار العنيف ، فأصرت على طلب القسيس ، ثم أصرت على إشراك ابنتها معها فى تلقى الأسرار ؛ ونعت تأثير الشفقة ، ثم تحت عامل الحب ، وتأثير البنوة ، رضيت « بيزانت » تحقيق رغبة الوالدة ، ومن ثم ذهبت إلى أحد كبار رجال الدين تستدعيه إلى ما ذهبت إليه من أجله فرفض ، ثم ذهبت إلى ثان فرفض ، وأخيراً راحت إلى ثالث

فرفض ؛ وهنا تنور ييزات ثورتها العنيفة على الدين من جديد ، بعد أن كانت قد هدأت قليلا في فترة مرض أمها الأخير .

وجدير بنا أن ننبه هنا إلى أن ذلك الأثر السيء الذي يتركه رجال الدين الجامدون في أذهان الشعب ، في مثل تلك الحال ، يضر العقيدة ذاتها قبل أن يضرهم ؛ ويسىء إليهم قبل أن يسيء إلى غيرهم ؛ ثم هو آخر الأمر قاض على سلطانهم ، هادم تعصبهم ، داك بنيانهم .
ومحال على الدين - أيا كان نوعه - أن يدعو إلى التعصب والجور المرذولين ، بل هو على العكس أوسع من باب الرحمة ، وأطلق من ساحة الغفران ؛ ليسع أبناءه أجمعين ؛ ثم هو يأخذ باللين مالا يؤخذ بالشدة .

وما هي ذى « ييزات » التي نراها نائرة جاحدة منكرة ، تعود إلى الإيمان واليقين في فترة قصيرة ، بل أقل في من فترة ، هي برهة مسرفة في الصغر .

ولا دهشة أو عجب من ذلك ؛ فإن « ييزات » بعد أن يئست ممن قابلتهم . خطر لها أن تذهب إلى كبيرهم ، وكان رجلا واسع الحيلة ، وقاد الذهن ، وموفور العقل ، فأخذها بالحلم واللين ، وسارها بالعقل والمنطق ، والحكمة والموعظة ، حتى استل ما في نفسها من سخائم على الدين ، ونزع ما في صدرها من حقد وغل على رجاله . وإنه لمن الخير أن تلخص لك تلك المحاور التي دارت بين الاثنين لعل فيها عبرة وعظة .

بعد أن أفضت « ييزات » إلى الرجل بجملة الأمر ، وأطلعت على ما يساورها من شك وحيرة ، وما قابلها به سابقوه من مرءوسيه ، قال لها :

إن كل ما ذكرته ليس بالأمر الذي يززع إيمانك ، أو ينقص من عقيدتك ؛ فإدمت تجددين في بحث الحق ، وتطلبين المعرفة في إخلاص ، فلا خوف ولا ضير . خفف من سورة نفسك يا بني ، واعلمي أنك في النهاية مؤمنة . إن الذي يبحث عن الله يجده . ويهش له ، ويطمئن إليه . وحسبك هذا عقيدة ودينا ، وما كان الدين يوما ليقف حائلا دون أن ينظر الإنسان ويبحث ؛ ولكن لما كانت طرقه عملية بحتة ، فقد أزمنا القيام بالواجب نحو الله والناس أجمعين ، لهذا لا نرى مانعا من إشراكك معنا في الأمرار ، لأنك جدرة بها ، كما هي جدرة بك ؛ ولأن الحكمة منها إنما هي الوحدة والاتحاد ، لا التفرقة والتشتيت .

وما انتهى الرجل من حديثه ، حتى قامت « ييزات » شاكرة له هذه الروح السامية ، معتذرة عما سلف منها ، مصطحبة إلى دار أمها ، حيث قام بتلقين الأمرار ، ومن ثم انتقلت الأم إلى العالم الذي لا أثر فيه ولا ألم ، ولا حزن ولا كدر .

والآن فلنضرب صفحا عن قص تاريخها بعد هذه الفترة ، لكثرة ما فيها من تشعبات لا يضر إغفالها الموضوع شيئا ، ونعود إلى عام ١٨٧٥ م ، وهو العام الذي أخذ نجم « ييزات » في التآلق في كبد سماء الفلسفة .

وموعدا بذلك العدد المقبل إن شاء الله .

محمد

صلى الله عليه وسلم

بقلم الأستاذ عبد العزيز البشري

استدراك

أرجو أن تقرأ آخر كلمة في مقال العدد الماضي هكذا . « أما الأنبياء عليهم السلام ، فقد طهرهم الله تعالى ، وكف كل رجس عنهم ، من يوم سواهم إلى يوم قبض من قبض منهم » .

هذا إلى أن كل رسول منهم إنما جاء بشريعة أو دعا إلى شريعة تدخل فيها عبادة الله وإقامة حدوده فيما يدور بين الناس من المعاملات ، وما ينبغي لهم من جلائل الأخلاق وكرائم الآداب . ولم يسمع قط أن نبياً أحل نفسه من شيء من هذا ، أو ترخص فيه سواء فيما بينه وبين نفسه ، أو فيما بينه وبين الناس . بل لقد أخذوا أنفسهم بغاياتها ، وبالغوا في هذا إلى الحد الذي يعتبر إسرافاً بالإضافة إلى غيرهم . بل لقد اختصهم الله بألوان من التكاليف أقل منها سائر خلقه ، لما فيها من المشقة وشدة العسر عليهم . وسيرد عليك شيء من هذا في معرض أساليب النبي وخلاله صلى الله عليه وسلم . وبهذا يمتاز الأنبياء بما لا يتسق في العادة - لغيرهم من مطاوعة الفعل للاعتقاد ، ومطابقة العلم للعمل . وذلك في أقصى الحدود وأوفى الغايات .

ولقد تعلم أن كثيراً من الدعاة من يكتفون عن الجهرة بعض ما يعرفون أن فيه الحق والخير والنفع ، خشية تأليب الدهماء عليهم ، وإرسال التهم إليهم . وقد يقع هذا في دعوة تتصل بالأخلاق ، أو بالسياسة ، أو بالأدب ، أو بالاقتصاد ، أو بأي شأن آخر من شئون الاجتماع .

أما الرسل عليهم السلام ، فأنت خير بأنهم مبعوثون بهدم أديان أممهم ، وإزعاجهم عن معتقداتهم ، وتزييف أفهامهم ، وتسفيه أحلامهم ، ودعوتهم إلى تغيير مارسخ من أخلاقهم ، وما استمكن من طباعهم ، فما قصرُوا في شيء من هذا ، ولا فترُوا من أول يوم دونه . إذ هم أفضأ لا حول لهم ، ولا سلطان يعصمهم ، ولا مال يستدرج إليهم ويستألف النادين عنهم . وهم

إنما يبعثون في أقوام شداد غلاظ، لقد تحجرت قلوبهم بطول ما تمادوا في البغي، واسترسلوا في الضلالة والغي. لهذا كان من شرائط الرسالة التبليغ والأمانة. على هذا يتم لرسول الله مطابقة العلم للعمل، ومظاهرة الدعوة لها جميعاً، وذلك إلى غاية الغاية، وإلى أقصى حدود النهاية.

بعثة النبي صلى الله عليه وسلم

تعلم أن بعثة كل من سلف من الرسل إنما كانت مقصورة على قوم بأعيانهم، فهي محدودة الزمان، محصورة المكان. وهي إذا تظاهرت كلها على عبادة الله وحده والإيمان برسوله، فلقد اختلفت كيفياتها فيما يلي ذلك؛ فمنها ما جاء بشريعة تبين للناس طرق عباداتهم وصدرها مما يتعلق بطروق معاملاتهم وسائر أسبابهم. ومنها ما جاء للدعوة إلى شرع من خلا من الرسل وزجر الناس عما تخلقوا به من أخلاق قبيحة، وما ألفوا من عادات كريهة.

أما بعثة محمد، صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم، وبجل وعظم، فلا يحدها زمان، ولا يحصرها مكان، ولا يجوزها سبب، ولا يند عنها غاية. فلقد أرسل للناس كافة في جميع أقطار الأرض، يخاطبهم برسالاته جيلاً بعد جيل، ويدعوهم إلى شريعته قبيلاً إثر قبيل. قال تعالى: «قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً»، وقال جل مجده: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين». وقال صلى الله عليه وسلم: «بعثت إلى الأحمر والأسود». وذلك بأنه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء. قال تعالى: «وخاتم النبيين»، قال صلى الله عليه وسلم: «لأنبي بدمي»؛ ولهذا اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون رسالاته جامعة، وأن تكون شريعته موفية على الغاية من الكمال، سواء في أحكام العبادات والمعاملات، أو في الأخلاق والآداب، وغير ذلك مما يتصل بالأسباب الدائرة بين الناس، وعلى هذا استوت شريعته، صلى الله عليه وسلم، في أصول أربعة: الكتاب. قال تعالى: «ما فرطنا في الكتاب من شيء»؛ والمعنى: من أمهات أصول الدين. والسنة، وهي قول النبي وفعله. والإجماع إجماع صحابته، وهم أدنى الخلق إليه وأعلمهم بمراميه وأخبرهم بمداخل شريعته. ثم القياس، وهو إطلاق حكم ما ورد فيه نص على ما لم يرد فيه لا شتراهما في علّة ظاهرة.

وإذ علمت أن الرسول ينبغي، بالبداية، أن يكون مثلاً أعلى لكل ما يبعث به إلى الناس، فضلاً عن أن فعله حتى إشارته تعتبر أصلاً من أصول الدين، قدرت مبلغ ما تحلى به النبي صلى الله عليه وسلم من جليل الأخلاق، وما تجلى فيه من كريم السجايا وشريف الخلال، ولا يذهب عنك في هذا المقام قوله صلى الله عليه وسلم: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». وناهيك بمن يزكّيه ربه في هذا الباب بقوله تعالى: «وإنك لعلى خلق عظيم»: وناهيك بمن يكون مربيه ومؤدبه هو الله سبحانه وتعالى. قال صلى الله عليه وسلم: «أدبني ربي فأحسن تأديبي».

وبعد فنحن إنما عقدنا هذا الباب للكلام في صفات النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا كنا قد أملنا في التمهيد بين يدي هذا الغرض ، فإن تلك المقدمات لا تخلو من أثر بعيد أو قريب فيما نحن بسبيله .

هذا ، وينبغي أن تعلم أن هذا المقام لا يتسع ، بالضرورة ، لعرض كل شمائله ، وتجلية جميع فضائله ، واستقصاء جملة الشواهد عليها ، والآثار المثبتة لها ؛ على أن هذا جميعه مبسوط في كتب السير ، فليطلبه فيها من يريد تفصيله . وإنما نجتريء هنا بإيراد صدر من أمهات الفضائل وعرض شواهدا ، مستمدين من كتاب الله تعالى ، وما أثر عن أوثق الرواة وأصدقهم من أهله الكرام ، وصحبه العظام ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

شمائل النبي صلى الله عليه وسلم

إن أصول الفضائل ، خلقية كانت أو مكتسبة ، تدور في : (١) وفور العقل وذكاء الجنان - (٢) فصاحة اللسان وبراعة المنطق - (٣) الشجاعة والنجدة - (٤) الجود والكرم - (٥) العدل والأمانة والعفة - (٦) الحلم والصبر والعفو - (٧) الحياء والإغضاء - (٨) الأدب والتواضع وحسن المعاشرة - (٩) الشفقة والرحمة - (١٠) الوفاء وصدق العهد وصلة الرحم - (١١) الوفاء - (١٢) الزهد .

وفور العقل وذكاء الجنان :

أما عقله : صلى الله عليه وسلم ، وذكاء له ، وصدق رأيه ، وعظيم حكمته ؛ فلقد كان من ذلك كله في موضع لا يلحقه غيره ، ولا يتعلق به سواه . قال تعالى : « وأنزلنا عليك الكتاب والحكمة » . وحسبه ، بعد هذا ، ما تظاهرات عليه الكافة من وفور عقله ، وذكاء جنانه ، وقوة حواسه ، وصدق رأيه ، وصحة تدبيره ، وحسن قيامه على سياسة الأنام ، وتقرير الشرائع ، وتأصيل أصول الأخلاق ، وتقعيد قواعد الآداب ، إلى ما في كلامه : صلى الله عليه وسلم ، من المعاني البارعة ، والحكم الرائعة ، حتى لتتخذ كلمته في أي سبب من الأسباب أصلاً يبنى العلماء علومهم عليه ، ويردون قضاياها إليه ، وإلى علمه بسير الأولين - وفقهه في شرائع الرسل الخالين ، وإحاطته بأمور الدنيا ، وإصابته علوم الحياة ، كل ذلك دون سابق تعليم ولا مدراسة ولا تدريب ولا شيء مما يفتق العقل وينسج في الملكة ، ويفرس العلم ، ويقوم الفهم ؛ بل لقد كان صلى الله عليه وسلم أمياً لا يكتب ولا يقرأ ، ولا يعرف أنه جلس إلى معلم ، أو شق له كتاب ، فاذا أردت أن تتقري سبب هذا وتعرف علمه ، فاطلبه في قول الله تعالى : « وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً » .

فصاحة اللسان وبراعة المنطق :

أما فصاحة لفظه وبراعة منطقته ، فلقد تعلم أن العرب كانوا أصحاب فصاحة ، وأهل لظافة وذراية ، وقوة بديهة ، وبراعة ارتجال . يتبارون في هذا ويتكاثرون به ، ويعقدون الأسواق الجامعة له طلباً للسبق ورغبة في التبريز ، حتى إن المعجزة الجلى التي أمد الله بها محمداً صلى الله عليه وسلم وأيد بهادعوته على وجه الزمان إنما جاءت من هذه الناحية وتوجهت على هذا الوجه ، وهى القرآن الكريم الذى عاجز القوم فى أساليب فصاحتهم ، وتحداهم فى منازع بلاغاتهم « فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » . « فأتوا بسورة من مثله إن كنتم صادقين » ، فنكسوا واتخذوا ، وعى بذلك خطباؤهم ، وخرست ألسنة مقاويلهم ، حتى لقد آثروا أن يعارضوا السيف دون معارضته ، وحتى لم يبالوا فى هذا إعلان المعجز والكشف عن السوأة « وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون » .

ولا يذهب عن فطنتك أن رسولاً يبعث وحجته الكبرى على صدق دعوته ومعجزته العظمى لتأييد رسالته هى الفصاحة ، لا ينبغى أن يلحقه الحصر ، أو تحتبس لسانه اللكنة ؛ فضلاً عن أن هذا إذا كان دلالة نقص معيب عند جميع الأمم فهو عند العرب أعيب ، وهو عندهم أذى وأفصح . وعلى هذا تعلم أن الرسول العربى ينبغى أن يكون من فصاحة اللسان وبراعة المنطق بالمكان الرفيع ، بل ينبغى أن يكون أفصح الناس جميعاً ؛ ولقد كان كذلك صلى الله عليه وسلم . وهنا يجب علينا أن ننبه إلى أن كون النبى صلى الله عليه وسلم من فصاحة اللسان وبلاغة المنطق بهذا الموضع لا يقدح ولا يمكن أن يقدح فى تنزيل القرآن الكريم . فإن بلاغته مهما علت على بلاغة قومه فهى منها ، وهى موصولة بها ، وهى جارية على أسلوبها ، وكل ما يبدو للنقاد البصير من الفروق فى هذا الباب مثل ما يبدو له بين شاعر وشاعر ، أو بين كاتب وكاتب ، أما بلاغة القرآن فشئ آخر . وحسبك أن تعرف أنه من كلام الله لا من كلام البشر ، كلام يشعر أبلغ البلغاء أنه مما يفوق طاقة الإنسان وتعجز عن محاكاته الطبيعة البشرية ؛ لهذا لم يجروا على هذا ولم يتكلفوه ، على شدة عنادهم وفرط إلحاحهم ، ومن تكلف ذلك منهم فقد أسف وسقط ، وأتى بالغث البارد المضحك من الكلام .

ونعود بعد هذا إلى فصاحته صلى الله عليه وسلم ، ولقد قال له أصحابه : ما رأينا الذى نرى أفصح منك ! فقال : « وما معنى ؟ وإنما أنزل القرآن بلسانى : لسان عربى مبين » ، وقال مرة أخرى : « بيد أنى من قريش ، ونشأت فى بنى سعد » . قال بعض العلماء فى توجيه ذلك : لقد جمع له بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها ، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها .

وقالت أم معبد في وصفها له: حلو المنطق، فصل لا تزر ولا هذر، كأن منطقهم خرزات نظمن. ومن جوامع كله، ومأثور حكمه: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. المسلمون تسكافق دماؤهم، ويسمى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم. الناس كأسنان المشط، والمرء مع من أحب، ولا خير في صحبة من لا يرى لك مآزى له. الناس معادن. ما هلك أمرؤ عرف قدره. والمستشار مؤتمن، وهو بالخيار ما لم يتكلم. ورحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فلم. وإن أحبكم إلى وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، المومنون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون. اتق الله حيث كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالف الناس بخلق حسن. خير الأمور أوساها. أحب حبيبك هوئاً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما. الفلم ظلمات يوم القيامة. حي الوطيس. مات حتف أمته. لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين. السعيد من وعظ بغيره.

الشجاعة والنجدة:

كان صلى الله عليه وسلم من الشجاعة والنجدة بالمكان الذي لا يلحق، حتى لقد قالوا: إنه مامن شجاع إلا وقد أحصيت له فرة، وحفظت عنه جولة، سواء صلى الله عليه وسلم. سأل رجل البراء بن عازب رضى الله عنه: أفررت يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يثر. ثم قال: لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان أخذ بلجامها، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب. قيل: فما رؤى يومئذ أحد كان أشد منه. وروى مسلم عن العباس رضى الله عنه، قال: فلما التقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون مدبرين وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار. وعن علي رضى الله عنه: إنا كنا إذا جئ البأس واجرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، ولقد رأيته يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً. وعن أنس بن مالك رضى الله عنه: كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس: لقد فرغ أهل المدينة ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً قد سبقهم إلى الصوت. واستميراً الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيف في عنقه، وهو يقول: لن تراعوا. وعن عمران بن حصين رضى الله عنه: ما التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب. ولما رآه أبي بن خلف يوم أحد وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوت إن نجا. وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم — حين افتدى يوم

بدر — : عندى فرس أعلقها كل يوم فرقامس ذرة أقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أنا أقتلك إن شاء الله . فلما رآه يوم أحد شد أبى على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هكذا ! أى خلوا طريقه ، وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض : ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه فى عنقه طعنة تدأب منها عن فرسه مراراً ، وقيل بل كسر ضلعاً من أضلاعه ، فرجع إلى قريش يقول : قتلنى محمد ، وهم يقولون لا بأس بك . فقال : لو كان مابى بجميع الناس لقتلهم ! أليس قد قال أنا أقتلك ؟ والله لو بصق على لقتلنى . ومات بسرف فى ققول القوم إلى مكة .

الجود والكرم :

لقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ، من هذا ما لم يبلغ ، ونال منه ما لا ينال . عن ابن عباس رضى الله عنهما : كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير ، وأجود ما كان فى شهر رمضان ، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الریح المرسلة . وعن جابر رضى الله عنه : ماسئله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ فقال لا . وعن أنس رضى الله عنه : أن رجلاً سأله فأعطاه غنماً بين جبلين : فرجع إلى بلده وقال : أساموا فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى فاقة . وأعطى غير واحد مائة من الإبل . وأعطى صئوان مائة ، ثم مائة ، ثم مائة . ولقد رد على هوازن سبأياها ، وكانوا ستة آلاف . وحمل إليه تسعون ألف درهم ، فوضعت على حصير ، ثم قام إليها يقسمها فأرد سائلاً حتى فرغ منها . وجاءه رجل فسأله ، فقال : ما عندى شئ ؛ ولكن ابتع على فاذا جاءنا شئ قضيناه . وعن معوذ بن عفراء رضى الله عنه . أثبت النبي صلى الله عليه وسلم بقتاع من رطب (يريد طبقاً) وأجر من زعب (يريد قنأ) ، فأعطانى ملء كفه حلياً وذهباً . وعن أنس رضى الله عنه : كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئاً لغد .

وأخبار بره وجوده وكرمه مما لا يتسع لاستقصائها مثل هذا المقام . ومهما يكن من شئ فإن مما يزيد فى علو هذه الشيم ، ويضاعف من قدر هذا البر والكرم : أن يقع ممن يعيش عيش أقل الناس مالاً ، وأرق المساكين حالاً . وناهيك بمن لم يشبع يومين متتالين حتى من خبز الشعير . وسيجىء هذا فى الكلام على قناعته وزمده صلى الله عليه وسلم .

غير العزيز البشرى

حنين

للاستاذ على الجارم

طائر يشدو على فنن	جدد الذكرى لذي شجن
قام والأكوان صامته	ونسيم الصبح في وهن
هاج في نفسي وقد هدأت	لوعة لولاه لم تكن
هزه الشوق إلى سكن	فبكى للأهل والسكن
وبك لا تجزع لنائبة	مالطير الجو من وطن
قد يراك الصبح في حلب	ويراك الليل في عدن
أنت في خضراء صاحبة	من بكاء العارض المتهن
أنت في دوح مهدلة	تارك غصناً إلى غصن
عابت بالزهر مغتبط	ناعم في الحل والظعن
في يديك الريح ترسلها	كيفما تهوى بلارسن
ياسليان الزمان ! أفق	لبس للذات من ثمن
وابعث الألحان مطربة	يا حياة العين والأذن
غن بالدنيا وزينتها	ونظام الكون والسفن
وبقيمان هبطت بها	وبما شاهدت من مدن
وبأزهار الصباح وقد	نهضت من غفوة الوسن
وبقلب شفه وله	حافظ للمهد لم يخن
كل شيء في الدنيا حسن	أى شيء ليس بالحسن
خالق الأكوان كالؤها	واسع الإحسان والمنن

كان لي إلف فأبعده	قدر غنى وأبعدني
أنا مد الدهر أذكره	وهو مد الدهر يذكرني
قد بنينا العش من مهج	غسلت من حوبة الدرن
من لدنه الود أخلصه	والوطا والطهر من لدني
كانت الأطيوار تحسده	جنة المأوي وتحسدي

وظننا أن نعيش به فرمت كف الزمان به
طار من حولي وخلفني ونأى عني وما فتئت
ومضى والوجد يسبقه إن تزر ياطير دوحته
ورأيت «النهر» مضطرباً عبثت ريح الشمال به
فأشد الأطيّار واحداً وتريث في المقال له
صف له ياطير مالقيت صف له عيناً مقرحة
صف له روحاً معذبة يا خليلي ، والهوى إحن ،
إن رأيت العين ناعسة أو رأيت القد في ميس
قد نعمنا بالهوى زمناً وعيشة المستعصم الآمن
فكأن العيش لم يكن للجوى والبث والحزن
نازعات الشوق تطرقني ودموع العين تسبقني
بين زهر ناخر وجنى واثباً كالصافن الآرن
فطغى غيظاً على السفن في الحلى والحسن والجدن
قد يكون الموت في اللسن مهجتي في الحب من غبن
لأني الدمع لم نصن ضاق عن آلامها بدني
لا رماك الله بالأحن فترقب بقطعة ألفتن
فأخذ ماشئت من جن وشقينا آخر الزمن

على الجارم

مخاطرات السباب

أو الأميرة الهندية

رواية مصرية غرامية أخلاقية اجتماعية

حافلة بالمعاطف النبيلة والمفاجآت العنيفة

تجمع إلى الحب العذرى تحليلاً دقيقاً لأهم خواج النفس العلوية الشريفة .

بقلم الأديب : حسن رشاد : معهد التربية

منقحة ومصدرة يبحث في أدب القصة وتطورها بقلم صاحب « المعرفة »

صفحاتها ٢٠٨ وتضمنها ٥ قروش مصرية تطلب من المؤلف أو من إدارة « المعرفة »

طرائف لغوية

للأستاذ فؤاد حنين علي

للسانسية في الأدب العربي واللغات السامية

وعضو بمئة الجامعة المصرية بالمانيا

أبلة

كلمة شائعة في اللغة العربية المصرية وهي سامية الأصل ، وإن كنت لا أعرفها في اللغة الفصحى . فهذه اللفظة أكديّة : بلتي belti ، ومعناها سيدتي (الهمة في اللهجة الحديثة زائدة ، ومثال ذلك كثير ، فنلاحظ عوضاً عن يدي يقال أيدي ، والاستعمالين : إبراهيم وإبراهيم . . .) ، وبليتني belitni : بمعنى سيدتنا في اللغة الدينية ، ثم انتقل هذا اللفظ إلى الآرامية : بلتي : أو : بلتيني ، ثم إلى اليونانية : بلتيس beltis ، ومنها إلى بعض اللغات الأوربية الحديثة للتعبير عن (سيدتنا) مريم ، ففي الإيطالية نجد ذلك المعنى ترجم بكلمة Madonna وفي الفرنسية Notre-dame وهلم جرأ .

ابليس

كلمة أجنبية دخيلة في اللغة العربية ، وهي يونانية الأصل : ديابولوس Diabolos ، ثم انتقلت إلى اللغة الآرامية ، ثم ظن فيما بعد أن المقطع : دي di هو ضمير الإضافة في الآرامية فحذف ، وتبقى لفظ إبليس .

ابن آدم

تعبير سامي قديم جداً في اللغات السامية . ويرجع إلى الأكديّة ، إذ ورد فيها : مار آملي ، mar ameli ، ومعنى هذه العبارة : ابن الإنسان ، وخاصة الإنسان الحر الشريف ، ومنها انتقل هذا التعبير على ترجيح معظم العلماء - إلى العبرية ، إذ جاء فيها : بن آدم bân-âdām . ومنها إلى الآرامية برناشو bar--(è)nāshû ثم إلى الحبشية : أولاد آدم ، وإلى العربية ابن آدم .

آسي

لفظ اشتركت فيه الشومارية (لغة سكان بابل وأشور قبل نزوح الأخيرين إليها) ، والمصرية

القديمة ، فهو في الأولى : أزو azu وفي الثانية : سيه . ومعناه في اللغتين : الحبر عن الماء .
ونلاحظ في الصعيد ، وخاصة في أسبوط حتى اليوم ، أن السقاء عند ما ينادى على الماء يقول .
سيه seh ، وقدماً كان المبشر بالماء كالمبشر بالحياة . ومن إحدى هاتين اللغتين (؟) استعمار
الأكديون هذا اللفظ : أسو asu بمعنى طيب ، وعندهم أخذته الآراميون . فلفظ آسيا āsyā
معناه طيب . ومن الصيغة الاسمية اشتق الفعل : آسى āssi : ومعناه يشفى ، وآسيوتا āsyūtā
بمعنى شفاء ، ومنها انتقل اللفظ إلى العبرية : آسى بمعنى طيب ، وإلى الحبشية : آسو aswa
بمعنى يشفى و : أسوت āsot شفاء .

بربر

قامت حول هذه الكلمة خصومات لغوية عنيفة ، تارة بين رجال فقه اللغة اليونانية واللاتينية ،
وأخرى بين هؤلاء جميعاً ورجال فقه اللغات الشرقية . ذلك لأن هذه الكلمة مقسمة بين
الشرق والغرب . وحقيقة الأمر أنها شومارية الأصل . فلفظ : بر bar معناه : أجنبي أو برى .
وقد جاء هذا اللفظ ضمن اسم حيوان مقترس . أور - بار - رو ur-bar-ru بمعنى الكلب
الأجنبي (البرى) ويقصد على ما يظن الذئب .

ثم عن الشوماريين أخذوا الأكديون للدلالة على المعنى المنتشر الآن ، فلفظ . بربر barbaru
بتكرار الكلمة لتأكيد ، وهذا شائع منتشر في اللغات السامية يلاحظ في العربية :
لملم : ورش رش . ومنها انتقل اللفظ إلى اليونانية ، برباروس barbaros واللاتينية أيضاً برباروس
barbarus ، وإلى سائر اللغات الحديثة تقريباً الشرقية (السامية بنوع خاص) والغربية
بربر barbar .

بريد

كلمة سامية الأصل بخلاف ما ذهب إليه بعض العلماء من أنها دخيلة أخذت عن اللاتينية :
فريدوس veredus ، والعكس هو الصحيح . فقد وردت في الأكديّة : بریدو ، أو : بریدو
piridu ، puridu ومعناها . السريع في مشيته ، أو : ساق (ماشى) ثم بمعنى . الرسول السريع .
ونلاحظ في الآرامية مادة : فرد (برد) berad بمعنى طار أو هرب .

ونلاحظ في العبرية أيضاً . برد qired ، بنفس المعنى وبمعنى بفل أو أى دابة من دواب الجمل .
ومن هذه الكلمة نلاحظ في السريانية أيضاً : بردون bardunā ، وانتقلت إلى العربية :
برذون ، وليس من الصواب مطلقاً زعم بعض اللغويين أن هذا اللفظ مأخوذ عن اللاتينية :
بردو ، أو ، بردس ، burdo ، burdus أو من اليونانية : بوردون Bourdon .

ومن المادة السامية الكلمة العربية الفارسية بريد ، ومعناها الرسول السريع أو الحصان السريع ، ومن الأخيرة أخذ اللفظ اللاتيني فريدوس veredus ، وفي اليوناني المتأخر بريدوس Bereidos .

بللور برليانت

كلمة سامية أخذها الغرب عن الشرق فهي في الآكدية بوردلو ، burellu وهي نوع من الحجارة ، ومنها انتقلت إلى اليونانية برلس Berullos ، ومنها إلى اللغات الأوروبية الحديثة ؛ مثلاً في الألمانية Beryl وفي الإنجليزية beryl وانتقلت إلى الألمانية : برلا Lrille أى نظارة ، وكلها من السامية الآكدية التي انتقلت منها إلى السريانية ، بلور ، cellûrâ و برولو Berullâ ثم إلى العربية بلور ، وإلى الحبشية بلور ، وبرلى Bellûr; Berelli ، وفي الحبشية الحديثة : برلا Berelle بمعنى إبريق زجاجي .

ثم من هذا اللفظ أيضاً ظهر في بعض اللغات الأوروبية فعل : برييه Briller بمعنى يسطع أو يلمع ، ومنها برليانت Brillant .

تلميذ

في الآكدية مادة : لمدو lamādu بمعنى يعلم ، وخاصة تعليم حرفة فنية أو علوم ، وانتقل هذا اللفظ بمعناه إلى العبرية ، ومنها كلمة تلمود ، ثم إلى الآرامية : تلميذا talmidā ، أى تلميذ ، ثم إلى العبرية المتأخرة : تلميذ talimdu ، وإلى العربية (تلميذ أولاً بمعنى مساعد الحداد) .

تهامة

في الآكدية : تياآمتو : أو : تيامتو tiāmtu, tāmtu ، ومعناها بحر ، أو : تياآمة tiāmat ومعناها تقريباً : حول البحر ، ويرجح أن منها الكلمة العبرية ، تهوم tēhôm ، وجمعها تهومات tēhômāt . بمعنى الماء القديم الخلقة ، أو تقريباً : الطوفان ، ثم إلى العربية تهامة . تطلق على الأرض الممتدة على الشاطئ الجنوبي الغربي لبلاد العرب .

وبلاحظ في العربية أيضاً : تيه ، وتاه . وفي السريانية . توه toh .

ثلج

في الآكدية : اشلكو ashlaku ، ومعناها تقريباً : يبيض ، أو : غاسل الملابس البيضاء ،

وانتقلت إلى العبرية واليهودية الآرامية، اشلاج āshlag أو اشلجā: āshlégā أو اشلك šohlah بمعنى رغوة الصابون المستعملة عند الغسيل، ثم انتقلت اللفظة بعد ذلك إلى لسان العامة بمعنى آخر وهو الثلج، فأصبحت في العبرية المتأخرة. شلج sholeg، ومنها إلى العربية ثلج.

خروب

في الأكديّة. خروبو kharūbu، ثم انتقلت إلى الآرامية، خروباً، أو خروباً، (khārūbā, kharrūba) ومنها إلى العربية. خروب، أو. خرنوب. ومن اللغات السامية انتقلت اللفظة إلى اليونانية المتأخرة خروباً، karrouba وإلى اللاتينية المتأخرة كروبيوم carrubium، ومنها إلى الإيطالية كروباً carruba، والفرنساوية. كروب caroube، والانجليزية. كروب carob، والألمانية. كروب Karube أو Karobe، والإسبانية. جروبو garrobo.

دين — مدينة

في الأكديّة. دينو denu, dinn، ومعناها قضاء أو حق. والفعل دينو denu بمعنى يقضى و. ديان dajjenu بمعنى قاض، ثم انتقلت إلى العبرية والآرامية. دين : دينā, dīnā — حكم أو قضاء، والفعل منها دانَ dan أى يحكم أو يقضى، واسم الفاعل : ديان : أو : ديان : dajjan, dajjānā، ومنها مدينة ومعناها : مكان القضاء، وانتقل ذلك إلى العربية، دين، والحبيشة، دَين، والعربية. مدينة.

واستعمل كلمة دين في العربية بمعناها الديني، إما يرجع إلى اللفظة الفارسية. دين بمعنى عقيدة أو ديانة، أو للفظّة الأكديّة. دينو dē(i)nu.

سوسن

مصرية قديمة، سشن sshn، وفي القبطية شوشَن shōshen، ومن المصرية القديمة إلى الأكديّة. ششانو sheshanu، ومنها إلى العبرية. شوشن shōshōn ثم إلى الآرامية. سوسنة shūzantō والعربية. سوسن، ومن اللغات السامية انتقلت إلى اليونانية : سوسون sōson.

شيبينة

في الأكديّة، سوسبينو، أو شوسبينو shusopinū, shūsapinū بمعنى دليل، ثم انتقلت إلى الآرامية. شوشبينا shushēbinā أو shāushēbinā، بمعنى دليل العروس.

شَقَّة (غطاء النساء في الصعيد)

لفظة غريبة سامية الأصل لها معنيان، أخذت اللغات الهندية الأوروبية معنى، واحتفظت اللغات السامية بالمعنى الآخر.

فنى الأكديّة . شافو shaggu بمعنى (جوال) لحفظ الحنطة أو الدقيق؛ أو بمعنى ثوب يلبس للتكفير عن الخطايا أو التقشف . ثم انتقلت إلى العبرية . ساق sag ، ثم إلى الآرامية القديمة في حالة الجمع . شقون shagōn ثم بعد ذلك سقا sagga ، ثم إلى الحبشية : شق shag . ومن السامية انتقلت إلى اليونانية ، ساكوس ، sakkos . واللاتينية : ساكوس ، soccus ، والألمانية . ساك Sack ، والانجليزية أيضاً . ساك sach وهم جرا .

شيت

في الأكديّة . شتو shatu بمعنى نسج . ومنها إلى العبرية . شاتا shatā ، ثم شتي sheti ، بمعنى نسيج أو (قماش) ، ثم إلى الآرامية . شتا shetā أو شتي ashti بمعنى نسج ، والاسم . شتيا shityā بمعنى (قماش) ، وربما كان اللفظة العربية . سدى ، أثر ، ستي ، صلة بهذا .

عدن

أخذها الأكديون عن سكان البلاد الأولين ، أعني الشوماريين ، فاللفظ . ادينو ومعناه البراري أو الصحاري ، ومنها انتقل إلى العبريين . عدن Eden للدلالة على المنطقة التي فيها الجنة ، فعدن إذن بادئ الأمر ليست الجنة ، بل الجنة في إقليم عدن ؛ نذكر في القرآن الكريم : جنات عدن ، ثم بعد ذلك انتقل هذا اللفظ إلى الشعب وتحوّر معناه قليلاً وأصبح بمعنى . نعم أو بهجة ومرور .

فتيلة

يرجح أنها مصرية قديمة بتر ptr ، ومنها إلى الأكديّة . بتيلتو pitiltu بمعنى حبل ، وعنها أخذتها العبرية . بتيلتا petilta بمعنى فتيلة (شريط) المصباح ، ثم انتقل إلى العربية - فلاحظ مادة قتل - وكذلك الحبشية . ومن اللغات السامية استعار اليونان هذه الكلمة : فتيلين Fetilin أو . فتيلون Fatlion ، بمعنى فتيلة (شريط) المصباح .

إعجاز القرآن

بقلم الأستاذ السباعي السباعي بيومي

المدرس بدار العلوم العليا

تقدمنا في العدد الماضي بكلمة عن أثر الاسلام في العرب وفي لغة العرب، انتهينا منها على أن ذلك الأثر حصاً ومعنى يرجع إلى الكتاب أولاً وإلى السنة ثانياً؛ وقلنا في تلك النهاية: «ومن ثم يجب أن تكون للقرآن دراسة مستفيضة تشرح ماله باللغة من علاقة، وفي شتى نواحيها من تأثير، ومن بعده تكون دراسة الحديث».

لهذا اعتزمنا أن ننشر على قراء «المعرفة» بعض ما لنا من أبحاث عن القرآن من حيث إعجازه وفصاحته وبلاغته، بادئين منذ اليوم بالإعجاز، وكلنا ضراعة إلى الله أن يجعل رائدنا التوفيق.

كلمة عامة في الإعجاز

بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم، يحمل إلى العرب - في غير مواربة - دعوتهم إلى الخروج من دينهم والإفلاخ عن كثير من عاداتهم وصفاتهم خروجاً يتجردون به عما كان يعبد أبائهم، ويفعلون من أجله صفات الأشياء الواقعة بين أيديهم فيحاولون كثيراً ما منعاً حراماً، ويحرمون أكثر منه كان طلقاً حلالاً، ثم شاء أن تكون معجزته إليهم وفق ما كان للأنبياء عليهم السلام قبل، أي في الباب الذي يعرفون لأنفسهم فيه نبوغاً ويدينون بأن لهم على ولوجه قوة واقتداراً، وهو باب الإعراب والبيان؛ فقد عرف ذلك عن العرب ولهم منذ القدم، ولم يزالوا يذهبون به قدماً، ويرقون فيه صعداً، حتى جاء الاسلام وقد بلغوا فيه المبلغ الذي لا يداني، وعلا في النصاحة والبلاغة علواً كبيراً، حتى عقدت لذلك أسواقهم وزخرت به مجامعهم وأنديةهم.

شاء الله ذلك فأُنزل كتابه إلى محمد بأسلوب رائعهم، وبيان بهرهم، يدعوهم إلى صدقوا إلى الخروج عما هو لهم مما بينا، وإنه لتسير على النفس - وهي بنت الوراثة والعادة - أن تترك ما كان عليه الآباء والأجداد، وتخلص من عادات اختلطت فيها بالدماء واللاجوم، فإن أبوا إلا ملغياتنا وكفراً وتكذيباً لحمد فبا قال إنه من عند ربه وبهتاً كان لهم أن يقرؤا على ما ورثوا، وعلى محمد أن يبيع في داره تاركاً ما ادعى، ولكن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو شيء من مثله، إن كانوا صادقين.

تحداهم الكتاب هذا التحدى وأخذ ينزل في المقدار الذى به يتحداهم من القرآن كله إلى عشر سور إلى سورة واحدة في عبارة فارصة وسخرية لاذعة، وهم ذوو الأثمة والحمية والغضبىة الجائحة المحسرة، واضعاً هذا الإتيان في كفة والآخر إلى لقاء إلى محمد بالسلم في أخرى، وما كان محمد بذى العشرة المتجمعة المتدافعة، ولا الكثرة الموالية المناصرة، فإن عشرينه الأدين كانوا عليه لا له، صامدين ضده لا معه، وهو ذلك الرجل الذى نشأ يتيماً فقيراً لا يملك من حطام هذه الدنيا شيئاً، ولا من جاهها كثيراً ولا قليلاً، سوى ما هيأه له المولى جل شأنه من استكمال صفات النبوة وتوافر ما تحتاجه هذه الدعوة، فتركوا الإتيان بشيء من مثل هذا القرآن وهم فرسان الفصاحة ورجال البيان، وفضلوا أن يبعوا ومخذولين مقهورين، تاركين حميتهم وأنتهم ينالها ما لم يك ينالها من خزي وعار، وأنصارهم وشيعهم يتسللون إلى محمد لو أذا مؤمنين، فما ذلك وعن أى شيء يكون؟ إنه للدليل الناصع والبرهان القاطع على أن أولئك القوم قد عجزوا عن التكلم بمثل هذا القرآن، ولو قدروا لتكلموا ولقارعوا محمداً بالحجة بالحجة، وأخموه حتى تسقط دعواه في يده، وتقع نبوته صرعى لا ترى لها من مقيل.

على أن محمد لم تكده نتيج حوله الأنصار والأتباع، وبحس شيئاً من القوة المادية والمتاع، حتى انتقل من الدعوة باللسان إلى الدعوة بالسنان، فشن عليهم الغارات تلو الغارات، ولم يزل يغادهم بها ويرأوهم، وهو في كل ذلك يتحداهم فلم يك منهم إزاء هذا الموقف الجديد في خشونته، الثقيل في شدة وطأته عليهم وقوته، إلا ركوبه أيضاً كما يركب المضطر صعاب الأمور ويقبل المرغم عجزاً ما تعافه النفوس، ثم لم يزل يعمل فيهم السيف لا سعادهم وهم كارهون، ويقتل منهم الصناديد وهم راغمون، ويحتل عليهم الديار وهم وادعون، طيلة من الزمن كافية لإخراج الصدور، وإخراج ما عسى أن يكون في الكنانة من سهام، فلم يجيبوا عن هذا التحدى على كثرة ما أخرجوا، ولم ينثروا من كنائهم غير الذى ثروا، وبذا حقت عليهم كلمة الإعجاز، وكان الذين آمنوا بها أضعاف من آمنوا بالسيف والقتال، وصح لكل إنسان أن يسوق ما قدمنا دليلاً على الإعجاز إلى كافة الناس دون حاجة إلى التعرض للوجوه الفنية للإعجاز، ولا إلى شرط الوقوف على العلوم البلاغية فيمن يساق إليهم هذا الدليل، ولقد حدث الجاحظ في هذا الموضوع، قال.

بعث الله محمدًا، صلى الله عليه وسلم، أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً، وأحكم ما كانت لغة، وأشد ما كانت عداً، فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته، دعاهم بالحجة؛ فلما قطع العذر وأزال الشبهة وصار الذى بمنعهم من الإقرار الهوى والحمية دون الجهل والخيرة، حملهم على حفظهم بالسيف، فنصب لهم الحرب ونصبوا له، وقتل من عليتهم وأعمامهم وبنى أعمامهم

وهو في ذلك محتج عليهم بالقرآن ويدعوهم صباحاً ومساءً إلى أن يعارضوه إن كان كاذباً بسورة واحدة أو بآيات يسيرة، فكلمها ازداد تحدياً لهم بها وتقريباً لعجزهم عنها، تكشف من نقصهم ما كان مستوراً، وظهر منه ما كان خفياً، بخين لم يجدوا حيلة ولا حجة، قالوا له. أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف، فلذلك يمكنك ما لا يمكننا، قال. فها توها مفتريات، فلم يرم ذلك خطيب، ولا طمع فيه شاعر، ولو طمع فيه لتكلفه، ولو تكلفه لظهر ذلك، ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه ويكابر فيه، وزعم أنه قد عارض وقابل وناقض، فدل ذلك المساقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستجابة لغتهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم، وكثرة من هجاه منهم وعارض شعراء أصحابه وخضباء أمته، لأن سورة واحدة وآيات يسيرة كانت أنقض لقوله، وأفسد لأمره، وأبلغ في تكذيبه، وأسرع في تفريق أتباعه، من بذل النفوس والخروج من الأوطان وإتفاق الأموال، وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش، العرب في الرأي والعقل بطبقات، ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة، ولهم الأسجاع والمزدوج واللفظ المنثور.

ثم تحدى به أقصاهم بعد أن ظهر عجز أدنائهم. فحال أكرمك الله أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط في الأمر الظاهر والخطأ المكشوف البين مع التقرير بالنقص والتوقيف على العجز، وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة، والكلام سيد عملهم وقد احتاجوا إليه، والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة؟ وكما أنه محال أن يطيقوه ثلاثاً وعشرين سنة في الأمر الجليل المنفعة، فكذلك محال أن يتركوه وهم يعرفونه ويجدون السبيل إليه وهم يبذلون أكثر منه.

هذا ما قاله إمام المترسلين وزعيم البيانين أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في الإيداع على أن عجز العرب عن مجازاة الكتاب كان حقاً واقعاً، نقله التواتر الصحيح الذي لا يتطرق إليه شك ولا تأويل، ولقد رأيت إثباته هنا إدعائاً لما قد مت عن هذا العجز وتأيداً، فهو الحجة البالغة والبينة القاطعة لمن لم يرد الدخول فيما ستأتي عليه من تفاصيل الإعجاز وبيان الوجوه التي اغنورها في شأنه العلماء، أو هو مقدمة لما سيكون إن شاء الله.

السباعي السباعي

ثقافة مصر

هل تكونه عربية أم فرعونية؟

هذا عنوان لمناظرة دارت بين الأستاذين عبد الله عفيفي المحرر العربي بالديوان الملكي، وحسن صبحي المحرر بجريدة البلاغ، دعا فيها الأول إلى العربية، ودعا الثاني إلى الفرنسية؛ وقد أيد الأول كثيرون، منهم الأستاذة: زكي مبارك، والسباعي السباعي بيومي، ومحمد المرأوي، وعبد العزيز الاسلامبولي؛ وانتصر للنائي آخرون من الأدباء، يحضرنهم اسم الشيخ عبد الجواد رمضان .

وقد فازت فكرة العربية على الفرعونية، ولخصت جريدة « البلاغ » الغراء أقوال الفريقين، ومنها رأى صاحب « المعرفة »؛ وهو ما نقله هنا كما ورد بنصه في « البلاغ » عدد ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٣٣ . وقد كنا نود كتابة بحث واف في هذا الموضوع، وتأييده بما كتبناه في عدد أغسطس سنة ١٩٣٣، قبل ذبوع هذه النمرة أخيراً، ولكننا اكتفينا بنشر هذا الملخص، راجين أن تقف المسألة عند هذا الحد .

رأى الأستاذ الاسلامبولي

لست أعدو الحق حين أقرر أن الفريقين يتخصصان في غير قضية، ويتناظران في غير دعوى . ولو سلمنا جدلاً بوجود اختلاف في فكريتهما، فإننا نراه خلافاً في العرض دون الجوهر، وتنازلاً على الفروع لا على الأصول .

فأنا مثلاً أسلم جدلاً بأننا فراعنة، وبعبارة أصح مصريون، على حد التعبير الأخير الذي ارتضاه زميلي الأستاذ صبحي بعد عدوله عن التسمية الأولى .

ومواء لدى أعدلت التسمية أم لم تعدل، فإنني أوافق زميلي على طول الخط، لكي أجره إلى الاعتراف بأن دعواء تحمل في ثناياها أدلة العروبة، والعروبة الصادقة إلى أقصى حد .

وآية ذلك أن علماء الأسماء (وهذا هو المنطق الذي يحاجنا به الزميل، والسيف الذي

يرفعه في وجوهنا) وعلى رأسهم الأستاذ برستيد عالم الآثار العالمي والمؤرخ الأمريكي المعروف، قرر أن قدماء المصريين دخلوا مصر من الصحراء الشرقية ، كما قرر أيضاً أن قبائل أخرى منهم جاءت من الصحراء اللووية ، وأن الفريقين يمتان معا إلى السامية .

فإذا نستنتج من هذا ؟ لا شك أنا نستنتج أن الفاتحين الأولين ، أو المتوطنين الأقدمين ، عرب خلص ، أو عرب لحماً ودماً إن شئتم .

وما لي أذهب بحضراتكم بعيداً، ولا أحدثكم بما سمعت من نصف عام واحد في هذا الموضوع . جاء مصر في هذا العام العلامة الألماني الكبير الأستاذ « هرمان جرابو » أستاذ الحضارة المصرية القديمة ولغاتها بجامعة برلين ، والعضو المختص بالبحوث العلمية في مجمع بروسييا العلمي ، وقد قضى خمسة وثلاثين عاماً — مع الأستاذ العالمي « أدولف إرمان » الملقب بأبي الحضارة المصرية القديمة ولغاتها — في وضع قاموس كبير في تلك اللغة ، بلغ خمسة مجلدات مجموع صفحاتها ٢٨٠٠ من الحجم الكبير .

جاء مصر هذا الأستاذ ومعه نسخة من قاموسه قدمها لجلالة مولانا الملك ، فانتهزت فرصة وجوده بين ظهرائنا، وقابلته في دار جمعية الشبان المسلمين، حيث ألقى محاضرة عن ذلك القاموس . ثم تحدثت إليه في أمور شتى ، أهمها أصل قدماء المصريين ، فصرح لي بما خلاصته أنه يرجح كثيراً أنهم من أصل عربي، وقد نشرت هذا الحديث في مجلة « المعرفة » عدد يناير سنة ١٩٣٣، فليرجع إليه من شاء .

فاذا صح هذا ، وهو صحيح لا يحتمل جدلاً ، ثم إذا أضفنا إلى ذلك اعتراف الزميل الأستاذ صبحي في هذه الليلة اعترافاً صريحاً لا لبس فيه ولا غموض ، بمعنى ما قدمنا ، خلصنا إلى الجوهر ، وانتهينا إلى الأصل ، فاذا بالعرض يزول ، والفرع يتبع أصله ؛ وإذن فلا دعوى ولا قضية، ولا خلاف ولا تناظر .

وأخيراً لست أراني أيها السادة في حاجة إلى تذكير حضراتكم بأن العالم وقت أن كانت تتنازعه سلطتان مبسوطتان أو دولتان قويتان : الدولة الفارسية التي ملكت الشرق ، والدولة الرومانية الشرقية التي حكمت الغرب ، لم تستطع منذ أربعة عشر قرناً قوة ما ولا مدينة ما ولا أمة ما ، التغلب على هاتين الدولتين، غير دولة العرب الناشئة، التي بلغت في أقل من مئتين عاماً ما لم تبلغه كل من سابقتها في مئات السنين .

أيها السادة لقد أوجد دين العرب أمة من أشقات متفرقة، فكانت (العرب) ولم تكن (الفرس) أو (التركستان) أو (الهند) أو (الأفغان) ، أو ما شاكل ذلك مثلاً .

أكنت ترى هذه الإمبراطورية الهائلة — وقد جمعها الدين في قانون واحد ، ولم شعبها [البقية على الصفحة رقم ٤٤٢]

أوروبا كما رأيتهما

من حديث شائق مع الشيخ المحترم

عبد الباقي عامر بدران

عضو مجلس الشيوخ

سائح في طليعة رحلاته ، وفي مستهل جولاته ، ولكنه مع ذلك حقيق أن يكون في هذه الفئة القليلة التي لا تفاخر الناس بما طلعت عليه من مشاهد الدنيا في صورها الجامدة من أبنية وتماثيل ، وإنما تفاخر الناس بأنها استوعبت الأمم في ضوء كله دراسة ، وفي كتاب لا يجون فيه ولا طو . والذين يلتزمون الدراسة الوافية في رحلاتهم إنما يكابدون ألواناً وصوراً هي مزيج من العسر والضيق ، والبشر والغبطة ، لأنهم يريدون التعرف إلى كل شيء ، بعيداً عن زخارفه التي تحوطه من أعمال صانعيه ، فهم مقبلون أبداً على ضروب من التساؤل ، حتى إذا ما انتهوا إلى جواب سديد بلغت بهم الغبطة أقصى غاياتها ، ومنتهى ما اتصل إليه من حدود . أتدرى بعدئذ من هو هذا « السائح » ؟ هو الشيخ المحترم الأستاذ عبد الباقي عامر بدران ، وأنت تعرفه ما في ذلك من ريب ، تعرفه من حديثه الجامع عن « السلاح والمخدر » الذي نشر في « المعرفة » في عدد نوفمبر سنة ١٩٣٢ .

وأنت ملأ في هذا الحديث الطريف أفواجا من الآراء التي أتركها لك وحدك لتذيع في جوانبك مقدارها وخطرها وأثرها . . . وهو حديث ابتكرته رحلة الشيخ المحترم إلى فرنسا وسويسرا وإيطاليا للمرة الأولى مع الصيف . قال الشيخ المحترم :
الشرق والغرب

ليس في مقدور فصل واحد أن يجمع إليه أنباء هذه الرحلة أو مشاهداتها جملة واحدة في شيء من التفصيل والدراسة ، فكل ما في أنبائها جليل يدعو إلى الإسهاب ، خطير يدعو إلى الإطناب ، ولكنني مع ذلك سأقصر الحديث معك على بضعة وجوه أستطيع القول بأنها في صميم ما تعني « المعرفة » ببحثه الآن ، منها ما يتصل بالتربية ، ومنها ما يتصل بالاجتماع ، ومنها ما يتصل بغير هذين الضربين من وجوه المسائل التي يستشعر القارئ الشرقي فيها شيئاً من النفع ، وشيئاً آخر من الخير .

وقبل أن أسترسل معك في القول ، أود أن أجابك بحقيقة واحدة ، هي أن هذه الرحلة إلى أوروبا كانت مستهل رحلاتي إلى الغرب ، وأني كنت ألزم في التفكير فيها حالة هي مزيج

من الغبطة والرجاء ، الغبطة بما تتيحه لى من شهود الغريبين فى ربوعهم ، والرجاء أن يكون نتاج هذه الرحلة من ذلك النوع الذى يذيع فى المشاعر ألواناً جديدة من الحقائق ، حتى أستطيع بهذا كله أن أجيب عن ذلك السؤال الأبدى : لماذا تقدم الغرب وتأخر الشرق ؟ .
والواقع أن الغبطة التى توفرت على من وراء هذه الرحلة القصيرة الأمد ، لم تكن بالشئ المذكور إلى جانب الكسب الكثير الرائع الذى بلوته منها ، وهو فى تفصيله وجملة جواب حاسم عن ذلك السؤال ، وحجة ناهضة على أننا نستطيع - متى أردنا ذلك - أن نساير الغريبين جنباً إلى جنب . !

لقد يبدو هذا القول خيلاً واسع المدى ، ولكنه لن يكون إلا حقيقة ناصعة كالشمس ، حين نبذل قصارى الجهد فى تزويد الناشئة بضروب من التربية المألوفة فى بلاد الغرب ، وأعنى بها التربية التى لا تقوم على دعامة من الترهيب والتخويف والجهالة العمياء . . فإذا استطعنا أن ننبت الناشئة فى كنف هذه المنزل ، كان علينا أن نحو هذا السؤال الأبدى ، وأن نقول فى كثير من المباحة : إن مصر قطعة من أوروبا ، وإنها تمشى مع الحضارة فى خطوات لا تملكها فيها ولا التواء . . !

ولا خلاف على أن هذه الرحلة الأولى قد أتاحت لى أن أجابه ألواناً أخرى فيها ما يثير دهشة المصرى الذى يرى أن مظاهر بلاده البارزة قد اختلفت أمام ناظره جملة واحدة ، وفيها ما يثير إعجابه ، وما يثير حفيظته بعض الشئ . .

متناقضات

لقد ألفنا فى محيطنا الأزياء المتعددة ، بين العمامة على ألوانها ، وبين الطرايش والقبعات ، وبين ضروب أخرى من لباس الرأس ومن دثار الجسم معاً ، ولقد عشت كما يعيش المصريون جميعهم فى ظل هذه الظاهرة ، وتلجج المشاهد ، حتى إذا ما استقبلت فى «مارسليا» - وهى أول مشاهد الغرب - إذ بهذا القلق فى الأزياء يختلف جملة واحدة . . ! فلا عمامات ولا طرايش ولا أثواب فضفاضة ، لا شئ من هذا التنافر كله ، وإنما برزت الوحدة كاملة مهيبة على الرؤوس ، فاستطعت أن أومن بأن هذه الوحدة فى الأزياء قد أتاحت للشعب كله أخوة صادقة وإجلالاً رهيباً . . وما الوحدة إلا بث روح التعاون الذى يحى فى النفوس الإخاء والصفاء .
ولقد ألفنا فى محيطنا المشية الهادئة الخاملة ، حتى ونحن فى طريقنا إلى العمل ، وألفنا هذه التؤدة ، وأضفنا بها إلى سمات الجد والوقار . . ولكنى رأيت العجب العاجب حين انتهيت إلى «باريس» مع الصبح . . ! حركة دائبة ، السائرون على أقدامهم يسرعون الخطوات وكأنهم فى طريقهم إلى حفل منشود ، وتلك وجوههم لا تلتفت بحاجزهم إلى هذا الجانب أو ذاك ، وإنما هى دائماً إلى الأمام . . ! إنهم فى طريقهم إلى أعمالهم يسرون سراعاً ، وفى ذلك كله ما يبدل على أنهم قوم جادون ، وأن الوقت عندهم من ذهب . !

أما اللون الذي أحفظ صدرى ، فإنه لون فاتم حقاً . . ! أتدرى من أمره شيئاً ؟ سأهمس بأمره فى أذن قرائك همساً ، حتى لا يبلغ إلى آذان مواطنينا الموظفين فى مصلحة الجمارك . . ! لقد احتملنا حقائبنا معنا إلى الميناء ، ميناء الإسكندرية ، ولقد كانت شخصيتنا من جانبها الرسمى - على الأقل - معروفة لموظفى الجمارك ، ولكنهم مع ذلك هياؤا لنا وقفة انتظار طويلة الأمد ، حتى يقبلوا حقائبنا رأساً على عقب ، فأمنت أننا ملاقون فى فرنسا وفى جاراتها ضروباً من العنت متى انتهينا إلى موائلها ، وكان حتماً على أن أومن بذلك ، لأننا فى مينائنا المصرى لم نتج من تلك الوقفة الطويلة ، فكيف بنا حين نطلق علينا كلمة « أجنبى » ، على أنه أمر غريب حقاً أن يكون موظفو الجمر فى فرنسا وفى سويسرا وفى إيطاليا - على الرغم من أعمالهم الكثيرة الشعب - أوفر نشاطاً وأجزل سهولة ، فهم لم يقبلوا الحقائب رأساً على عقب ، ولم يهينوا لنا هذه الوقفة الطويلة التى تفضل بها علينا مواطنونا الأعزاء فى الثغر السكندرى . وأنت تدرى من وراء هذه المعاملة قوة الانتباه التى تسيطر على أولئك الغربيين فتدعوهم إلى تزويد الوظائف رجال تدل أعمالهم على الكفاءة والخبرة .

أليس فى هذا ما يدعو إلى حفيظة الصدر ؟ إني أرجو أن أباعد عن قرائك أشباه هذه المقارنات فى الأزياء ، وفى السعى وراء العيش ، وفى تزويد الوظائف بالرجال العاملين ، حتى أنهى بك إلى جوانب أخرى ، فيها ما يفصح لك عن طائفة من الأسباب التى اتاحت للفرنسيين أن يكونوا أمة لها طابعها البارز بين الأمم جميعاً . .

الفلاح والقرية

أنت تدرى أنى ألتزم الحياة الزراعية أكثر العام ، وأن القرية تسام مع هذه الحياة بتصيبها الحافل ، وأنت تعلم من خصب التربة المصرية ما هو مضرب المثل ، كما تعلم من شأن « القرية المصرية » الشيء الكثير ، فلم يكن هنالك ما يزيحنى عن التفكير فى معرفة الفرنسيين من هذين الوجهين معرفة صادقة قائمة على التجارب . . . وأى شيء أقول لك إني خرجت به من هذه التجربة . . . لن أسهب فى القول ، وإنما أكتفى بأن أقول لقرائك إن الفرنسيين جديرون بمكائهم حقاً . . . إنهم يفتنمون بكل شبر من أرضهم الصخرية التى لا رخاوة فيها ، وإن فلاحهم ليبدو - فى حلتة النظيفة وفى مظهره الأنيق البسيط - مثلاً للرجل السكامل ، فهو يفلح الحقل ، ولكنه مع ذلك رجل مستنير يسار أحداث أمتة خطوة خطوة ، وله فيها رأى ، وله فى تدبيرها أثر ، وهو يفلح حقله ، ولكنه مع ذلك لا ينسى حق بيته ، فله الأسرة السعيدة ، ولأطفال الذين يشبون بين أدوات الزراعة ، وإلى جانبها ألوان من الكتب والصحف .

أما القرية الفرنسية ، فإنها جذيرة بأولئك الريفيين الأصحاء السعداء ، أنيقة مسرفة فى النظافة ، تكتمل فيها أسباب الترفيه ، لن يفد عليها دون أن يعرف من رجالها أحد ، ففيها المطعم والمقهى والنزل ، ولها الطابع الدال على بالغ الهدوء والدعة .

لون الحياة في باريس

وأنتقل بك الآن إلى باريس ، وأنا أعلم ما تنيره هذه المدينة في أذهان قرائك لاوهلة الأولى ، إنهم حيالها على كثير من التناقض ، يرى بعضهم أن باريس جماع اللهو والخلاعة والمجون ، وأن كل ما فيها لا حياة له إلا مع اللهو ، وقليلون جداً هم أولئك الذين يترفون لها بظاهرة من الجذ ، وما أشك في أن آمال السكثة الغالبة ستنهار جملة واحدة ، حين أصارهم القول بأن الباريسي لا يمضي طيلة يومه في دعاية ولهو ، وإنما هو يسير نظاماً لا يعدوه ، فالأسرة قبل كل شيء ، والعمل بعد ذلك في سبيل وطنه أول كل شيء .. ثم ينصرف بعدئذ إلى الترويح عن نفسه كما يفعل كل إنسان ، ولكنه يمتاز عنا بأنه يرفقه عن نفسه وهو يفكر في غده ، فلا يغفل في اللهو ، ولا يسرف في الدعاية . وما مظاهر اللهو في باريس إلا أثر من اكتظاظها بالوافدين عليها من كل فج ، رجاء الترفيه وحده ، أما الباريسيون أنفسهم فقلما يباعدون هذه الظواهر التي أجملتها لك دون تفصيل ...

إن الباريسي يحمل على وجهه من بداءة الطفولة ميسم الجد والطلاق ، لأنه يجد إلى جواره أباً وأماً يساعدانه على أن يشب وفي طويته روعة الرجولة في طلاقة الرجل الحر .. يجيبانه إلى ما يريد ، حتى لو كان ذلك الذي يريده سيراً في غير اتجاه ، كما رأيت بعيني ، فقد شهدت طفلاً يمسك بيد أبيه ويقول له : « هيا بنا » ، وشهدت الرجل يسير صغيره دون أن يقول له : « إلى أين ؟ » أو « أقعد » أو يستعيض عن هذا كله بلطمة تلزمه عرض الحائط ، ثم شهدت إلى ذلك منظرًا عجيباً يدل على أنهم يخرجون أطفالهم إخراجاً روحياً حتى يتأني لهم من الأسباب ما يعرفون به الحياة على وجهها الكامل .. كان ذلك في « دوفيل » ، وكنت أسير على الشاطئ الجميل ذى الرمال الناصعة — شاطئ المانش — صحبة صديق فرنسي ، وكانت نظراتي كلها متجهة إلى ما يحيط الشاطئ من فتنه ، إلى أن وقع نظري على بضعة أطفال يجلسون حول تمساح وبأيديهم معاول من حجار ابتكرت للعب ، ولكنهم تابعوا بها أعمالاً لا تتمشى مع الألاعيب ... لقد كان التمساح جاثماً على الرمال وكأنه يريد أن يتحرك ، ولقد كدت أن أشفق على الأطفال الصغار من فقه أن ينفرج فيأخذهم إلى باطنه ، ولكن التمساح لم يكن إلا عمل من أعمال الأطفال أنفسهم ، ولم يكن هيكله بصورته الطبيعية إلا مأخوذاً من ألوان الرمل والحصى والقواقع ، على الرغم من أنهم لا يعرفون التماسيح إلا بين طيات الكتب .

أليس في ذلك أبلغ الدلالة على أن الفرنسيين يتجهون بأطفالهم إلى لون من التربية الاستقلالية التي تهيب لمواهبهم أن تنمو معهم نمواً كبيراً ؟

الأميرة الفرنسية

ويطيب لي أن أنتقل بك إلى الأميرة الفرنسية ، فأقول لقرائك إن التعرف إليها ليس — كما يبدو — هيناً سهلاً ، فإن الفرنسيين على الرغم من بساطتهم يتابعون الحذر في كل شيء ،

ولكنهم متى أمنوا جانب صديقهم الأجنبي أخلصوا له وبالغوا في إكرامه ، حتى لينصرف ذهنه إلى التفكير في أنهم شعبة من العرب أو أشرف المصريين .
لقد تعرفت إلى أسرة فرنسية عريقة نامية الدوحة ، شريفة سامية الشرف ، لها الصيت البعيد ، والجاه الواسع - وأرجو أن تعذرني من ذكر سيدها لك ، لأنني لم أستاذنه في ذلك - وكان تعرفي إلى هذه الأسرة منار تجربة كلها خير وقع ، فعرفت من ظواهر الكرم الشيء الكثير ، وأدركت أنهم لا يكرمون الضيف لقاء أحر منشود ، وإنما يكرمونه ملحين عليه ألا يكون الأجر المنشود سوى أحدىثة طيبة يعطر بها وطنهم الخالد ، كما تحدث عنهم إلى مواطنيه !

الحرية والروح القومية

هذه الدعوة الواسعة المخلصة للوطن تدعوني إلى التأكيد لك أن كل فرنسي يشعر في نفسه شعوراً عميقاً بأنه رجل مسئول .. يعنيه من شأن وطنه : الجليل والتافه ، وهذا الشعور وحده قد أزمهم ألا يصلحوا من شأن هذه الثغرة التي تشوه إحدى أبديتهم الرسمية الجميلة ، لأنها أثر من آثار قتال الألمان في الحرب العظمى ، وهم يريدون لهذا الأثر أن يبقى ، حتى تعلم أجيالهم كلها شأنه وما يرتبط به من حوادث ، فلا يكون من همهم إلا أن تزكو في صدورهم حرارة الإيمان بحرية وطنهم الأقدس .

وإنه لمن أبلغ الظواهر دلالة على عميق رعايتهم للحرية ، أنك لا تقع بينهم على خصومة يخلفها خلاف في الرأي ، وأعنى بها الخصومة الحادة العنيفة ، فلكل فرنسي أن يجاهر برأيه ، وأن يبتكر له الأسانيد والمخالف التي يذيعه فيها ، ولكل فرنسي أن يجاهر ببعيدته ، وأن يساهم بها في غمار الأحداث التي تلتف من حوله دون أن يجد لأحد من سلطان عليه إلا سلطان القانون !..

ولقد كسب الفرنسيون من هذه الجوانب الحية ، في تربيتهم وفي حريتهم ، كل مظاهر الديمقراطية والنظام ، فأنت تعجب بهم لا يتكالبون على ركوب السيارة أو الترام ، ولا يترحمون حولها بالمناكب ، وإنما يلتزم كل منهم مكانه الذي تلزمه إياه ورقة صغيرة يقطعها من سجل في محطة (الأوتوبيس) ، فلا يعدو الرقم الذي احتسب له ، ولا يتذمر أو يتور .

وأنت تعجب بهم - وقد شاهدتهم أمام دار الأوبرا يوم عيد الحرية في ١٤ يوليو - يقفون وراء بعضهم بعضاً يترقب كل واحد منهم دوره في احتمال تذكرة من شباك المسرح تبيح له أن يشهد التمثيل ليلة العيد دون أجر . إننا هنا نتقاتل على هذا اللهو المجاني في سرادق من سرادقات الأفراح ، ولكنهم هناك لا يبالون بأصاب واحد منهم حظه في شهود التمثيل أم أخطأه حظه فنأى به عن شهوده .

أكثر ما في باريس إذن يدل على الديمقراطية الواضحة ، ولكن خير الوجوه التي تمثلت

فيها تلك الديمقراطية والتي شاهدها في زيارتي لجامعة فرنسا « السوربون » أن الجامعة كانت حافلة بالكثيرين من العظماء، فلما استوضحت الخبر علمت أن الرئيس الأعلى للجمهورية ميسو « لبران » قد وفد على الجامعة ليوزع الجوائز على المتفوقين من صغار التلاميذ في امتحاناتهم، ولقد دلتني مظاهر البشر الواضحة على وجود التلاميذ، وهم يتقبلون الجوائز، أن واحداً منهم لن يعثر في مستقبله عثرة تنسيه هذه الساعة العزيرة عليه .

مصر في باريس

كل هذا، ولم أذكر لك شيئاً عن مصر في « باريس »، فالآن أذكر لك أن زيارتي للسوربون قد هيأت لي أن أفكر في مصر بشيء كثير من حماسة الوطنية وحرارتها . ولقد فكرت في الوطن وذكرته حين علمت أن « باريس » تزدهم بالطلبة المصريين، ولكنني أسفت جداً للأسف وعميقه، لأن مصر — ولها شأنها في أذهان الفرنسيين أنفسهم، ولها علاقتها الثقافية بكل ما هو فرنسي — لم تأخذ مكانها اللائق بها بين مثيلاتها من الدول التي توفد بعوثها العلمية إلى باريس !

إن أكثر الأمم التي تربطها بباريس أواصر من العلم قد شيدت لها قصوراً يسكنها الطلاب طيلة عهدهم في الدراسة، ولقد زرت قصر المغاربة، فألفتيت الطلبة فيه — وهم أبناء وطن واحد — قد جمعوا شملهم واتخذوا لهم في حياتهم طابعهم الوطني المألوف، ثم تلفت طويلاً على أمل أعثر على قصر الطلبة المصريين، ولكنني لم أجده ظلاً ! أليس هذا بالامر الغريب ؟

إنه غريب حقاً، لأن وجود الطلبة المصريين في بيت واحد، يهيء لهم أن يكونوا شعبة لا تنافر بينها ولا فراق، ثم إنه يتيح لهم أن يتنافسوا في الدراسة والتحصيل، ثم هو إلى ذلك كله يزيد في أواصر التعاون بينهم، فلا يكونوا حين عودتهم إلى مصر إلا قوة موحدة الطبايع والميول ! ثم أليس محزناً حقاً أن أعلم — وأنا في « باريس » — أن طالباً مصرياً أقعده المرض فلم ينهض أحد إليه في كبوته إلا واحد أو اثنان، لأن إخوانه لا يعلمون أين يقيم ؟ ثم أليس محزناً حقاً أن يعيش الطلبة تحت رحمة القلق الذي يساور النقد « العملة »، فترفع أجور المساكن عليهم حيناً حتى تستغرق الجانب الأكبر من رواتبهم على حين أنهم في حاجة إلى التفكير في التحصيل العلمي وحده ؟ إنني أضع هذه الصور المحزنة كلها حيال الحكومة حتى يكون لها من شهودها ما يحفزها على أن تعجل بتشيد القصر المصري في باريس، لأنه إلى جانب ما يؤديه للطلبة من خير إنما يؤدي لمصر حقاً من حقوق الدعاوة المحتومة عليها في كل حين .

السفارة المصرية في باريس

ومادام الحديث قد استاقنا إلى البحث في فضائل الدعاوة لمصر، فدعني أذكر لقراءتك بالخير ذلكم الرجل العظيم « محمود فخرى باشا » سفيرنا في باريس .

إنه لمن أبعث دوافع الأسف إلى نفسي أني لم ألتق به في فرنسا، لأن برنامج رحلتي فيها لم يهيء لي شرف التعرف إليه في تلك الفرصة السعيدة التي أناحها لزملائي حين دعاهم إلى الغداء

على مائدته في قصر السفارة المصرية ، ولكن الحديث الطيب الذي سمعته من أولئك الزملاء ، ومن كل مصري لقيته في فرنسا كلها ، قد أتاح لي أن أعلم كثيراً من الفضائل الطيبة التي يمتاز بها هذا السفير العظيم ، وما من شك في أن سعادته يمثل مصر في بلاد الفرنسيين تمثيلاً ليس أصدق على نبالته وجلالته من ذلك العطف الجزيل الذي يسبغه عليه مولانا المليك . ومن هذه الأحداث الطيبة التي يترطب بها اسان كل مصري في الخارج .

بنك مصر — فرنسا

وإلى جانب الدعاية المنتجة التي يقوم بها سعادة فخري باشا ، تقوم مؤسسة « بنك مصر — فرنسا » في باريس ، وأولئك المصريون الذين استوعبوا تلك الخدمات الجليلة التي يؤديها لهم موظفو البنك المصري في عاصمة فرنسا ، ليعتقدون كثير الاعتقاد أنهم مدينون بالشيء الكثير من راحتهم إلى هذه الأيادي الطيبة التي يسديها إليهم أولئك الموظفون ، فلتكن إذن هذه الخدمات منار حذب منا على هذه المؤسسة المصرية في بلاد السنين ، حتى تنتهي إلى أوج النجاح ، وما أعتقد إلا أنها ماضية إلى النجاح حقاً ، أليست هي إثارة من تفكير ذلكم الرجل الخصب الفكر « محمد طلعت حرب باشا » ؟ ثم أليس الموظفون فيها مصريين يحق لنا أن نصفيهم إلى جيش الدعاة المتحمسين لمصيرتنا في باريس ... ؟ دعني أحمد إليهم جميل صنائعهم ، وأشكر لهم جزيل أياديهم ، فإن في ذلك اعترافاً صريحاً ما أحسبني إلا مديناً به لهم أبداً الدهر .

الدعاية لمصر

وإنه لمن بواعث الأسف حقاً — وأنا أتحدث إليك عن فضائل الدعاية لمصر في الخارج — أن أذكر لك بأني التقيت في « سويسرا » بواحد من أهلها ، فلما تطرق بنا الحديث إلى ذكر مصر ، إذ به يحفلها وكأنها مفقودة من خريطة العالم .

عبقريّة المليك

ولكنه أمر يدعو إلى وفور البشر وبالغ الغبطة أن مولانا صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول حفظه الله ، قد أدرك بسامي حكمته وثاقب رأيه ، أن الدعاية لمصر خير وأجدى من ذلك الصمت الذي تلتف به ، وإذا كان جلالته قد أسبغ آلاءه على سراقنا العامة ، ما يتصل منها بالتعليم في الأزهر وفي غيره من المعاهد والجمعيات العلمية ، وما يتصل منها بالصناعة والزراعة وما إليها من أخلاف الشؤون الداعية إلى رقي شعبه السعيد بحكمه وقيادته الموفقة السديدة ... إذا كان جلالته قد أسبغ هذه الآلاء الجليلة على شعبه ، فما من شك في أن عنايته السامية بالدعاية لمصر في الخارج قد هدته إلى انتهاز فرصة انعقاد مؤتمر السياحة القادم ، فأذاع بين الفنانين مسابقة الدعاية عن السياحة بمصر أتاح للفائز الأول فيها كأساً ذهبية تحتفظ بها لعام كامل .

إن هذه الفكرة السامية تخلق لمصر أحد وثقة طيبة ، وليس ابتكارها بالأمر العسير على عبقرية جلالة المليك ؛ تلك العبقرية التي تمثل ثروة الأمة العقلية ، ما في ذلك ريب .

سويسرا

وأجل ما يثيب لي ذكره عن « سويسرا » أنها دون جدال « فندق العالم » ، وأن مناخها

وطبيعتها الساحرة قد وفرت عليها أسباب التفرد بمشاهد لا ضريب لها بين ما رأيت من مشاهد الطبيعة. أما نظافتها فيكفي للإشادة بها أن أحدثك بأني حين تركت القطار بعد سفرة طويلة من باريس، كان دخان القاهرة قد زود وجهي خلاها بشئ من أخلافه، فحين طلبت إلى خادم الفندق أن يتقدمنى إلى بيت الماء حتى أمحو به هذا الغبار، أجابنى إلى ما طلبت وهو يقول: «إنك ياسيدى قادم من فرنسا، أليس كذلك؟»، ثم استوضحته السبب لأنى رأيت أكبر من بديته، فقال: أجل إنك ياسيدى قادم من فرنسا، لأن بلادنا لا يوجد فيها هذا الغبار !

عبر الوطن

أما إيطاليا، فليس أدعى على الإمتاع فيهما من مشاهد «فينيسيا»، ومن مرأى «البندقية» ذات المسالك المائية الرائعة الفتانة، ومن مباحج «ميلانو» المتأثرة بعماثرها الرفيعة ذات الوجوه الرخامية الباعثة على أعمق معانى الغبطة والبشر.

إن جو إيطاليا قد هدانا إلى عبر الوطن، ولقد كانت الباهرة «أوزونيا» تلهف معنا إلى الوادى، وكان كل شئ يهتف بنا أن الوطن خير وأبقى . . .

ثقافة مصر

[بقية المنشور على الصفحة رقم ٤٣٤]

تحت راية واحدة، وأخى بين أجناس أبنائها فى سمط واحد — تدين لغير العرب، وتطلق بغير العروبة، وتنادى بسوى العربية؟ كلا ثم كلا .

لقد رأينا العرب — وقد قوضوا ممالك كبرى وقصر، ونشروا سلطانهم من حدود الهند حتى شواطئ المحيط الأتلانتيكي — وهم فى كل ذلك عرب لم يشب جسيميتهم شعوية ولا نبرة قومية، فكانت العصبية سر نجاحهم، كما كان العامل اللغوى سبب ترابط مملكتهم المترامية الأطراف .

فالمدينة التى استطاعت أن تتغلب على مدينتى الرومان والفرس، وأن تتغلغل فى أوروبا سبعة قرون، فتفرض سلطانها على مدينتها العالمية فرضاً، مثل هذه المدينة محال أن تؤثر فيها نبرة كنعرة اليوم، أو تقوض من بنيانها لبنة واحدة ففكرة لما تحتتمر بعد، أو تنال من عزتها المنبعة الجانب عاطفة لم تستقر على وحى من العقل، ولا إلهام من التفكير والمنطق .

فاطمئنا إليها السادة على العروبة، واذكروا دائماً أننا عرب، سواء أنشاء خصومنا أم لم يشاءوا، واذكروا إلى جانب ذلك أننا لا نهدم عزتنا المصرية، ولا نقفل من شأن تاريخنا المصرى، أو ننسى روحنا المصرية، وقوميتنا المصرية، وتقاليدنا المصرية، ولكننا نفسى شيئاً واحداً فقط، فى سبيل زعامتنا المصرية التى انتشر ظلها فى أرجاء الشرق وبلاد العربية جمعاء، ذلك الشئ الذى نود لسيانته فى هذا المجال هو الشعوية التى تقوض الأمم وتبديد الشعوب، وقد يما قرر دين العرب أن لا شعوية فيه والسلام .

اللغة والشعر والنثر

في جزيرة العرب

[من كتاب تحب الطبع بعنوان: قلب جزيرة العرب]

بقلم فؤاد بك حمزة وكيل خارجية الحجاز

اللغة

إذا استثنينا العدد القليل من مهاجرة العالم الاسلامي المجاورين في الحرمين الشريفين ، فإننا نستطيع القول: إن اللغة الوحيدة في البلاد هي اللغة العربية ، وبالرغم من وجود العناصر الأجنبية عن العربية في الحرمين الشريفين وما صاقيهما ، فإن لغة التخاطب بين هؤلاء الأعراب أيضا إنما هي العربية . وبالنظر إلى كثرة الوافدين في موسم الحج على بيت الله الحرام من أنحاء العالم الاسلامي وضرورة القيام على تعهدهم والعناية بشئونهم ، فإن كثيرين من أهل الحرمين يتقنون عدة لغات أجنبية يستطيعون بواسطتها أن يتفاهموا معهم .

وقد اعتور اللغة العربية في المدن الحجازية وسواحل الخليج الفارسي شيء كثير من الوهن والضعف ، وخالفها كثير من الألفاظ والتعابير الأجنبية ، حتى إن الملاحظ ليدهش من كثرة الألفاظ المعربة والدخيلة مما دخل في قاموس القوم ، وبالأخص العوام منهم ، ويحزن من ضعف شأن اللغة وقلة العناية بدراستها .

ولسنا هنا في معرض الدخول في تفاصيل هذه الكلمات الدخيلة أو العبارات الأعجمية ، ولكننا أوردنا قليلا من كثير مما هو شاهد على خفض حال اللغة العربية في مدن الحجاز واختلاطها بكثير من اللغات الأعجمية وإهمال أهلها لها .

واللغة الفصيحة واحدة بالطبع في جميع الأنحاء ، إلا أن اللهجات المحلية تختلف اختلافا بينا ؛ فلهذا أهل الأمصار الحجازية — كما ذكرنا — لغة عالمية تشوبها كلمات وتعابير أجنبية عديدة ، وللكلمات مقاطع ونبرات ونغمات مختلفة قد بمدت عن أصلها العربي ، حتى إن الألفاظ الفصيحة — هي بالرغم من بقائها صحيحة التركيب — قد تطرق إلى تلفظ شيء حادث لا يشاهد عند سائر أبناء العرب .

وأما حاضرة نجد فإنها أقرب إلى اللهجة الفصيحة من حاضرة الحجاز ، وما سبب ذلك إلا بُعد أولئك عن مخالطة الأعاجم وقلة الدخيل في لهجاتهم الأصلية ، ومع ذلك فإن اختلاف اللهجات بين البلدان المختلفة واقع ومشاهد .

وأما البداية فإن إطلاق تعريف شامل على لهجاتها غير ممكن أيضاً ، فهناك بداية ما تزال لغتهم أقرب اللهجات منها إلى اللغة الفصيحة ، على حين أن هناك آخرين ليسوا من الفصاحة على شيء . وأهل نجد أصرح لغة من أهل الحجاز ، لقرب هؤلاء من الحرمين واختلاطهم بالأجانب ، وبعد أولئك عن كل تلك العوامل ، ولكن أفصح اللهجات وأقربها إلى الفصيحة ، فيما نعتقد ، هي اللهجات اليمنية الواقعة ما بين جنوبي الحجاز وشمالي اليمن . وكثيراً ما سمعنا هل هذه البلاد يلفظون الكلمات من مخارجها الصحيحة ، ويتكلمون بها هو أقرب إلى الفصح من سواه . وبعض البداية من أهل هذه المنطقة يخرجون جهلا يظن منها الإنسان أنهم تمرنوا في المدارس على إخراجها على ذلك النحو ، في حين أن الحقيقة هي بخلاف ذلك ، لأنهم يتكلمون بالسليقة وعلى البديهة ، فيجئ كلامهم فصيحاً معرباً لا غبار عليه ، ويستعملون ألفاظاً نظنها في الأقطار العربية المتعدية مهمة متروكة ، ولكنهم هم يستعملونها على البديهة . وبالرغم من وجود قبائل تتكلم بأقرب اللهجات إلى الفصيحة فإن هناك كثيراً منهم يخرجون الحروف والألفاظ من الحلق على خلاف ما وضعت له ، كما أن هناك حروفاً تنقلب إلى أشكال وصور أخرى لا تنحصر على البال ، وتنفى الشكشة والتممة والكأه وغيرها بجانبها . وإننا نورد هنا على سبيل المثال بعض الحروف والأشكال التي يخرجها أهلها بها ، ليكون القارئ لنفسه رأياً فيما ذهبنا إليه :

الحرف	طريقة لفظه	مثال	القبيلة التي تنطق به
حرف الجيم	ي	الجيم في مسجد تلفظ ياء	أهل اليمن والنمور في وادي محرم
القاف والكاف	تس	حكي تلفظ حنسى	أهل نجد
»	تش	بكي تلفظ بتشى	»
»	ك مفخمة	قال تلفظ كال	»
»	س	عبيكي تلفظ عيسى	»
»	ج	العقير تلفظ العجير	»
الضاد والظاء	ل	الظهر تلفظ اللهر	بنو سفيان
»	»	الضيف تلفظ الليف	»
حرف الياء	بين الألف والياء	مطير تلفظ امطير	»
أل (أداة التعريف)	م	البيت تلفظ أم بيت	أهل اليمن

وعربان شمر وسائر أهل الجبل يلفظون التاء المربوطة كالتاء الممدودة ، فيقولون للقهدة القهدت ، والساعة الساعت ، كما أن بعضهم يقلب التاء المربوطة ياء ، فيقول في الحويطات الحويطاي ، والشرارات الشراري .

الشعر

الذين ينظمون الشعر الموزون في البادية على البليهة قليلاً جداً ، ولكن كثيرين في البادية ، فضلاً عن الحاضرة ، يقرضون نوعاً من النظم هو دون الشعر الصحيح ، فلا يراعون فيه ما يراعى في الشعر الموزون ، ويسمون ما يقرضونه شعراً نبطياً . وهو من حيث أداء المعنى وإفادة السامع يقوم مقام الشعر الصحيح ، وفيه كثير من التوريات والكنايات والمجازات ، ولكنه عنى كل حال لا يتقيد بضوابط الصرف والنحو والمعاني والبيان . وقد أوردنا فيما يلي بعض الأمثلة على هذا النوع من الشعر النبطي اخترناها من منظوم قبائل مختلفة :

نبط حجازي

من نظم « خضر بن عويد النخري » ألقاها بين يدي سمو الأمير « فيصل بن عبد العزيز » في الدار البيضاء :

انتبه للخط خليه بثبات	لا تعين في علوم مقفيات
كم صبي فارق الدنيا ومات	راح مثل العيد ومن العايدين
اسمع أقوالى وجود فى الكتاب	شابت اللحية وشوف الرأس شاب
ما بى يقعد على الدنيا شباب	كل منا للمحاسب رايحين
وانتبه للضيف يا صقر الصقور	لا فلا والله تخبر فالنفور
كثير الترحاب وعجل بالفطور	وقول هذا يسرنا يا محسنين
انتبه للهجرة الى تستدير	فى البلد حاكم ومن تحته وزير
ضن قلبى غيرهم ما يستخير	حكمهم طيب على الى طيبين
قرروها بالعساكر والسيوف	راح أبو فيصل نوى يصلى ويطوف
لازم الكرسى وله عسكر صفوف	من عيال الشرق معهم صادقين
روع العاصى ورده عن هواه	إلى أن قال الموت أخير من الحياه
ناشر البريق مكانه ما طواه	يرقب الى بالخيانة عاثرين
وأمن الخاييف إذا راح الدروب	بالذهب يمضى إلى ديرة حروب
بعد كانت تأخذ الطرقى غصوب	شامهم فيصل وقالوا تائبين

نبط عتيبي

قال أحد العتيبان مخاطباً عمه :

يا عم واو جدى على وساق^(١) حرة^(٢) بعيدة المرماس^(٣) لو درت أنا الورك^(٤)
 نشرب حطافيل القلس يوم أفره والجيش من فوق الجواعد^(٥) لهن عرك^(٦)
 تجفل إيا^(٦) سمعت مع الحزم^(٧) فره فرة قطاة حركت بيضها حرك^(٨)
 فأجابه عمه :

أبوك ياللى طلبتسك بس حرة بينى وبينك سامك العرش يتحرك^(٩)
 ماقلت بزود^(٨) قمة خشم حرة وييت كبير وضامر البطن ينهرك^(١٠)
 عسلوجة^(٩) تلعب بعود الجرة تنهب قلوب أهل الهوى وأنت تسحرك^(١١)
 إن كان ربك ناوى لك مسرة احدر^(١٠) حيال الأسباب واظهرك^(١٢)
 وإن كان ربك ناوى لك مضره لو انت بروس الشواحق أحدرك^(١٣)

نبط شمري

من شعر عبيد بن رشيد :

هيه ياللى لك مع الناس وداد ماترحمون الحال يا عزوتى^(١١) ليه^(١٢)
 طول الزمان وحرقت الدمع خديه ماترحمون اللى غدا دمعه أبداد^(١٣)
 من شوقى للغر ومزبور الأنهاد متمشج يطا على قدام رجله^(١٤)
 الشوك ماله عن مواطيه رداد أيضاً ولا سبت^(١٢) قوى يوفيه^(١٥)
 إلبا عاد مانصل ونضرب بالحداد هيت ياسيف طوى الهم راعيه^(١٦)

نبط عنزى

قال أحد موالى العمارات فى امرأة عشقها منهم، وأخرج من ديرتهم بسببها، فلما رحلوا عن
 المنزل عاد إليه يذكر المرأة ويبكيها :

أبكي هلى^(١٣) ياناس مالى بمل يوم^(١٤) والظن من يبكى هله ما يلايم^(١٥)
 جيت المراح وصار بالقلب ملعون منازل الخلال^(١٦) هم والعمام^(١٧)
 هذا مشب النار والحجر مثلوم مركا دلال متمبات الشوام^(١٨)
 وهذى مرابط خيلهم دائم دوم عقب العيون مروبعات الهوامى^(١٩)
 اقنوا^(١٥) كما طير قلب رأسه الهموم بفعج عميق ولا يندرى وين^(١٦) هامى^(١٧)
 أدنى منازلهم جثائاً ولموم^(١٧) وأقصى منازلهم مداخى النعام^(١٨)
 الياغيت لديره الأصحاب من قوم إفرح ترى حمد الرجال العلوم^(١٩)

(١) مصادرة أو نهب (٢) ناقة (٣) الخطى (٤) يقصد حينما يركبها ويضم رجله حول عمود التمداد .
 (٥) الجلود (٦) حينما (٧) الجبل (٨) أكتد (٩) من صفات الناقة الجيدة (١٠) انزل (١١) جامعتى (١٢) نزل
 (١٣) أهلى (١٤) ملوم (١٥) سافروا (١٦) ابن (١٧) منازل

نبط عنزي من أهل الشمال

عيني جزت عن نومها بأن الإصباح وعيني جزت عن نومها واسهرتني
جيت لمنازل ربنا وجيت المراح ولقيت مركا (١) دلالهم ذكرتني
يادار لاتبكي أمر مضى وراح دور السنة يادار أرجيه ما يثني
فارقتنى يادار كالبدور وإن لاح يوم أرحلت يادار ماشاورتنى

النثر

ضعفت كتابة النثر بضعف اللغة إجمالاً ، واندثرت الكتابة الأنيقة الصحيحة من أكثر بقاع المملكة . أما في البادية فقل أن يوجد من يكتب اللغة الصحيحة ، وأما في الحجاز وحاضرة نجد فإنه توجد طبقة من المتعلمين والفقهاء وطلبة العلم يجيدون الكتابة ، إلا أنهم أقلية ضئيلة . وقد تناولت النهضة الحديثة شبان الحجاز فشرعوا في اقتفاء أثر من سبقهم من إخوانهم وأبناء عشيرتهم في الأقطار العربية الأخرى ، ولكن البلاد مازالت محتاجة إلى زمن كاف لكي تخطو المرحلة التي خطتها أخواتها . وهانحن ننشر فيما يلي أنموذجاً من الكتابة المستعملة في البادية ليعلم منه ضعف التركيب وركاكة العبارة وعدم التقيد بالقواعد الصرفية والنحوية :

كتاب كبار عتيبة إلى جلالة الملك عبد العزيز

إلى جناب الإمام المكرم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل سلامة الله تعالى أبقاه آمين . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . بعد ذلك سلمك الله سمعنا بجهاد إخواننا الحروب واستأذناك في القدوم إليك لأنه مابق لدينا صبر ولا قرار إلا نشوفك وتعرض لأمر الله ثم أمرك، ووصلنا هنا ومضى علينا عشرون يوماً ما نبيتنا (٢) في شيء وسمعنا في قعودنا هذه ما كدر خواطرنا نسير (٣) على العميال وعلى إخواننا أهل العارض ونسمع عندهم في هالجرايد بين قادح ومادح وحنا حاربنا الترك وابن رشيد والشريف ما صارت قوايهم (٤) مثل فوايه ابن رفاة فارة منطلقة من جحرها . وفهمنا أن هذا دسايس يسوونها أهل الشر مع ما بلغنا من أفعالها (. . .) (٥) عبد الله ومراسيله للعربان الشماليين وغير ذلك من الأمور الذي ماتخفى عليك بقي بالحاضر يا عبد العزيز كما قيل آية السيف تمحو آية القلم .

إن كنت يا ولى (٦) أمرنا شايف منا تقصير فأخبرنا به ونستغفر الله ونتوب إليه، إن كان إنك خابر إذا جانا أمرك تواتينا عنه فهذه حجة لك علينا إن كان حنا إخوانك وخدامك

١ الموضع الذي توضع عليه الدلال لصنم القهوة (٢) آياتنا (٣) نزور (٤) من فاهة أى رائحة (٥) هنا ألقاظ لم ننشر (٦) ولى أمرنا .

المطيعين ذبحنا عدوك وذبحنا بني عمنا دون ديننا وولايتنا وأنت تعرف ذلك منا ، نرجو من الله ثم منك أنك ترحمنا الله يرحمك وتفكنا من هذه العلة التي بكبودنا (١) حطت أعدائنا الحبة قبة والفارة أسد وحنا ممددين رجلينا أحد يزرع واحد يركب لابن سعود وتعرف الخذلان كله باتباع أذناب البقر ، اليوم حنا طالبين الله ثم طالبينك يوم الله جمعنا في هالمحل أن ترخص لنا نقبج إخواننا والله يوم جرا هذا السكون من إخواننا وسمعنا برقيتهم لك وحنا لا عاد أكلنا ولا شربنا ولا عاد نمنا الليل وحنا مدخلينك على الله ثم مدخلينك على الله إنك لاتحدثنا ولا تثبطنا من أمر فيه عز لديننا وديننا العدو ما ينقلب صديق والشر دائم في أهله وحنا بغينا لانيجيك كلنا مرة واحدة ، ولكن نعرفك ما تحب التشويش وأخذنا الأمر بالآداب وقدمنا هذا المكتوب ورجانا من الله أن يمدنا بعنايته ثم ترخص لنا فإن حصل المطلوب فنعم فإن ما حصل فلا تلومنا إن جينا عند بابك وصحنا ونبرأ إلى الله أن يكون الأمر تجروا على أمرك أو لنا فيه حظ من حظوظ الدنيا إنما هو حفظ لديننا ومحاماة لوطننا ونحن منتظرين الأمر من الله ثم منكم والله يحفظك والسلام . م

عتيبة
كافة كبار الروقة وكبار برقة
في الطائف

(١) أكبادنا

نظرات

كم ذا يعاشرنى خل فأحسبه من صنعة الود أنقى من فلم الزهر
ونفسه في مديد الغدر ساجحة كأنها شرر يُلْقَى على شرر
يريد بي ما تريد النار من حطب لولا التزود من حامى ومن حذى

مرسى شاكر الطنطاوى

تاريخ العقيدة الإسلامية قبل المعتزلة

بقلم الأستاذ علي حسن عبد القادر
مدرس علم الأخلاق بكلية أصول الدين

قد بينا في المقال السابق (المنشور في « المعرفة » عدد يناير ١٩٣٣ ص ١٠٨٣) أهمية المعتزلة في الإسلام ، وما لهم من تجديد في علومه الدينية والفلسفية ، وكيف أنهم سلكوا بالثقافة الإسلامية طريق التفكير الصحيح حتى سمو « بالمفكرين الأحرار » (١) و « أهل العقل والنظر » (٢) .

ولما كانت عناية المعتزلة موجهة نحو مسائل الاعتقاد وأصول الدين ، ومدار أبحاثهم حول الكلام على العقيدة ، وما من شأنه أن يؤثر في إيمان المرء أو عدم إيمانه ، فإننا نجد من الخير أن نلم أولاً بالعقيدة الإسلامية في بساطتها الأولى قبل أن تمتد مسائلها وتتشعب طرقها ، بما أثارته الحوادث الداخلية من بحث وتفكير حول ذلك ، وبما كان للمعتزلة من أثر في تجديد هذه المسائل وتنظيم هذه الطرق تنظيمًا أدى إلى ظهور علم الكلام . وقد يساعدنا هذا كله على تفهم العوامل التي ساعدت على نشأة هذه الطائفة وعملت على وجودها :

كانت أمور الدين ومسائل الإيمان واضحة عند المسلمين في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، لتبينه لهم كل ما يحتاجون إليه ، وتقريره لهم ما يصنعونه إذا اشتبه عليهم أمر من الأمور ، وإنذاره إياهم عاقبة الاختلاف إذا ظهر منهم ذلك . روى أنه عليه السلام خرج على قوم يترجعون في القرآن : فقال لهم مغضباً : « أي قوم ! بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتاب ببعضه ، إن هذا القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض ، ولكنه يصدق بعضه ببعضاً ، فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما تشابه عليكم فامنوا به » (٣) .

وقد جاء القرآن الكريم مقررًا لهذا . قال الله تعالى : « منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات : فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ، يقولون آمنا به كل من عند ربنا » (٤) . وهكذا تحدت بكلام الله وهدى رسوله الكريم عقيدة الإيمان سهلة بسيطة « إيمان بكل ما جاء من عند الله تعالى ، والعمل بما

1) Die Freidenker im Islam (see Steiner, Mu'tazeliten)

2) Les Bitionnistes des L'Islam (see Galiand, Essai sur les Mu'tazelites)

٣) ابن سعد ج ٤ قسم أول ص ١٤١

٤) آل عمران : ٧

استبان منه، وتقويض الأمر إلى الله فيما اشتباه^(١)، وفي هذا الطريق الواضح سار السلف الصالح رضوان الله عليهم في حياة النبي وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

بيد أن هذه الحال لم تستمر زمناً طويلاً، فقد بدأ يدب النزاع بين المسلمين في شئونهم الداخلية، ثم كان الانقلاب الأموي الذي أوقع المسلمين في اختلافات شتى، وأثار أسئلة دينية مختلفة عن شرعية النظام الجديد، وعن صاحب الحق الشرعي في الخلافة؛ كما دعت حال الخلفاء الأمويين إلى ظهور آراء مختلفة في أعمالهم وسلوكهم الديني، فظهرت مسائل اعتقادية جديدة لم تكن معروفة قبل ذلك، وذهب الناس فيها مذاهب مختلفة؛ وهنا تقف قليلاً عند نقد الخلقية الأموية لنرى كيف كان ذلك.

فن المعروف أن الأمويين - منذ تبوءوا عرش الخلافة بعد هذه الفتن الطاحنة - بدت منهم روح أخرى مخالفة لتلك الروح التي كانت لسلفهم؛ فإن هذا السلف كان صالحاً تقياً متعبداً، يسير سيرة مطابقة لقانون الورع والزهد الذي حددته أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم وأقواله، ولكن هؤلاء الخلفاء لم يبالوا ذلك كثيراً، ولم يستمرثوا عيشة البساطة والزهد، بل كانت حياتهم في قصورهم حياة ترف وبذخ، وعيشتهم عيشة رقيقة لينة، وما ظهر من بعضهم من نكس، فإن ذلك لم يكن إلا في فترات قصيرة، ولا يعد شيئاً بجانب حياة أبي بكر وعمر بالمدينة، والتي هي المثل الأعلى للحياة الإسلامية.

كما أنه كانت لهم بالنسبة للإسلام مقاصد أخرى غير مقاصد الخلفاء الذين كانوا قبلهم، وأرادوا أن يسيروا به في طريق أخرى غير طريقهم؛ ويكاد يعبر لنا عن هذا أحد أنصارهم الحجاج بن يوسف النقي، لما زار ابن عمر في مرضه الذي مات فيه، فلم يلتفت إليه ابن عمر فغضب وقال: «إن هذا يزعم أنه يريد أن يأخذ بالعهد الأول»، الأمر الذي يدل على أن خطة هذه الدولة كانت تخالف خطة العهد الذي قبله؛ وعلى كل حال فإنهم كانوا يريدون أن يجعلوا من العرب المتحدة إمبراطورية عربية كبيرة شامعة الأطراف، وأن ينشر لواء المملكة شرقاً وغرباً، ومما لا شك فيه أن توسيع دائرة الإسلام وامتداد نفوذه كان مقصداً شريفاً نبيلاً؛ وقد مكنتهم هذه السياسة من البقاء في الحكم مدة أطول مما كانت ينتظر، واستمتعوا في تأييد ملكهم وسلطانهم بالدين، فإذا ثار عليهم ثائر، أو خرج خارج، قاوموه مقاومة دينية، وأقنعوا الناس بأنه خارج على الإسلام، وأنهم إنما يحاربونه لمصلحته وثباته، حتى لو ذهبوا لغزو المدينة أو راموا الكعبة، فإنهم يزعمون أن مصلحة الإسلام في تأديب ذلك العدو! وقد حاربوا العاصيين بالرغم من انتسابهم للبيت النبوي.

(١) قال ابن خلدون: «وهذا معنى قول الكثير منهم: نأمره وها كما جاءت، أي آمنوا بإلهام من عند الله ولا تعترضوا لتأويلها، وتفسيرها: لجواز أن تكون ابتلاء فيجب الوتف والاذعان له» مقدمة ص ٨٧.

على أنه مع كل مامدحهم به الشعراء من أنهم حماة الاسلام ، وما عملوه من توسيع دائرة الدولة الإسلامية ، فقد بقيت حكومتهم مكروهة عند الناس مذمومة ثقيلة الوطأة ^(١) يتمنون زوالها ، ويرجون أن يبدل الله هذه الحال ؛ وقد بقي هذا الرجاء ساكناً هادئاً ، فلم يقوموا بإزائهم بعمل من أعمال الثورة ، بل قابلوهم بالسكون والصبر والاستسلام ، جرياً وراء مبدئهم من أن مصلحة الاسلام في طرح الفتن واجتناب القلاقل ، واكتفوا بهذا البغض الخفي السام ، الذي كثيراً ما كان يظهر في تلك السكبات والدعوات التي صبت على هؤلاء الخلفاء . قال ابن عمر : « ما أجدني آسى على شيء من أمر الدنيا إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية » ^(٢) ، وكان ابن المسيب يقول : « ما أصلي صلاة إلا دعوت الله عليهم » ^(٣) .

وكان من الواجبات الدينية الظاهرة للخليفة أو الأمير ، أن يقوم الناس في صلاتهم ويخطبهم ، وكانت أعمال الأمويين غير مستقيمة مع الاسلام في كثير من الأحيان ، فانظر مدى تبرم الناس من أن يفتوا ، أو بإمام يعلمون مخالفته وعدم استقامته . لا ريب أنها كانت حال مؤلمة شديدة ، ولكن خشية الفتنة كان مبدؤهم الصبر ، وأنه من مصلحة الجماعة أن يصلي الناس وراء الصالح والفاسق . هذا في الواقع تصوير شعور الناس في ذلك الوقت ، وليس من شك في أنه كان من غير الممكن أن تبقى هذه الحال ، وأن يمكت الناس ساكنين كل هذا السكون إزاء هذا السلوك المعقد وتلك الأحوال الملتوية ، فبدأ الناس يتساءلون عن « الإيمان والعمل » ، وهل يكون إيمان بغير عمل ؟ وما مكان العمل من الإيمان ؟ ثم ماذا عسى أن نسمي هذا المسلم الذي لا يعمل أعمال الاسلام ؟

ويظهر أن هذا السؤال البعيد المدى عن الإيمان والعمل ، كان أول سؤال اعتقادي نشأ في الاسلام دعت إليه حال هؤلاء الخلفاء ، ثم مالمث أن أصبح مجالاً لاختلاف المسلمين وافتراقهم .

فأما السلف فكان جواهم عنه مطابقاً لمبدئهم من الصبر والمسالمة لهؤلاء الخلفاء ؛ وأن هؤلاء الذين لا يعملون أعمال الاسلام ، أو بعبارة أخرى : هؤلاء العاصين مؤمنون ولكنهم فاسقون ، فلم ينزعوا عنهم لقب الإيمان وإن كان إيماناً غير كامل ، على حين كان الخوارج خصوم الدولة يكفرونهم ، ويقولون إن اقتراف الآثام والمعاصي تخرج المرء من حظيرة الاسلام .

(١) الفخرى ص ١٢٨

(٢) ابن سعد ج ٤ ص ١٣٧

(٣) ابن سعد ، ج ٥ ص ٩٥

وهناك حزب أجاب عن هذا السؤال بما هو أقرب تسامحاً مع هؤلاء الخلفاء، فقال إن الإيمان هو معرفة الله بحسب، وليست الأعمال داخلة فيه، وإن أهل المعاصي مؤمنون كاملون، وكما أنه لا تنفع مع الكفر طاعة، لا تنصر مع الإيمان معصية^(١). وهذا الحزب المتسامح هو حزب المرجئة، من الرجاء لأنهم يرجون لأهل المعاصي الثواب وعدم العقاب، أو من الإرجاء وهو التأخير، لأنهم يؤخرون الحكم عليهم إلى الآخرة.

على أنه مما يؤسف له أن ليس لدينا عن هذه الطائفة إلا أخبار ضئيلة، فقد اختلفت جميع الأصول العربية عن عهد الأمويين، وهو العهد الذي سيطرت فيه آراء هذه الفرقة وقويت شوكتهم بما لا قوه من تعصيد الخلفاء الأمويين لهم، لنصرتهم ودفاعهم عنهم؛ والكتب القديمة التي كتبت عن هذا العهد إنما كتبت أيام العباسيين، ولذا فإن الأخبار التي وصلتنا عن المرجئة الذين سقطوا بسقوط الدولة الأموية، إنما هي شذرات وجدت عند الكتاب في العهد الأخير، وهناك قصيدة لأحد شعراء المرجئة وولادة بنى أمية في عهد عبد الملك بن مروان، هو «ثابت قطنه» وضحت بعض تعاليمهم، قال:

يا هند! فاستمعي لي: إن سيرتنا	أن نعبد الله لا نشرك به أحداً
زجى الأمور إذا كانت مشبهة	وأصدق القول فيمن جار أو عدلاً
المسلمون على الإيمان كلهم	والمشركون استووا في دينهم قدداً
ولا أرى أن ذنباً بالغ أحداً	م الناس شركاً إذا ما وُجد الصمد
لانسفك الدم إلا أن يراد بنا	سفك الدماء طريقاً واحداً جدداً
من يتق الله في الدنيا فإن له	أجر التقى إذا وفي الحساب غداً
وما قضى الله من أمر فليس له	رد وما يقض من شيء يكن رشداً
كل الخوارج مخطئ في مقاله	ولو تعبد فيما قال واجتهداً
أما على وعثمان فإنهما	عبدان لم يشركا بالله مذ عبداً
وكان بينهما شغب وقد شهدا	شق العصا ولعين الله ما شهدا
يجزى علياً وعثماناً بسعيهما	ولست أدري بحق أية وردا
الله يعلم ماذا يحضران به	وكل عبد سيقلى الله منكرداً ^(٢)

(١) تعطى المرجئة للعصاة اسم الإيمان على الكمال بخلاف السلف الذين يقولون أنه مؤمن غير كامل الإيمان - ابن حجر - ج ١ ص ٩٠ - ٩٣

(٢) الاغانى ج ٨ ص ٩٢ راجع عن ثابت قطنه: ابن خلدون ج ٣ ص ٥٢ - ٥٦، والبلذري ص ٢٩٩

وتؤكد تصور لنا هذه القصيدة، مع ما كتبه المؤرخون كالشهرستاني، جملة أفكار هذه الفرقة التي تتلخص في هذا التسامح المطلق، وصدق القول في كل الناس، وهذه الروح المطمئنة البعيدة عن الخوف والفرع، ثم هذه الميزة التي امتازت بها هذه الفرق، وهي إهمال العمل وعدم النظر إليه نظرة إلى أمر محتم. ذكر المقدسي قوماً من الرى فقال: «وهم قوم مرجئة لا يفتسلون من جنابة، ولا رأيت في قراهم مساجد، وناظرتهم فقلت: ألا يغزوكم المسامون وأتم تمتقدون هذا المذهب؟ قالوا: ألسنا موحدين؟ قلت: كيف وقد أنكرتم قرأتكم ربكم وعظمت الشريعة؟ قالوا: إنا ندفع إلى السلطان في كل سنة أموالاً جمة»^(١). وهكذا قد اكتفوا من الإسلام بالتوحيد وطاعة أولى الأمر، وأهملوا الأعمال الإسلامية، بل قد تطرف بعضهم فلم يقنع بإهمال العمل فزعم أنه ليس من الكفر السجود للشمس، لأنه علامة كفر وليس بكفر^(٢).

وقد كانت نواة الإرجاء موجودة في الصدر الأول من الإسلام، وكانت تمثل فكرة الحياء إزاء الأحزاب كالشيعة والخوارج. جاء في الطبقات الكبرى أن ريذة الأسلمي الصحابي حينما عرض عليه رجل أمر علي وعثمان وطلحة والزبير، قال: «اللهم اغفر لهم، قوم سبقت لهم مع الله سوابق، فإن يشأ يغفر لهم بما سبق فعل، وإن يشأ يعذبهم فعل، بحسابهم على الله»^(٣)، وجاء فيه أن محارب بن دثار كان من المرجئة الأولى الذين يرجون علياً وعثمان ولا يشهدون بإيمان ولا بكفر^(٤). وذكر المؤرخون^(٥) عدداً من أجيال السلف الذين عرفوا بالإرجاء، منهم: سعيد بن جبير، وطلق ابن حبيب، ومقاتل بن سليمان، وغيرهم من الأئمة مثل أبي حنيفة، وأبي يوسف: فقد كان يقال عن أبي حنيفة وأصحابه إنه كان مرجئاً وأكثر أصحابه معتزلة، وإن كان المشهور عن أبي حنيفة ترك الخوض في الكلام، وكل ما في الأمر - على ما روجه ذلك بعضهم أن أصحابه تعاطوا الكلام، وأن المتكلمين تفقهوا بمذهبه^(٦). ولعل الذي يلاحظ أن مذهب أبي حنيفة يستند في روحه إلى أساس من التسامح الهادي، الذي هو ميزة المرجئة، فالحنيفية من بين المذاهب الأخرى متسامحون، وهذا اليسر والتسامح هو سبب انتشار هذا المذهب وذيوع آراء هذه المدرسة من بين المذاهب الأخرى.

وهذا الذي ذكرناه من رجوع فكرة الإرجاء - أو بعبارة أصح الاعتدال - إلى أصل إسلامي

(١) أحسن التقاسيم: ص ٣٩٨

(٢) مقالات الإسلاميين - ج ١ ص ١٤١ - ١٤٢.

(٣) ابن سعد: ج ٤ ص ١٧٩

(٤) ابن سعد: ج ٦ ص ٢١٤

(٥) الملل للشهرستاني: ج ١ ص ١٩٤.

(٦) أحسن التقاسيم: ص ٤٢

بحث، هو ما هدانا إليه بحث المصادر العربية، ويمزو (فون كريم) في كلامه عن الفرق الإسلامية أفكار المرجئة إلى تأثير الفلسفة اليونانية التي أثرت في الإسلام في وقت مبكر، بواسطة المسيحية في دمشق؛ فمن المعروف أن الكنيسة الشرقية قد تنازعت مع الكنيسة الغربية في مسألة المعاصي والخلود في النار، وتمسكت الكنيسة الشرقية أخيراً بنهاية العذاب وعدم الخلود، ومن هنا نشأت اقتناعات المرجئة اللطيفة السهلة، من أمثال يحيى الدمشقي الذي كان يشغل في دمشق هذه الأثناء مركزاً سامياً، فقد كان مستشاراً في البلاط الأموي (١).

وعلى كل حال فقد أصبحت مسألة الإيمان والعمل موضوعاً للمحاورة في المجتمعات العامة والمجالس الدينية، وعقدت به براهين اعتقادية؛ وسيأتي لنا: كيف أنه كان النقطة المبدئية للاعتزال، وكيف أظهر «واصل بن عطاء» قوله بالإنزلة بين الإيمان والكفر.

وقد جالت في الأبحاث الدينية مسألة أخرى تتعلق بهذه المسألة شرحتها كذلك أفكار المرجئة، وهي «زيادة الإيمان ونقصانه»، وبالطبع كانت الزيادة والنقصان غير ممكنة عند المرجئة الذين يلاحظون أن العمل الذي يزيد وينقص غير داخل في الإيمان، وحينئذ لا يتبعض الإيمان ولا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل فيه، وقد جاء القرآن الكريم مصرحاً بزيادة الإيمان والهداية، وأن كثير العمل وقليله يتبعه زيادة الإيمان ونقصانه، ولذا فقد تمسك السلف على طريقتهم في عدم التأويل وقالوا: «إن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص» (٢).

هذا بيان قصير عن العقيدة الإسلامية والأبحاث التي أثرت حولها، ومن ذلك كله نستطيع أن ندرك مقدار الخدق والمهارة التي كانت تدور عليها رجي المحاورات في هذا العصر الذي نشأت فيه المعتزلة، وقد آن لنا أن تمسك على ذلك، وهو ما سنعالجه في المقال المقبل إن شاء الله تعالى. م.

(١) S^١ ztsreif züge von Kremer

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٣٨٦ البدو والتاريخ ٥ ص ١٤٨

المعرفة في الحجاز

تطلب «المعرفة» في الحجاز من مكتبة حضرة الشيخ مصطفى محمد يغمور بمكة المكرمة
المعرفة في عربه

تطلب «المعرفة» في عدن من مكتبة حضرة السيد معروف عمر عقبه.

المعرفة في مراكزه

تطلب «المعرفة» في مراكز من حضرة السيد أحمد داود صاحب المكتبة الأدبية بتطوان

مدام ماريّا منتسورى

[من كتاب تحت الطبع]

بقلم المربية الفاضلة

الآنسة نزيب الحكيم

فذلكة تاريخية

مدام ماريّا منتسورى مربية إيطالية الجنس . ولدت بإحدى مدن إيطاليا ، ونالت نصيبها من التعليم كسائر فتيات عصرها ، حيث دخلت المدارس الابتدائية والثانوية ، ثم رغبت في أن تكون طبيبة ، فدخلت مدرسة الطب ، وساعدها ذهابها ومهارتها على النجاح الباهر ، ولما أتمت دراستها أخذت تتمرن في المستشفيات المختلفة ، وكانت في خلال تلك المدة مثالا حسنا للجد والاجتهاد .

بعد انتهاء مدة التمرين اشتغلت بلجأ للأطفال البلهاء المصابين بالعمهات العقلية ، والذين فقدوا القدرة على استعمال بعض حواسهم كالابصار أو السمع الخ . فدأبت على الاشتغال بإخلاص في إيجاد أنجع الوسائل لتحسين حال هؤلاء المساكين ، فأعدت لهم بعض الوسائل لتدريب عقولهم وحواسهم .

وفي تلك الأثناء دلتهما الخبرة والتجربة ، على أن أحسن طريق لتحسين وتقوية الإدراك في الأطفال ، هو إيصال المدركات إلى أذهانهم بواسطة الحواس ، ووجدت أنه لا يتم ذلك إلا عمليا وباشتراك حاسة مع الأخرى في ذلك ، حتى إذا فشلت واحدة نجحت الأخرى ، فاتبعت هذه الطريقة فلاقت نجاحا شجعها على زيادة البحث في هذا المشروع الانساني .

ولما أدهشها ما رآته من التقدم المحسوس في معالجة الأطفال البلهاء على هذه الطريقة ، جعلت تفكر في تقع الأطفال عموما ، بإعداد الوسائل التي تقوى جميع حواسهم ، لأنها أيقنت أن الإدراك لا يتم إلا إذا كانت جميع أعضاء الحس صحيحة وناسبة نموأ كاملا .

ثم إن ماريّا تزوجت ، وكانت تتردد على زيارة المدارس وتتباحث مع معلميها ومعلماتها ونظاريها ، ولما أن توفي زوجها أسرع إلى تنفيذ فكرتها ، فاشتغلت بتعليم صغار الأطفال على هذه الطريقة الحسية العملية ، ووضعت نصب عينيها صحة تربية الحواس ، حتى تكون عوناً للطفل على التعليم الصحيح .

وقد ذاع صيتها وانتشرت طريقتهما بفضل ما نشرته من مقالات في شهرى مايو وديسمبر عام ١٩١١ ؛ كذلك ظهر لها مقال في يناير سنة ١٩١٢ في مجلة مكلاير McCleure معلناً شيئاً عن

عملها . على أنه بعد ظهور أول مقال لها ، اهتم كثيرات من الانجليزيات والامريكيات ، بفحص عملها وطريقتها التي وجدتتها جديدة ومهمة ، مهمة على الأقل باعتبارها أول عمل من نوعه ابتكارى فى برنامج وفى تطبيقه العملى ، قامت به سيدة أعملت فيه فكرها ويدها .

كما أنه مشروع خصته بحجز كبير من عطفها النسوى ، وضمنته أوسع حالات المجتمع وطرق التعليم الصحيح ، والمناورة على تلقى وخص أبواب المعارف ، مما جعله مشروعا اعتبره قادة التربية والتعليم فى العالم . ولقد انقطعت لعملها وتفرغت له بكل إخلاص كما فعل بستالوتزى وفروبل من قبلها وترتيبها عملها مما تلفت نظر .

ولقد عارض البعض مدام منتسورى فى أنها أوجدت هذه الفكرة ، وأثبتوا أنها لم تأت شيئا جديدا فى التربية ، حيث سبقها بستالوتزى وفروبل وابن خلدون وغيرهم إلى إثبات ضرورة تربية الحواس . ونحن إذا نظرنا إلى محتويات كتابها المعروف « بطريقة منتسورى وشرحها » ، وتأملنا مبادئها فيه من طرق ووسائل تستعمل مع الشيء ، ولاحظنا كيف بلغت الوسائل (جهازها المعروف باسمها) على حرية معقولة للتأيد ، وما يحتوى على تمرين مباشر فردى للحواس والمشاعر والقوى العقلية ، وكيف يرشد إلى سرعة وسهولة التغلب على القراءة والكتابة والحساب . . . لو تأملنا فى أى نقطة من تلك النقاط لما وجدنا واحدة منها جديدة ، أو لم تذكر فى أساليب التربية ، بل إن بعضها قد استعمل عمليا وبدقة . فنلا كثير من وسائل (دكتور لترفرد) رئيس مدرسة ناقصى العقول ، يضارع وسائل منتسورى ، وكثيرا ما أشار ولتر إلى إمكان استعمالها بنجاح مع الأطفال الأصحاء . وربما هم الباحث معرفة أن (صجين seguin) الذى جعلت مدام منتسورى عمله أساسا لعملها ، كان فى زمن ما رئيسا لمدرسة ناقصى العقول التى كان بها ولتر .

وكثيرا ما أشار أساتذة علماء النفس إلى أهمية التمرين المباشر للنقص النفسى الحسى . ولكن المهم والذي يجب أن نذكره إنصافا لمدام منتسورى ، هو أنه لم يتمكن أحد قبل منتسورى من إظهار خطة تتضمن ارتباط جميع النقاط المتقدمة ؛ لأنها فهمتها وبالغت فيها من حيث التمرين وعممتها فى المدارس . وما لا ريب فيه أن كل هذا نتيجة عملها وساعديها . أما وضع ملخص تجاربها فى برنامج التربية للأطفال الأصحاء فعملها منفردة .

والنقطة التى اقتبستها من عمل المربين - قدماء ومحدثين - إنما اقتبستها لأنها توافق مبادئها . على أن عملها ليس ابتكاريا بنسبة عمل فروبل مثلاً ، بل بنسبة أنها عمل جديد أجهدت نفسها فيه امرأة . ونرى من اللازم على كل مربية أن تعرف برنامجها وأجهزتها ، بغض النظر عن أن معظم هذا لم يسهل جميع المسائل التى تتعلق بتربية الشيء ، وبالرغم من أن هناك بعض الخطط غير الصحيحة . ولو أن الأمور تجري على غير ذلك فى شتى التجارب لحدت جميعها فى التعليم وغيره .

زينب الحكيم

الحياة وكيف تتكون

بقلم الأستاذ محمد علي الموماني [لبنان]

الحياة حيأتان: أولاهما حيوانية، وهي البصر السكامن في الجسم الحي الحساس ينبعث عنه الفعل أو ينفع هو بما يعرضه في الحياة، يشترك فيها الحيوان والإنسان، ويعبر عنها بالحياة الأولى. وثانيتهما إنسانية محضة، وهي جماع مافي الإنسان من جوهر، أي أنها نواة العلم والفن فيه. فالإنسان إذن يحيا حياتين: حياة جنسية وهي التي يشارك بها الحيوان في الحس والحركة، وحياة نوعية وهي التي تسعى به إلى المثل الأعلى.

وإذا كان العلم والفن من مظاهر هذه، كان مبعثها العقل والفكر ثم العاطفة، ومن هنا تمتاز الإنسان عن الحيوان: على أنالاستطيع أن نحرم الحيوان من هذه الثلاث: فهو ذو عقل وفكر وعاطفة، ولكنها فيه أضعف منها في العقل، ولم تكن لتنمو معه نموها في الإنسان. والإنسان يريد بطبعه (أي مع الحياة الأولى) أن يحيا مستقلا عن غيره. كغريد لا يهجمه إلا أمر نفسه، كما نجد ذلك في الحيوانات، وحشية وأليفة. ويريد بعقله (أي مع الحياة الثانية) أن يحيا مدنياً، كأمة، مفتقراً إلى أخيه الإنسان. والعقل أدرك ضرورة هذه الحياة الاجتماعية منذ الأزل فقررها في النفوس حتى استجالت غريزة، فكان من الحكمة أن قيل: «الإنسان مدني بالطبع».

أدرك العقل أن هذا النوع من الحيوانات يجب أن يسود العالم بفضلله هو (١) لما امتاز الإنسان به عنها، فكان من الحق له أن يعتبر ما سواه مخلوقاً له. إذ هو الأشرف. أدرك ذلك فتمشى إلى سن القوانين الاجتماعية لحفظ هذه الحياة، وكان فاتحة هذه النظم نظام الخلق وترسيخه في النفس حتى يحول غريزة.

من الحق أن تكبر نبهود العقل الأول في خلق الإنسان مدنياً بعد أن كان وحشياً، ومن الحق ألا نجور في الحكم عليه فننسبه إلى الضعف إذا قسناه على عقل الإنسان اليوم، ومن الحق فوق كل ذلك ألا نقبس به العقل الحديث، وهو يخلق ويتبدع، إذ هو في خلقه وإبداعه إنما يبنى على أنقاض بناء العقل الأول.

العقل الأول قطع ألوف الأعوام جاهداً في إخراج البشرية من ظلمة التوحش إلى نور المدنية، ومن دور الممجية إلى دور الرقي، وأكبر عقل في هذا الجهاد عقل كشف عن آثار المبدع الأول في الكون، ليصل به إلى تثبيت دعائم الأخلاق في تمدن الإنسان عن طريق الدين.

فقد خلق هذا العقل فكرة الأخلاق، وهى الروابط الاجتماعية، وأراد تقريرها فى النفوس ليحيلها جزءاً منها تمشى معها فى جميع أدوار الحياة؛ فرأى من الشاق الذى يكاد يستحيل عليه أن يتسببها إليه وهو إنسان، ولقد يكون مطاعاً فى الخاصة، وهى تدرك ضرورة هذه الروابط بين الإنسان . والإنسان لو شاء خلق هذه الصلات فى نفوس الخاصة، وهى أشباح تكاد تتضاءل فى سواد العامة . رأى فى البدء ضرورة كون الإنسان مدنياً فخلق فكرة الأخلاق ليكون آمناً إلى جنب خيه الإنسان، ورأى أن الخوف والطمع أقوى الغرائز فى النفس وأشدّها تأثيراً فى الإنسان، فخلق فكرة الجزاء ثواباً وعقاباً، ورأى أن فكرة جزاء القوى للضعيف إنما تمشى فى الجهر من قطع هذه الصلات (الأخلاق)، وأما السر فيستمر حائلاً بينها وبين رسوخها فى النفس، فخلق إذ ذاك فكرة الدين .

تقول إن العقل قد خلق فكرة الدين، ولا تحاذر شعب من يلقى إلى الدين من شيوخنا السذج، بعد أن أثبتنا أن العقل فى الإنسان يشير إلى المثل الأعلى فى الكون وهو مبدعه، فما يأتيه فأنما هو أثر من آثار القوة العليا مناط هذا الخلق الخاضع لها قسراً .
تقول ذلك ولعلنا أشد نقمة على شبابنا المتنطع فى شهواته، والذى يرمى بأقواله وأعماله إلى الإلحاد، غير مبال ما يجره وراءه من ضرر على نفسه وغيره، ولقد كان خليقاً أن يحمل على عذر لو كان إلحاده نتيجة علم أحمل فكره فيه من وراء البحث والتدقيق، وسكنه كان فيه كالبيغاء يحكى من دعاه إلى هذه الدعوى، بموج فى خلقه وشهوات إطفاء دواء بالاسترسال فيها . رأى الدين أمتع هذه الحواجز بينه وبينها فراح يحمل عليه حملات الأحمق بمقتلعه الواهى على أمتع الحصون وأشدّها قوة وبأساً

الأخلاق وتأثيرها فى تطور الحياة:

أما وقد عرفت الحياة التى يمشى إليها الإنسان فى طريقه إلى المدنية، فاعرف أيضاً أن مناط هذه الحياة تلك الروابط الاجتماعية والصلات المعبر عنها بالأخلاق، والعلم الضرورى من لوازمها، أما البلوغ فى العلم فهو من كمالاتها، وإذا توفرت فى الأمة علومها إلى جنب هذه القواعد (الأخلاق) كانت سيدة الأمم ذات السيطرة والنفوذ، فليس لأمة فقدت الأخلاق حياة تنهض بها مهما بلغت من الرقى العلمى، ففى وإن كانت حية الأفراد بالعلم مينة الجماعات لما يعوزها من خلق يربط الفرد بالفرد لتكون جماعة فتكون أمة ..

حياة الأمة بالأخلاق مع الجهل كاملة، ولكنها مع العلم أكمل . أما هى بالعلم دون الأخلاق فناقصة، ولكنها بالجهل دونها أنقص . فالإسلام نشأ تحضنه الأخلاق، وشب عليها مع العلم وشاب وهى تضمحل فيه .

وإذا كان الوفاء والعطف والمحبة والسخاء والغيرة والحمية ونحوها من دعائم الأخلاق، لزمنا اعتبار التضامن الانساني رأس هذه الروابط، لأنجزء مقوم في حياة الأمة ويتألف من هذه الصلات كلها أو بعضها .

وقد نرى الأمة يميزها شيء من الأخلاق، على حين نجدتها تراحم الكواكب برقيها، ذلك أنا إنما نعني بالأخلاق معظمها في الأمة، لا أن رقي الأمة متوقف على مفهوم الأخلاق كلياً بحيث لا يشذ عنه جزئى واحد . ففي الغرب شعوب كثيرة نجدتها فقيرة من هذه الصلات من حيث الطبع، ولكن القانون يحجر عليها خرقها، ففي نظمها السياسية ما يغنى عن النواميس الطبيعية فيها، على أنا قد نجد أن للأخلاق الغربية قبل النهضة أثرأ في مدنيتهما بمدنها، فإن المجد الذي شاده الإسلام في بدئه بفضل الأخلاق، ما زال يندم المسلمين بضعة قرون لاسيما وقد دعمه العلم . على أنى لم أجد في الغربي ما أنقعه عليه من حيث الأخلاق، فقد رأيت فيه الصدق والأمانة والسخاء والعطف الانساني والغيرة على وطنه والحمية لقومه، وإذا بدا لنا عدم ذلك في السياسة انخرقاء التي تمثل لنا الغربي، فإن للسياسة أوضاعاً قد لا تتفق وآراء الشعوب المسيطرة عليها بها، ولقد شهدت بنفسى بلاد الغرب وتغلغل في صميمها وامترجت بشعوبها وأشرقت على نفسيات الخاصة فيهم والعامة من معظمهم، فرأيت أن السياسة الخارجية للسكسونى واللاتينى تكاد تتباين وسياستها داخلياً، وما يفعل البريطاني أو الإفرنسي خارج بلادهم ما قد يخفيه في الداخل، ولنا أن نحمل الشعب القومى على عذر فيما إذا رأى أن حكومته على حق في استعباد الشعوب الضعيفة، وهو مشبع الروح اعتقاداً بأن سيطرة أمة على غيرها من الأمم حق، لما تسبغه على العالم من خير في إخراجها من ظلمات التوحش إلى نور المدنية .

وقد نرى بعض الأخلاق فيهم تتحول من جهة نافعة إلى جهة أنفع، فالكرم الخاص الذى نعرفه ونكاد نقصره على بذل الطعام والصدقات اليومية، قد نجدته تحول في الغرب إلى البذل في سبيل العلم والرافة بالانسانية، فإذا ترى أحدهم عمداً إلى مستشفى يئنيه أو معهد يخلده بدافع الرحمة والعطف الانساني، وإذا نقصهم ما تزداد تمسكاً به من غيرة على العرض في معرض الشهوات فقد ينقصنا ما يزدادون به تمسكاً من غيرة على البلاد في معرض التنافس الاجتماعى، وحسبى أن التضامن والاتحاد والصدق والأمانة وحب الوطن ونحوها من الروابط الاجتماعية التي فقدناها هي أشد رسوخاً في نفوسهم من حب المادة التي جبالوا عليها وتهاكوا فيها .

محمد علي الحوماني

[البنيوية . لبنان]

في الأدب الإنجليزي

أثر النهضة الأوروبية

في الأدب بالإنجليزية

بقلم الأستاذ رشدي ميخائيل السيسى

في أواخر القرون الوسطى أخذ يغمر أوروبا بالتدريج تجديد شامل في الأدب والاجتماع والسياسة والدين لعدة عوامل مستحدثة ، فكان أن خرجت أقاليم هذه للقارة من غمرة العصور المظلمة التي لم يك بها أى أثر للحرية الفكرية إلى عصر آخر منير انطلق معه الفكر الأوربي من إसार الجهل وعقال التضيق ، ولقد تعارف المؤرخون على أن يسموا فترة التجديد هذه من تاريخ أوروبا بعصر النهضة الأوروبية « Renaissance » .

وليس يعنينا أن نحدد مبدأ هذه النهضة أو نعرف هل هو في القرن الثالث عشر أم الذي يليه ، ولا أن نحصر العوامل التي أنتجت هذه النهضة ، إنما الذي يعنينا ونحن أن نتق بأن هذه النهضة قد درجت في سيميل التقدم في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وعاشت نامية فتيمة حتى أدركت القرن السادس عشر ، فأنكشفت منها ما آرب عدة اختلقت صورها باختلاف أمم أوروبا ، فالتحت بإيطاليا وفرنسا ناحية الآداب والفنون ، وبألمانيا ناحية الدين ، وبأسبانيا والبرتغال ناحية الاستكشافات الجغرافية ، أما بالإنجلترا فقد تشعبت إلى معظم هذه النواحي ، ولذلك تأخرت هذه الأمة في تكريس عنايتها الحقبة بالأدب حتى عصر اليبابات في أواخر القرن السادس عشر لأسباب محلية محضة . ولا بد أن نعرف بما كان لتأخر ظهور النهضة في إنجلترا من الأثر الكبير في تسهيل نجاحها ، فقد كان انتفاع كتاب الإنجليز بما لديهم من آداب اللغات الأوربية الحديثة من أكبر العوامل التي نهضت بلغتهم بسرعة تكاد تعدم مثيلا لها ، وكان أن تميزت النهضة الإنجليزية بمعانيها في نشر كتب الأقدمين بلغة البلاد ، فترجت إلياذة هوميرو وخطب شيشرون ومصنفات فيرجيل وأوفيد وغيرهما إلى الإنجليزية ، ولا يخفى ما في ذلك من المساعدة على بث روح النهضة الأدبية بين طبقات الأمة .

وفي الحق أن النهضة الأوربية بشئ عواملها قد أثرت في الأدب الإنجليزي أينما تأثير ، حتى بلغت به في هذا العصر اليباباتى حداً من الروعة والازدهار يسوغ له أن يتحدى عصر بركليس الذهبي في الآداب اليونانية بوفرة إنتاجه وخصوبته وبتعدد الشخصيات الأدبية العالمية

التي ظهرت آنئذ، أمثال: شكسبير وابن جنسون Ben Jonson في الشعر التمثيلي، وملتون وسبسر في الشعر غير التمثيلي، وباكون وهوبز في الفلسفة، وهوكار وتاييلور في اللاهوت، ولورد كلارندن في التاريخ، وهم خول أدباء الطبقة الأولى.

ونحن إذا عدنا القهقري إلى ما قبل هذا التاريخ بقرنين، أعنى في أواخر القرن الرابع عشر، نجد أن «شوسار» الشاعر الانجليزي الكبير قد تأثر في كتاباته بالأديب الإيطالي الكبير «بوكاشيو» الذي اشترك في تحطيم خرافات القرون الوسطى، وعمل على إقامة صرح النهضة الشاهق على أنقاض هذه الخرافات، ومن شوسار انتقل ذلك الأثر إلى من بعده من كتاب الانجليز، وإذن فما أنت ترى أنه كان في المقدور أن يتأثر الأدب لانجليزي مبكراً بالنهضة الأوربية لولا بضع عوامل محالية يمكن تلخيصها فيما يأتي :-

- ١ - انعزال إنجلترا عن بقية ممالك أوروبا، وخاصة عن إيطاليا مهد النهضة ومنبعها.
- ٢ - تبديد نشاط رجال الأدب وتشتميت جهودهم لا يشغالهم مع الأهليين بحرب الوردتين الأهلية.
- ٣ - وفرة الملوك والملكات الذين حكموا البلاد في هذه الأثناء واختلاف نزعاتهم ومشاربهم، الأمر الذي كان يدفع البعض منهم إلى الإمعان في إساءة الحركة الفكرية بالبلاد لمعارضة السالفين خصب.

- ٤ - انصراف الأدباء عن الإنتاج إلى حين، لا اشتراكهم في حركة الإصلاح الديني.
- ٥ - تورط العرش في تقييد الحرية الفكرية في بعض الأحيان، كما حدث من الملكة ماري تيودور التي اشتطت في محاربة معارضي سياستها ومخالفي مذهبها الكاثوليكي.

وقد كان من نتائج هذه العوامل أن رزئت إنجلترا بحفاف فكري وبعمق بئيس في شخصياتها الأدبية الكبيرة وأن قل فيها الإنتاج الأدبي، وكان من المقدور أن تطول فترة هذا العقم الأدبي لو لم يسخر الله للأدب الانجليزي آنئذ معظم عوامل النهضة الأوربية فأمدته بمناعة ضد الانحطاط المنتظر ولقحته بما أنبت شجرة الأدب الأليصياتي المتشابكة الأغصان. نعم، فلولا اختراع الطباعة وفتح القسطنطينية وما ترتب على هذا الفتح من الإقبال على ترجمة المؤلفات الأدبية القديمة في نههم وظلماً، ومن انتشار العلماء المعلمين بمعظم بقاع أوروبا، لاختلفت حال إنجلترا الأدبية في هذه الحال عما وصلت إليه.

وليس ثمة ما يمنعنا من أن نفيه بأن نهضة إحياء العلوم «وهي إحدى نتائج فتح القسطنطينية» قد اتجهت بالجلترا اتجاهات خاصة لم يكن الأدب أحدها، أو كان على الأقل بعيداً عنها في مبدأ الأمر، ولذلك تشكلت أو تقمصت في هياكل السياسة والدين والاجتماع، بيد أن هذا لم يظل إلا لما بعيد الإصلاح الديني خصب، وبعد هذا شملت الأدب أيضاً.

أثر فتح القسطنطينية:

وبذهب شيخنا الاسكندري في كتابه « تاريخ أوروبا الحديثة » إلى تقرير بضع عوامل لظهور نهضة إحياء العلوم « Revival of Learning » في ذيلها جميعاً « فتح القسطنطينية ». وأنا أريد أن أخالف شيخنا الفاضل فيما ذهب إليه، إنما بتسط، ذلك لأنى أعتقد اعتقاداً جازماً أن فتح القسطنطينية لم يكن السبب الأول والوحيد في ظهور نهضة إحياء العلوم هذه فحسب، بل من أقوى الدعامات التي قامت عليها النهضة الأوروبية ذاتها.

أجل، فقد كان من نتائج هذا الفتح في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، أن انتقلت أوروبا إلى عصرها العلمى الحديث، فأذ كانت القسطنطينية في ذيلك العهدى محط الفلاسفة والعلماء الاعلام، خشي هؤلاء جميعاً - بعد هذا الفتح - أن تصادر حرياتهم وأن تنتزع منهم كنوزهم من المؤلفات العلمية وأن يرغموا على القيام بأمور تأبأها كرامة العلم، فهجروها حاملين معهم هذه الكنوز الأدبية إلى حيث خطوا رحالهم بإيطاليا، ومنها انتشروا إلى بقية ممالك أوروبا. وإذا كانت فلورنسا بإيطاليا هي أول مكان خط به هؤلاء العلماء المشردون رحالهم، فقد سبق هذا الإقليم بقية بقاع أوروبا في هذه النهضة العلمية الحديثة. وقد سارعت أسراب الشبان من جميع أنحاء أوروبا إلى فلورنسا كيما يشبعوا نهمهم من زخيرة العلوم والآداب التي تكدست فيها، ولم يكن نصيب الانجليز من هذه العلوم بأقل من غيرهم، فقد هاجروا إليها حيث تعاموا اللغات الحية وتشبعوا بالآراء الحديثة في الاجتماع والآداب، ثم طادوا إلى بلادهم وهم منقلبون بأسلابهم الثمينة، فلم يرضوا بها على مواطنيهم إنما وزعوها في إخلاص وفي غيرة صادقة فذاعت هذه الآراء وهذه العلوم بالانجلترا أيما ذبوع.

وفي الفترة التي أعقبت هذا الفتح قام نزاع دينى عنيف بين الكنيسة الكاثوليكية ومعارضيه من راغبي الإصلاح الانجليز ومن المتطرفين بفأثر هذا النزاع - إلى أكبر حد - في مدى انتشار الثقافة الحديثة، إذ حاربها رجال الدين وشنوا عليها الفارة، لاعتقادهم أنها السبب المباشر في تحرير الأذهان وتمرداها وخروجها على طاعة الكنيسة، كذا أثر في الثقافة أن اضطر الشعب كله إلى الاشتراك في هذا النزاع وانصرافه عنها ولو إلى حين.

أثر اختراع الطباعة:

وفي منتصف القرن الخامس عشر وقع حادث هام في تاريخ الأدبيات كلها، أجل، فقد اخترعت الطباعة إذ ذاك بالطريقة المستعملة حديثاً، وبهذا الاختراع حفظ الأدب القديم من الضياع، بل انتشر هو والمستحدث في كل مكان وذاع أكبر ذبوع، وكان « وليم كاستون » أول انجليزى اشتغل بالطباعة وإن كان قد سبقه في هذا الفن « يوخنا جوتنبرج » الألمانى.

نشر كاستون عدة كتب قيمة استنفدت منه مجهوداً كبيراً لصعوبة الطباعة آنذاك، وأهم هذه الكتب على الإطلاق كتاب « لعبة الشطرنج » و « حكم الفلاسفة » و « تاريخ ترواده » .. « والخرافة الذهبية » ؛ وبهذا المجهود الرائع وغيره من جهوده الجبارة تيسر لكاستون أن يحافظ على مستوى الانجليزية من الانحطاط ، ذلك المستوى الذي وصل إليه شوسار الشاعر الإنجليزي الكبير ، وفي الحق أن عمل كاستون ، وإن كان آلياً محضاً ، ولكن فضله على الأدب لا يمكن إغفاله لحاجة البلاد اللازمة إذ ذاك إلى المؤلفات القديمة القيمة ، هذا عدا حسن اختياره للمؤلفات التي قام بطبعها ، الأمر الذي ساعد على تهذيب اللغة إلى حد كبير .

أثر الترجمة :

وتد استهل الانجليزية استقلالهم للحركة العلمية بترجمة المؤلفات القيمة لكبار الفلاسفة الأقدمين من الإغريق والرومان أمثال فيرجيل وأوفيد وشيشرون وديوتينس ، وفي الحق أن نهضة الأدب الإنجليزي وازدهاره تعود في أساسها إلى فضل هذه الفترة بالذات ، وإن ترى لغير الراسخين أنه قد ابتدع ابتداءً ، نعم ، فإن الدراسات المتواصلة لهذه المؤلفات قد خلقت في الانجليزية ذوقاً أدبياً على غرارها وعلى نمطها ، أجلى ما يستبينه الأديب في مؤلفات (ملتون) الرائعة وغيره من كتاب وشعراء العصر الأليصاباتي المشهورين ، وكان أن تأثرت هذه الأدبيات بالروح اليونانية واللاتينية إلى أبعد حد ، وباتت مؤلفات كبار شعراء الانجليزية الأوائل كشوسار لاتعامل كمثل أعلى يجب أن يحتذى الأديب الإنجليزي ؛ بل اقتصرت أهميتها على مجرد ماتركه من أثر في نفوس دارسيها الذين لم ينقذوها من تقديم بعد تحررهم من قيود التقاليد .

أثر التحرر الديني :

كذا تأثرت أدبيات هذا العصر بروح حرة جريئة ، هي ثمرة الإصلاحات الدينية التي حررت العقول إلى حد ما ، وخففت عنها أعباء العادات والتقاليد ، فكان أن تيسر ذبوع الأدب بين كافة طبقات الشعب دون تخرج من قوانين الكنيسة الكاثوليكية التي كانت تقيد في كثير من الأحيان وتحرم بعضه ، وكان أن ظهر من بين رجال الدين أدباء بارعون ملجوا الكتابة في سهولة وفي إبانة ونشويق ، وأجلى ما يستبين القارئ هذا الأسلوب في كتاب « الشهداء » لمؤلفه فوكس .

أثر الرقي الاجتماعي :

وقد اتسع الأفق أمام الأدب باتساع مرافق الحياة ، وبما اكتسبه البلاط الإنجليزي من

لأهية والرواء إذ بلغت الحال الاجتماعية والمادية من الرق مدى بعيد، ونتيجة طبيعية لهذا أن اسعى بعض الكتاب كما يوفقوا بين أسلوب الكتابة أكثد وبين الحال الجديدة حتى ييسر له تصويرها في دقة وفي جمال، وإذا أضفنا إلى هذا ما كانت تقيمه الحكومة والآهالى من الزينات الباهرة والحفلات الكبيرة كلما جند نصر من الانتصارات الحربية، وما كانت تحتاجه هذه الحفلات من الروايات التمثيلية التي تتفق في مغزاها مع ما اجتمع له المحتفلون، أدركنا بسهولة مقدار حاجة المصر إلى أدباء روائيين يقدمون الغذاء الصالح من هذه الروايات، وإن لم يكن من الميسور تأليف هذه الروايات بالوفرة التي احتاجها العصر، فقد استعان الأدباء بالنقل عن الأدب القديم والمتوسط، وعن أدب المعاصرين أيضاً من التليانيين والأسبانيين وغيرهم، وبذلك ارتقت الرواية التمثيلية إلى حد بعيد. وأنا أشايح من يذهبون في القول بأن الاستكشافات الجغرافية التي تمت إذ ذاك على يد الانجليز أمثال فروبيشار ورالى ودريك، قد ساعدت كثيراً على اتساع مدى الخيال أمام الأدباء، وهذا الخيال — على حد ما أعلم — هو المادة الأساسية التي كانت القصة تتكون منها حتى عهد قريب.

خاتمة :

ما تقدم يصح لنا أن نستنتج — دون تعسف في التأويل أو إغراق في الاستقراء والاستطراد — أنه كان للنهضة الأوروبية على الأدب الانجليزى أثر بعيد، المدى حتى ذاع وانتشر وتكرست له جهود عدة، حتى انتفى عن المشتغلين به كل أثر للتحقير والاستخفاف، إذ كان نشر الكتابات الأدبية وإذاعتها يحط من كرامة الكاتب ويقلل من مركزه الأدبي، وخاصة إذا كان هذا الكاتب من طبقة الأشراف، بيد أن معظم كتاب هذه الطبقة أمثال فيليب سدنى وسبنسر ترمدوا على هذا الجود الفكرى ولم يأبهوا به وأخذوا الأدب صناعة لهم وسلموا إلى الشهرة والظهور، وإذ ذاك هطلت المؤلفات القيمة كأنها الغيث، وأقبل الشعب على الأدب كتابة ودراسة إيماناً وإقبالاً.

رشدى ميخائيل السيسى
ليسانسيه في الأدب الانجليزى

المعرفة في تونس

تطلب « المعرفة » في تونس من حضرتى وكيلينا السيد محمد الامين والسيد طاهر صاحبي المكتبة العلمية رقم ١٢ نهج الكتبية .
أو من حضرة السيد محمد بن الحاج صالح النمينى صاحب مكتبة الاستقامة رقم ٣٤ نهج سيدى ابن عروس .

ابن سينا

وفلسفته

بقلم الأستاذ محمد ثابت الفندي : ما جستير في الفلسفة

حياة مضطربة

لما عظمت فليس مصر واسمى لما غلا ثمنى عدمت المشتري
قال ناقد حصيف عن حياة (كانط) شيخ فلاسفة الألمان: إنها كانت منتظمة جد الانتظام مثل
الفعل الذي لا يشذ في تصريف ما من تصاريفه ؛ ولو وفق ذلك الناقد لدراسة حياة
ابن سينا بعد خروجه من بخارى، لقال إنها مضطربة أيما اضطراب كذلك الفعل الشاذ الذي
لا يعرف له نظام . وليس شيء أدل على حياة ابن سينا المضطربة من هذا البيت الذي قاله
فيلسوفنا في قصيدة له بجزجان، وتتمثل به في معرض حديثه إلى تلميذه الجوزجاني عن حياته
المضطربة ونفسه السائمة الملوثة التي لا تكاد تستقر به في مصر من الأمصار حتى تخيل إليه أنه
باعظم قدراً من أن يسعه ذلك المصر، وأنه أغلى ثمناً من كل من فيه .

بهذه الفكرة نظر ابن سينا إلى العالم ، فعاش بقية حياته متنقلاً بين أمصار فارس وروما،
فلم يسعه مصر منها ، ولا احتواه عن رضا منه قصر أمير من أمرائها .

ويظهر أن هذا الأسلوب من العيش كان شائعاً بين علماء عصره : فهذا أبو منصور الثعالبي
النيسابوري شيخ أدباء ذلك العصر، قضى حياته متنقلاً بين القصور فقدم « لطائف المعارف »
للصاحب ابن عباد وزير آل بويه ، وقدم « التمثيل والمحاضرة » إلى قابوس بن وشمكير ،
وقدم غير ذلك إلى مأمون بن مأمون أمير خوارزم . ويقال مثل هذا في أبي الريحان البيروني
وهو أزهر نجوم عصره في الفلك والرياضة والتاريخ ، فقد صرف شطراً من حياته الأولى
في كنف أمراء خوارزم ، وقدم إليهم بعض مؤلفاته ، ثم اتصل بالأمير شمس المعالي قابوس
ابن وشمكير الزبيري فأهدى إليه - حوالي عام ١٠٠٠م - مؤلفه الخالد « تاريخ الأمم » ، ثم
عاد مرة أخرى إلى خوارزم ، ثم التحق بخدمة السلطان محمود بن سبكتكين وصحبه في غزواته
ألهند حيث ألف أخلد كتبه « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة » ،
الذي يعدده المستشرق الدكتور (ساشو) أول كتاب في الدراسات الشرقية في العالم .

ويظهر أن حياة التنقل التي كان يحياها أولئك العلماء ترجع إلى أسباب سياسية محضة؛ فقد كانت فارس كما قدمنا في المقال السابق منقسمة إلى إمارات كثيرة، وكان كل أمير يحاول أن يجتذب إلى عاصمته أكبر عدد من العلماء حتى يبرز منافسيه، وبذلك أصبحت تلك العواصم السياسية عواصم علمية يؤمها العلماء والأدباء من كل حذب وصب، يصيبون في كل واحدة منها النجاح والتوفيق حيناً، ثم يخلونها ليمثلوا أدواراً أخرى في غيرها من العواصم. ولعل السياسة كانت بذلك أم عامل في إنهاض العلوم والعلماء حتى جعلت من القرنين الرابع والخامس أزهى عصور العلم في الإسلام. (١)

مباني في كركانج

افتتح ابن سينا حياة التنقل بمدينة كركانج عاصمة خوارزم، وتاريخ انتقاله إليها غير معروف ولا مذكور، وإذا صح أن ذلك كان بعد اضطراب أحوال الدولة السامانية وسقوطها، فيكون انتقاله إلى كركانج إنما كان حوالي سنة ٣٩١ هـ. وكل ما يحدثنا به فيلسوفنا عن فترة حياته بتلك المدينة - وهي بلا شك فترة طويلة كما سنرى - أنه نزل بكركانج عندما كان أميرها علي بن مأمون، وكان وزيره أبو الحسين السهلي المحب للفلسفة، وكان هو على رضى الفقهاء إذ ذاك بطيلسان وتحت الحناك (٢)، وقد أثبتنا له مشاهرة دائرة تقوم بكفايته.

وهذا الأمير الذي يحدثنا عنه ابن سينا هو ثاني أمراء أسرة امتد حكمها من سنة ٣٨٥ هـ إلى سنة ٤٠٨ هـ، وكان أول أمرائها مأمون بن محمد بن علي الذي قتل سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م)، وخلفه ابنه علي بن مأمون الذي يذكره الفيلسوف والذي توفي عام ٣٩٩ هـ على ما يظن، ثم ملك بعده أخوه أبو العباس مأمون حتى ٤٠٧ هـ، وسقطت تلك الأسرة عام ٤٠٨ هـ تحت ضغط غزوات السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي.

أما وزير علي بن مأمون المحب للفلسفة فهو أبو الحسين أحمد بن سهل بن محمد السهلي، ويرجح ميرزا محمد (٣) أنه السهلي، كان وزيراً لعلي بن مأمون ثم لأخيه أبي العباس مأمون، وفر في عهد هذا الأمير الأخير إلى بغداد سنة ٤٠٤ هـ (١٠١٣ م)، وتوفي في (سر من رأى) عام ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م)، وقد قدم ابن سينا بعض كتبه إليه، منها قصيدته المزدوجة في المنطق التي نشرها (شمس الدين) عام ١٨٣٦ م، ثم أعيد نشرها بمصر، وتعد في المنطق كالألفية ابن مالك في النحو.

حياة ابن سينا في كركانج على طولها - يحيط بها الغموض، اللهم إلا ما ذكره نظامي عروضي السمرقندي في القصة السادسة والثلاثين في كتابه «المقالات الأربع» عن أخبار أيام

(١) الدكتور طه حسين: الأدب الجاهلي.

(٢) نوع من ألبة الرأس.

(٣) راجع الترجمة الانجليزية لكتاب المقالات الأربع ص ٨٥، تعلية ٣.

ابن سينا ببلاط الأمير الخوارزمي أبي العباس مأمون ، فقد قال إنه كان ببلاط ذلك الأمير طائفة من العلماء قاما مجتمع مثلهم في بلد واحد ، منهم وزيره أبو الحسين السهلي ، وأبو الريحان البيروني ، وأبو سهل المسيحي - وقد تقدم ذكرهم - وأبو نصر العراقي الذي يعنفه صاحب « المفاتيح الأربع » بأنه الثاني بعبد بطليموس في العلوم الرياضية ، وأبو الخير بن الخمار أو خمارو كما يقول البيهقي ^(١) ، وأخيراً أبو علي بن سينا .

وبينا كان أولئك العلماء يرعون في بحبوحة من العيش في كنف خوارزمشاه أبي العباس مأمون إذ وفد على هذا الأمير رسول من قبل السلطان محمود بن سبكتكين هو حسين بن علي ابن ميكائيل يطلب إلى الأمير الخوارزمي أن يبعث أولئك العلماء إلى بلاطه بمدينة غزنة عاصمة أفغانستان .

والسلطان محمود بن سبكتكين آنئذ أعظم سلاطين آسيا الوسطى ، يهابه الأمراء جميعاً وينحنون أمام إرادته ، فما أن بدت هذه الرغبة من جانبه حتى أسرع الأمير أبو العباس مأمون إلى تلبيةها ، فجمع العلماء وأطلعهم على أمر الرسول ، وقال لهم : إن محموداً قوى عزيز الجانب ، ولست بمستطيع أن أرد أمره فأترون ؟

فارتأى ثلاثة منهم الذهاب إلى غزنة لما سمعوه عن بأس سلطانها وكرمه وحسن وفادته ، وهم أبو نصر العراقي ، وأبو الخير بن الخمار ، وأبو ريحان البيروني ؛ أما أبو سهل المسيحي وابن سينا فقد أصرا على الرفض ، فساعدهما الأمير أبو العباس على الفرار ، وهياً لهما سبيله فأمدهما بدليل يقودهما في الصحراء بين كركانج وجرجان التي كانت هدفهما .

يحدثنا السمرقندي في القصة نفسها أن السلطان محمود لم يكن غرضه من رسالته إلى الأمير أبي العباس مأمون غير استقدام ابن سينا الفيلسوف ، فلما لم يجده بين من وفد عليه من العلماء اتدبن وجههم خوارزمشاه إلى غزنة غضب كثيراً وكلف أحدهم وهو أبو نصر العراقي - وكان

(١) يقول البيهقي في تصحيح اسم هذا العالم : « وقد أفرد السلطان محمود (بن سبكتكين) للحكيم أبي الخير ناحية يقال لها ناحية خمارو ، ونسب أبو الخير إلى تلك الناحية ، فقل له أبو الخير خمارو تمييزاً بينه وبين أبي الخير صاحب البريد ، وقد سماها من قال هو أبو الخير الخمار » (تاريخ حكماء الإسلام : ص ٥)

ويقول عن حياته : « إن السلطان محمود بن سبكتكين حمّله إلى غزنة وعرض عليه الإسلام فأبى ، ثم يوماً بمكتب فيه معلم حسن الصوت يقرأ سورة فوقف وبكى ساعة ورأى في ليلته تلك النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في منامه يقول له : يا أبا الخير ! مثلك مع كمال عقلك يقبح أن ينكر نبوتي ، فأسلم » .

بارعاً في صناعة الرسم واستخراج الصور - أن يضع صورة للفيلسوف الفار، ففعل واستخرج من تلك الصورة أربعين نسخة أذاها السلطان محمود في كل أقاليم فارس منقياً عن الفيلسوف. أما سبب اهتمام سلطان غزنة بابن سينا فمعرفة، لأنه كان أشد أغلى درة يزدان بها قصر من قصور الأمراء : طبيباً لا غنى عنه، وفيلسوفاً جليل القدر. أما فرار ابن سينا من وجه السلطان محمود فأمر يمكن أن تتلمس أسبابه في أخلاق السلطان نفسه : فقد كان سريع الرضا، سريع الغضب، قال لوزيره ذات مرة : إن الموك كالأطفال يسرون ويفضون لأقل الأشياء وأنهم (١). والظاهر أنه كان ملكاً بهذا المعنى، فكانت صحبته غير هينة ولا محببة، وكان سنياً متعصباً لمذاهب أهل السنة، حتى إن ابن الأثير صورته في تاريخه « الكامل » بصورة الرجل الجامد الذي لا يرى في العلوم العقلية إلا سبباً من أسباب الكفر والزيف في العقيدة. قال في أخبار سنة عشرين وأربعمائة عند امتلاك السلطان محمود للرى عاصمة مجد الدولة : « وصلب من الباطنية خلقاً كثيراً، وبنى المعتزلة إلى خراسان، وأحرق كتب الفلسفة ومذاهب الاعتزال والنجوم » (٢)؛ فرجل هذا خلقه وهذا موقفه حيال النظر العقلي الذي لا يعتمد على نصوص الدين، لا يمكن فيلسوفاً يؤمن بفلسفته أشد الإيمان كابن سينا أن يستظل بعرشه، أو أن يسبق الحياة بقربه، « فإن الفلسفة - كما يقول سبينوزا - لا تجعلنا أثرياء ولكنها تجعلنا أحراراً ». والواقع أن ابن سينا سيظل معرضاً عن السلطان محمود، وزهو بلاطه ورفع ملكه، متجنباً لقاءه أو الوقوع بين يديه حتى يحتويه القبر ويرقد رقوده الأخير، لا بل سيشترك بالفعل في بعض المكائد السياسية ضد سلطان غزنة عندما يكون ببلاط علاء الدولة بأصفهان ويناصبه العداة كما سنرى، وما ذلك إلا لأنه كان يحترم حريته الفكرية.

ويصف السمرقندي فرار ابن سينا وأنى سهل المسيحي مع دليلهما في جوف الصحراء فيقول : إنهم قطعوا في أول ليلة خمسة عشر فرسخاً، ولما أصبح الصباح حسب ابن سينا طالعيهم في رحلتهم فرأى أنهم سيضلون الطريق وسيلاقون من عنث الطبيعة مر العذاب، وكذلك فعل أبو سهل المسيحي فرأى أنه لا بد أنه سيموت في الطريق قبل الوصول إلى جرجان.

بهذه الأفكار العابثة التي قد تكون من خيال القصاص وأصل القارون رحلتهم، وفي اليوم الرابع هبت عاصفة هوجاء أثارت النقع والرمال، وأبدت السماء حلكة وظلمة، وغيرت معالم الطريق فضلوه كما شاء القصاص أن يتنبأ ابن سينا، ويشاء الله إلا أن يحقق نبوءة أبي سهل المزعومة فيموت من نقاد الماء وشدة حرارة الشمس. أما الرئيس ودليله فقد وصلاً إلى (باورد) بعد أن

(١) راجع القصة الرابعة عشر من « المقالات الأربع ».

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٦٠ : أخبار سنة ٤٢٠ (طبعة أوروبا)

قاسيا مر العذاب ، وقفل الدليل عائداً ، على حين قد واصل الرئيس رحلته قاصداً جرجان عاصمة الأمير قابوس بن وشمكير الزيارى .

مبانه فى جرجان

يذكر ابن سينا أنه فى طريقه إلى جرجان مر بطوس وشقان وسمنقان وجاجرم رأس حد خراسان ، ثم وصل أخيراً إلى جرجان ، ويذكر السمرقندى أنه مر بنيسابور قبل وصوله إلى جرجان فوجد بها بعض أعين السلطان محمود تبحث عنه فاقتبأ فى مكان أمين بضعة أيام ، ثم عزم وجهه شطر جرجان ^(١) ؛ فإذا صحت رواية السمرقندى فيما يختص بمروره بنيسابور ، فإن قصة لقاء فيلسوفنا بأبى سعيد بن أبى الخير الصوفى الكبير التى يذكرها فريد الدين بن العطار فى كتابه « تاريخ الأولياء » تكون محتملة الوقوع ، لأن تلك القصة تذهب إلى أنهما التقيا فى خلوة بظاهر نيسابور .

وذلك المتصوف العظيم ولد - كما يقول ادورد براون - عام ٩٦٧ م (٣٥٧ هـ) ، وتوفى عام ١٠٤٩ م (٤٣٨ هـ) ^(٢) ، وقد ذكره حاجى خليفة وقال إنه توفى عام ٤٤٠ هـ ؛ ^(٣) ونحن لانعرف الآن شيئاً عنه اللهم إلا مجموعة من الرباعيات التى جمعها ونشرها وعانى عليها الدكتور H. E. He عام ١٨٧٥ ^(٤) . وتتلخص قصته مع ابن سينا فى أنهما لما التقيا تحدثا ملياً فى تصوير كل من الفلسفة والتصوف للكون ، فأعجب كل بالآخر كل الا عجاب ، حتى : لقد قال الصوفى عن الفيلسوف بعد فراقه له : « كل ما أراه يعرفه [ابن سينا] » ، وقال الفيلسوف : « كل ما أعرفه يراه » ، وفى رواية أخرى ذكرها الدكتور Ette فى بحثه المشار إليه : أن الفيلسوف قال : « كل ما أعرفه يراه [هو] » ، على حين قال أبو سعيد : « كل ما لا أراه يعرفه » ^(٥) ، وفرق بين هذه الرواية الأخيرة والرواية السابقة . وسيظل أبداً الفرق بين الفلسفة والتصوف هو هذا الفرق الذى يتجلى فى عبارتهما الوجيزة ، فإن الفلاسفة - كما يقول فولتير - يقولون أشياء كثيرة فى عبارة وجيزة .

ويظهر أن العلاقة كانت متصلة بعد ذلك بين أبى سعيد بن أبى الخير وأبى على بن سينا ، فلقد أصيب المتصوف ذات مرة بلوثة من الشك والتذبذب فى مذهبه : « والتذبذب - كما يقول -

(١) راجع القصة ٣٦ من كتاب « المقالات الأربع »

(٢) ادورد براون Lith. ist. of Persia ج ٢ ص ٢٧٦ .

(٣) حاجى خليفة : كشف الظنون : ج ٣ ص ٤٠٨ .

(٤) 1875q145 168 (4) Acc. D-Wisseuch . Ber- D- Kanëgl Bager . sity—

(٥) git, Hsht, gPu ج ٤ ص ٢٦٢

بداية حال الترهّب ، ومن ترهب ترأّب (١) ، فكتب إلى الفيلسوف يستنصحه ويسترشده ، فكتب إليه أبو علي رسالة من أروع ما يقرأ في الأدب الخالص وفي الأخلاق ، يبرز فيها الفيلسوف دستوره في الحياة كيف ينبغي أن يكون ، وهذا بعض ما جاء فيها :

« ليكن الله أول فكره وآخره ، وباطن اعتباره وظاهره ، ولتكن عين نفسه مكحولة بالنظر إليه ، وقدمها موقوفة على المثل بين يديه ، مسافراً بعقله في الملكوت الأعلى ، وما فيه من آيات ربه الكبرى ، فإذا انحط إلى قراره ، فلير الله في آثاره ، فاته باطن ظاهر تجلي لكل شيء بكل شيء :

ففي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد (٢)

ويؤخذ من بيتين لأبي سعيد بن أبي الخير أنه كان يقرأ كتاب الشفاء ، ولربما كان ذلك عند ما أصيب بتلك اللثة في فكره وعقيدته ، لأننا نراه بعد وفاة ابن سينا يعلم أن هذا الكتاب إنما يزيع بالفكر عن سنة المصطفى وأنه بسبب ذلك قطع الأخوة بينه وبين مؤلفه الذي مات على مذهب أرسطو ، وهذان البيتان هما :

قطعنا الأخوة من معشرهم مرض من كتاب الشفاء

فأتوا على دين رسلنا وعشنا على سنة المصطفى (٣)

لا يتحدثنا ابن سينا ولا تلميذه الجوزجاني بشيء من هذا كله ، بل هما لا يذكرا قصة مع هذا المتصوف الخبير ، ولعل هذا هو ما جعل المستشرق (نيكولسن) يشك في أمر التقاءهما بنيسابور .

واقدر كان غرض ابن سينا من رحلته إلى حان الاحتباء بعرض أميرها قابوس بن وشمكير الزيارى ، فهو يقول : « وكان قصدي فيها لا أمير قابوس ، فاتفق في أثناء هذا أخذ قابوس وحبه في بعض القلاع وموته هناك » (٤) ، ويذكر ابن الأثير أن وفاة ذلك الأمير كانت

(١) ترهب صيغة مأخوذة من الراهب . وفي تعريفات الجرجاني : الراهب هو العالم بالدين المسيحي من الرياضة والانقطاع عن الخلق والتوجه إلى الحق ، الطائفة الحبيدية بمصر ١٣٢٢ هـ - ٧٥٥

(٢) خطاب أبي سعيد بن أبي الخير ورد ابن سينا عليه . نشره بالقاهرة بأول كتاب النجاة المطبوع سنة ١٣٣١ هـ

(٣) ذكر هذين البيتين المستشرق يحيى بن ميكائيل المهرني في مقدمته التي صدر بها الرسائل التي نشرها بليدن عام ١٨٩٤ لفيلسوفنا ابن سينا .

(٤) القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ٣١٧

سنة ٤٠٣ هـ ، وعلى هذا يكون هذا العام أول عهد بجرجان كما يكون آخر عهده بكر كنج التي نظن أنه عاش فيها من سنة ٣٩١ هـ إلى ٤٠٣ هـ .

وبينا يصرح ابن سينا بأنه لم يتصل في جرجان بأمرها قابوس بن وشمكير بسبب وفاة الأمير قبيل وصوله إليها ، إذ بنا نجد نظامي عروضي السمرقندي يقص علينا من القصص ما لا يجعل أقل ريب في اتصال الفيلسوف بالأمير ، ويجعل الطب هنا — كما كان في بلاط السامانيين — خياراً — أساس الصلة بينه وبين الأمير ، فيقول إن أبا علي عند ما هبط جرجان التحق بتزل للقوافل يسكن فيه مختبئاً عن أعين السلطان محمود ، وكان يشتغل بالطب فعالج كثيراً من المرضى وطار صيته في أنحاء المدينة حتى بلغ مسامع أميرها قابوس بن وشمكير ، فاستداه الأمير لمعالجة فتي من أقاربه عجز الأطباء عن علاجه .

وهنا نرى ابن سينا يقوم بمهمة الطبيب النفسي *eztaikcggzq* الذي يحلل الأمراض النفسية ، لأن المريض كان مصاباً بداء العشق : فوفق الطبيب لمعرفة الداء ووفق لمعرفة اسم المحبوبة التي كان يحبها ذلك المريض واسم عائلتها وبلدتها . فأعجب به الأمير كثيراً واستداه للتأه ، ولما أن وقعت عيناه على الطبيب عرف في الحال أنه الرجل الذائع الصيت أبو علي بن سينا ، وذلك لمشاربته للصورة التي بعثها إليه السلطان محمود غزنة باحثاً منقياً عليه . فنزل الأمير عن عرشه وتقدم إليه واحتضنه وأجلسه بجواره احتراماً وإجلالاً لقدره ^(١) .

والتحليل النفسي الذي يصنفه السمرقندي في هذه القصة يذكره ابن سينا في كتاب « القانون في الطب » ^(٢) ، ويظهر أنه طبقه وجربه ، ولكنه لم يشر قط إلى هذه الواقعة المعينة التي ينسبها إليه السمرقندي ببلاط قابوس بن وشمكير . ولا شك عندي في بطلان هذه الواقعة المعينة مادامت متعلقة بذلك الأمير ، لأن ابن سينا يذكر صراحة أنه لم يتصل به ، وليس السمرقندي بأعلم منه بمن لاقاه أو لم يلقه .

لما لم يجد ابن سينا قابوس بجرجان رحل عنها في حينه إلى دهستان ، ولكنه سرعان ما عاد ثانية إليها ، فلقى فيها رجلاً من أفاضل أعيانها ، ميالا إلى الحكمة هو أبو محمد الشيرازي الذي استأجر داراً لتزول الفيلسوف بها وعنى بأمر عيشه . وفي هذه الدار كان يتردد على الفيلسوف أول تلاميذه والصقهم به ، ألا وهو أبو عبيد الله عبد الواحد محمد الجوزجاني ^(٣) الذي صحب

(١) السمرقندي « المقالات الأربع » ، الترجمة الانجليزية ، القصة ٣٦ .

(٢) ابن سينا « القانون في الطب » ، ج ٢ ص ٧١ — ٧٣ طبعة بولاق .

(٣) الجوزجاني هكذا ضبطها السمعاني في كتاب الأنساب ، ولعلها نسبة إلى جوزجان ، قال ياقوت الحموي في معجم البلدان في مادة جوزجان : « جوزجانان وجوزجان هما واحد ، بعد الزاي جيم وفي الأولى نونان ، وهو اسم كورة واسعة من كور بلخ بخراسان » .

أستاذة منذ ذلك ولازمه ملازمة الظل حتى شيعه إلى القبر . ومدة ذلك - كما يقول التلميذ في ترجمته لأستاذه - خمس وعشرون سنة، ويقول البيهقي إنها ثلاثون ^(١)، ولا شك في صحة الرأي الأول، لأن ابن سينا يذكر أنه لاقاه بجرجان فإذا علمنا أنه بدأ حياته بجرجان عام ٤٠٣ هـ، وأنه توفي بأصفهان عام ٤٢٨ هـ كانت مدة صحبة تلميذه له خمساً وعشرين سنة كاملة، وكانت رواية البيهقي تبعاً لذلك باطلة.

ولسنا نعرف شيئاً ذا قيمة عن حياة فيلسوفنا بجرجان اللهم إلا أنه اشتغل بالتدريس، فقد قرأ تلميذه عليه كتاب «الجسطى»، واستملاه المنطق فأملى عليه «المختصر الأوسط في المنطق»، ولعل هذا المختصر عين الكتاب الذي يذكره ابن أبي أصيبعة وحاجي خليفة باسم «الأوسط الجرجاني في المنطق»، ويقولان إن ابن سينا صنفه لأبي محمد الشيرازي. ومن تصانيفه بجرجان «المختصر الأصغر في المنطق»، وهو المنطق الذي ألحق بكتاب «النجاة»، و«مختصر الجسطى»، ورسالة في «الزاوية»، وأخرى في «الأرصاء الكلية»، وثالثة في «المبدأ والمعاد»، وهاتان الأخيرتان - كما يقول القفطي وحاجي خليفة - صنفهما أيضاً للشيرازي، ويخالفهما في الأخيرة ابن أبي أصيبعة الذي يضيفها إلى الشيخ أبي أحمد بن إبراهيم الفارسي. إلا أن أهم ما بدأ بكتابته بجرجان كتابه الخالد في الطب المسمى «القانون»، قال عنه ابن أبي أصيبعة: «صنف بعضه بجرجان وبالري، وتكمه بهمدان، وعول على أن يعمل له شرحاً وتجارب ^(٢)».

[للبحث بقية]

محمد ثابت الفندى

(١) البيهقي «تاريخ حكماء الإسلام» ص ٣٥.

(٢) ابن أبي أصيبعة «طبقات الأطباء» ج ٢ ص ١٨.

المعرفة في السودان

تطلب مجلة «المعرفة» في السودان من المكتبات الآتية:

- ١ - مكتبة البازار السوداني بالخرطوم
- ٢ - « زكي أفندي جرجس بطليموس بالخرطوم
- ٣ - النهضة العربية بأم درمان
- ٤ - « البازار السوداني »
- ٥ - « المرغنية بكسلا
- ٦ - « البازار السوداني بمطبره
- ٧ - « كمال أفندي ميخائيل غالى بواد مدين
- ٨ - « الخواجا عبد المسيح خليل بمطبره

٢- مهديو بني العباس*

بقلم الأستاذ مصطفى جواد (بغداد)

ثم إن العباسيين قطعوا أمل العلويين بتلقيبهم عبد الله بن محمد بن علي السفاح بالقائم والمرضى، قال الخطيب « أخبرني الحسين بن عمر القصاب . . . عمره الأعمش: وأخبرنا عبد العزيز بن علي الوراق . . . عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي — ص — قال: يخرج منا رجل في انقطاع الزمن وظهور من الفتن يسمى السفاح يكون عطاؤه المال حسياً^(١)، ونقل رواية بني العباس عن رسول الله — ص — أنه قال: « والله لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لأدال الله من بني أمية وليكون منا السفاح والمنصور والمهدي^(٢) »، فذلك تلقب أبو جعفر بالمنصور، وكان أعداء بني العباس يضعون إزاء هذه الأحاديث أحاديث تكذيبها وتثير إلى أنهم الجبابرة الذين سيحاربهم المهدي العلوي، ولما حصرت صدور بني علي عليه السلام، واستأثر بنو العباس بالسلطان والملك وطاردوهم في البلاد وشردوا بمن يطالبهم بحقه ثار مهدي الحسين « محمد بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب — ع — على المنصور بالمدينة، وتلقب بالمهدي، قال ابن عتبة « وإتما لقب المهدي للحديث المشهور عن رسول الله — ص — أن المهدي من ولدي اسمه أسمى واسم أبيه اسم أبي، وتسلعت إليه نقوس بني هاشم وعظموه، وكان جم الفضائل كثير المناقب، وحكى الشيخ أبو الفرج الأصفهاني أن الصادق أخذ بركابه ذات يوم حتى ركب، فقيل له في ذلك فقال: ويحك هذا مهدينا أهل البيت، وكان المنصور قد بايع له أخيه إبراهيم مع جماعة من بني هاشم، فلما بويع لبني العباس اختفى محمد وإبراهيم مدة خلافة السفاح، فلما ملك المنصور وعلم أنهما عزماء على الخروج جد في طلبهما وقبض على أبيهما وجماعة من أهلهما...^(٣) ».

قال مصطفى جواد: ولما قتله المنصور أي سنة خمس وأربعين ومائة للهجرة، أراد أن يضعف هوى الناس في مهدي بني علي — ع — الذي سيتولى المهدي بعد النفس الزكية محمد بن عبد الله المذكور، فلقب ابنه محمداً بالمهدي، وسلك المهدي شتى السبل لتوثيق ذلك، ومن ذلك ما دبره مع البطريق الرومي صاحب الأرحاء التي كانت في الجانب الغربي من دار السلام في صدر الدولة العباسية،

* بقية المنشور في الجزء الرابع: أغسطس سنة ١٩٣٣

١- كذا ما في تاريخ الخطيب المطبوع ولعل الأصل « حساباً » أي كفاية.

٢- الخطيب « ١٠ : ٤٨ »

٣- عم الطالب في انساب آل أبي طالب ص ٨١

قال الخطيب : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الخالعي . . . قال أنبئت أن يعقوب ابن المهدي سأل الفضل بن الربيع عن أرحاء البطريق فقال : أخبرني إسحاق بن محمد بن إسحاق قال له : من هذا البطريق الذي نسبت إليه هذا الأرحاء ؟ فقال الفضل : إن أباك — رضى — لما أفضيت إليه الخلافة قدم عليه وأقدم من الروم فاستدناه ثم كلمه بترجمان عنه . فقال الرومي : إني لم أقدم على أمير المؤمنين لمال ولا غرض وإنما قدمت شوقاً إليه وإلى النظر إلى وجهه ، لأننا نجد في كتبنا أن الثالث من أهل بيت نبي هذه الأمة يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، فقال المهدي : قد سرني ما قلت ولك عندنا كل ما تحب ، ثم أسر الربيع يائزاً له وإكرامه ، ثم خرج يتنزه فر بموضع الأرحاء فنظر إليه ، فقال للربيع : أقرضني خمسمائة ألف درهم أبني بها مستغلاً يؤدى في السنة خمسمائة ألف درهم فقال : أفعل ، مم أخبر المهدي بما ذكر فقال : أعطه خمسمائة ألف درهم وخمسمائة ألف درهم وما أغلت فأدفعه إليه ، فاذا خرج إلى بلاده غابعت به إليه في كل سنة ، قال : ففعل ، فبني الأرحاء ثم خرج إلى بلاده فكانوا يبعثون بغلتها إليه حتى مات الرومي فأمر المهدي أن يضم إلى مستغله . (١)

ولم يقصر بنو العباس هذا التوليد على أنفسهم لئلا ترتاب بهم الأحلام وتستكذبهم الأفهام ، فقد زعم الرواة في عهدهم أن رجلاً من أهل الكتاب وفد على معاوية بن أبي سفيان وكان موصوفاً — على ما قالوا — بقرأة الكتب فقال له معاوية : أتجد نعتي في شيء من كتب الله ؟ قال : إى والله لو كنت في أمة لوضعت يدي عليك من بينهم ؛ قال : فكيف تجدني ؟ قال : أجذك أول من يحول الخلافة ملكاً والخشنة ليناء ، ثم إن ربك من بعد ما لغفور رحيم ، قال معاوية : فسرى عني ، ثم قال الكتابي : لا تقبل هذا مني ، ولكن من تصك ، فأخبر هذا الخبر ، قال معاوية : ثم يكون ماذا ؟ قال : ثم يكون منك رجل شراب للخمر سفاك للدماء ، يحتجز الأموال ويصطنع الرجال ويحب الخيول ويبيح حرمة الرسول ، قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم تكون فتنة تشعب بأقوام حتى يفضى الأمر بها إلى رجل أعرف نعتي ، يبيع الآخرة الدائمة بحظ من الدنيا مخسوس ، فيجتمع عليه من آلك ، وليس منك ، لا يزال لعدوه قاهراً وعلى من ناوأ ظاهراً ، ويكون له قرين مبير (٢) لعين ، قال : أفقرعه إن رأيته ؟ قال : شديماً ، فأراه من بالشام من بنى أمية ، فقال : ما أراه ههنا ، فوجهه إلى المدينة مع ثقات من رسله ، فاذا عبد الملك يسعى مؤزرراً في يده طائر ، فقال للرسول : ها هو ذا .

فالأمر التي تضمنها هذا الخبر — وإن كنا لا يعنيننا صحتها ولا كذبها — ظاهرة الوضع على العلة ، وزيدك إيقاناً بتوليدها خبر ثان رواه المبرد قال : « وحدثني ابن عائشة عن حماد بن سلمة في إسناد ذكره : أن عبد الملك كان له صديق وكان من أهل الكتاب يقال له يوسف فأسلم ، فقال له عبد الملك يوماً وهو في عنفوان نسكه وقد مضت جيوش يزيد بن معاوية مع مسلم بن عقبة المري من مرة غطفان يريد المدينة : « ألا ترى خيل عدو الله قاسدة لحرم رسول الله

١ - الخطيب « ٩٢ : ١ » ، قال مصطفي حواد : وأنا أعجب للمهدي كيف قبل هذا القول وأرضاه لنفسه ؟ فنكأت الأرض ماثل جوراً قبله ، فإن ذلك عهد عمه وعهد أبيه المنصور فكأنه بنى قصره بنفسه أساسه .
٢ - ذكروا أن البير هو الحجاج

— ص — ؟ » فقال له يوسف: « جيشك والله إلى حرم الله أعظم من جيشه »، فنقض عبد الملك ثوبه ^(١)، ثم قال: معاذ الله، قال له يوسف: ما قلت شاكا ولا مرتاباً وإني لأجهدك بجميع أوصافك. قال عبد الملك: ثم ماذا؟ قال: يتداولها رهطك، قال: إلى متى؟ قال: إلى أن تخرج الرايات السود من خراسان ^(٢)، « فوجود الرايات السود يدل على وضع بني العباس لهذا الخبر، وقد قدمنا من الأسباب ما يكفي صاحب الحق نصب التحري ويطرد عن نفسه الشك. وبقي بنو العباس يحتكرون المهديّة ويستبدون بها، وإن كانت حججهم مبنية على اختلاق لا يمكن أن نحسبه شبهة فكيف نعتده وثيقة بيّنة؟ أما الخبر بل الحديث الذي رواه الخطيب في أن المهدي من بني العباس — وقد ذكرناه — فقد رواه مرة ثانية وصورته « عن أبي سعيد، قال: سمعت رسول الله — ص — يقول: منا القائم ومنا المنصور ومنا السفاح ومنا المهدي، فأما القائم فتأنيبه الخلافة لم يهرق فيها محجمة من دم، وأما المنصور فلا ترد له راية، وأما السفاح فهو يسفح المال والدم، وأما المهدي فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت ظلاماً » ذكره الخطيب بهذه الصورة الجديدة في ترجمة عبد الله بن أحمد الخليفة العباسي الملقب بالقائم بأمر الله، ليبرهن أنه هو القائم الموعود، وكان قد برز بالخلافة سنة « ٤٢٣ هـ »، وكان أبوه القادر بالله جعله ولي عهده ولقبه ذلك اللقب، ولعمري لم ينفع القائم هذا الحديث الذي جاد به الخطيب عليه ونال به في عهده رئاسة المحدثين، لأنه كان قد قاسى ذل الدولة البويهية في آخر أيامها بالعراق وكابد سلطة بني سلجوق في عنوان دولتهم بالعراق، فكان خليفة مخضرم دولتين ومصدّم عصرين وملتقى قهرين.

فالآن قد تبين لنا كيف أثرت المهديّة في تاريخ الاسلام وبدأت كثيراً من مجاريه، وكانت تتأججها بحسب الاجتهاد الذي يراه مهدي زمانه وقائم أوانه، ولكن كثر مع ذلك التصادم وتخوفت أطراف البلاد وكثرت الفتن والحروب وضعت الدولة الاسلامية، ولا سيما في العهد العباسي، واشتبه المهديون والمضلون، وانتكبت محارم الدين باسمه وثلمت دوائمه بشبهة دعوى حكمه، وكانت مضار هذه النحلة أكبر من منافعها، لأن الشعوبية والقومية الفارسية الجوسية لا ذنابها وأطمأننا في كتبها، حتى دس أصحابها أن المذكور يأتي بكتاب جديد وبسنة جديدة في يوم على العرب شديد ^(٣). فانظر إلى مصاير الأمور والأعياب الدهور !!

[بغداد]

مصطفى جواد

(١) هذه العادة الدالة على البراءة لا تزال معتادة في العراق ولكنهم بنفوس الحبوب أي الازياق

(٢) الكامل « ٣ : ١٣٨ - ٩ » طبعة المطبعة الازهرية

(٣) إشارة الاسلام ١١٩ و ١٢٤ و ١٤٣ و ١٥٨ و ٢٩٢ و ٣٠١ و ٣٠٥ و ٢٠٩ و ٣١٥

٢ - محاكم التفتيش

وكيف بدأ ديوانه التفتيش

للدكتور على مظهر

١ - سجون التفتيش في فرنسا

اجتمع رجال الكنيسة الكاثوليكية في مدينة طلوشة (تولوز) سنة ١٣٢٩ م - ١٣٢٩ هـ - لأول مرة أيام البابا جريجوريوس التاسع اجتماعاً تمهيدياً لتقرير إنشاء محكمة يقدم إليها كل من اتهم في دينه الكاثوليكي ، وكل من كان على دين أو معتقد غير ما يعتقد جماعة الكاثوليك أمثال اليهود والبروتستانت وجماعة المفكرين والأحرار والمسلمين الذين كانوا بأوروبا أيامئذ، أيام كانوا بأسبانيا والبرتغال ، وكل من يهتم بالألحاد والزندقة في مسيحيتهم الكاثوليكية. ولكن البابا المذكور لم يقرر إنشاء الديوان بطريقة رسمية والعمل بما رآه المجتمعون إلا في سنة ١٣٣٣ م ٧٣٣ - ١٣٣٤ هـ - فصدرت الأوامر إلى كل الكنائس الكاثوليكية بتعيين كاهن خاص بالبحث عن أشرنا إليهم آنفاً وتقديمهم لمحكمة باباوية خاصة . وخول لكاهن التفتيش الخاص أن يستعين بمن يراه لازماً لمعونه من الجواسيس ، وكان يطلق على تلك المحكمة الخاصة الباباوية « الديوان المقدس » أو « التفتيش المقدس » . ولم يكن يعرف أولئك الجواسيس ، بل أخفيت أسماءهم عن الناس ووعدوا بقران خطاياهم ، وأحل لهم ارتكاب الجرائم مهما يكن نوعها ومهما تعقب من عظام الأمور . فكان المتهم الذي يحضر أمام المحكمة يسأل ويقر بما يعتقده صراحة عن الكنيسة وعن الدين المسيحي ، فإذا أبى الإذعان دفع به إلى معذنين يسومونه العذاب الآليم . وظل ديوان التفتيش يعمل بفرنسا ، تارة جهراً وتارة في طي الخفاء ، تبعاً لآراء الملوك الذين عضدوه ، حتى كانت الثورة الفرنسية فتقرر إلغاؤه ، وانتقم الشعب من رجاله وهرب بعضهم إلى أسبانيا والبرتغال لينضموا إلى رصفائهم هناك .

ومع أن ذلك الديوان وتلك المحاكم كانت معروفة في فرنسا وإيطاليا وفي بلاد أخرى من أوروبا ، إلا أنها لم تعمل بها مثل ما عملت بأسبانيا والبرتغال ، ولم تمارس من الفظائع والأعمال البربرية الوحشية مثل ما مارست بجزيرة إيبريا ، حتى قدر بعضهم عدد ضحايا التفتيش بما لا يقل عن تسعة آلاف ألف من الناس أثناء المدة المحصورة بين سنة ١٣٣٣ وسنة ١٨٣٥ م ، حيث ألغى

من أسبانيا بعد أن لطخت كل أرجائها بالدم المسفوك في سبيل نصره الكئولة والقضاء على مخالفيها .

٣ - سجون التفتيش في أسبانيا

يذكر بعض عارفي أسبانيا ، أنه يوجد إلى يومنا هذا في عدة مدن بأسبانيا أبنية قديمة غريبة في هندستها وشكلها ، تبين ما حولها كل المباني ، كأنها مجموعة من قصور وأديرة وسجون معاً ؛ جدرانها ضخمة ونوافذها قد اعترضها حديد غليظ قد تصدأ .

وإذا ولجت إحدى هذه الأبنية من الخلف رأيتهم مؤلفة من عدة غرف صغيرة يوصل إليها بمر ضيق . ويصل النور إليها من (منور) صغير في سقف كل غرفة ، وقد أحكم سد المنور بثلاثة أدوار من غليظ الحديد عليها .

ويرى الزائر في أرض الممر فتحات صغيرة كل فتحة تبعد عن الأخرى نحو متر ونصف متر ، وقد أحكمها بالحديد الغليظ . وقد خصصت هذه الفتحات للمسجونين في الغرف السفلى تحت الممر ، أي الغرف التي بالدور الأسفل ، ومن تحته طبقات أخرى عديدة تحت الأرض ، وهي سجون سرية لا يهتدى إليها إلا رجال المحكمة والسجانون مخبئون .

ومهما يكن النهار رائعاً والشمس طالعة مشرقة ، فإن الزائر لا يبصر شيئاً في تلك الممرات والغرف لظلمة المكان ؛ بل يجب أن يصطحب نوراً يضئ له الطريق . أما الغرف فكانت تظلي بالشحم ، ويظهر أن ذلك كان لمنع السجين من تسلق الجدران والهرب أو عمل أي أثر في الحائط للنجاة . ثم يرى بعض آلات التعذيب في كل مكان مثل أسواط بها قطع من الحديد الشائك لجلد المسجونين وإهراء لحومهم من عظامهم ذى (كلاليب) لا تتراخ اللحام من العظم ، وقدور من الحديد لعلها كانت لصهر الرصاص . صبه على المعتدين أو لغلي الماء أو الزيت لمثل ذلك الغرض ، ويوجد إلى جانب ذلك مستودع لآلاتهم لا يزال كثير منه إلى الآن بقرتها .

ومع أن تلك السجون كانت رطبة ، فقد كان الماء يصب فيها على الدوام لكي لا تتشرب الأرض الدماء السائلة من أبدان المعتدين وتبقى مشبعة بها .

ذلك مثال من أبنية التعذيب التي كانت تدعى بدور (الديوان المقدس) يتولى الرعب والخوف كل من يمر أمامها لمجرد تصويره أنه سيدخلها يوماً ما ، فكان يتلفت يميناً وشمالاً وإلى خلف ، وهو لا يصدق أنه سيجوزها ويتخلص من منظرها الخيف المرعب .

٣ - سجون التفتيش في البرتغال

كانت محكمة ديوان التفتيش العامة بالبرتغال ، بمدينة لاسبونة ، في مكان الملعب الوطني اليوم ، وقد شغلت أبنيتها كل الحى ، حتى إن أبوابها الخلفية كانت تصل إلى الطريق المؤدى لدير القديس أنطونيو .

وقد بنيت هذه الدار بطريقة تؤدي الغرض من إنشائها ، فكانت ذات غرف عديدة وممرات مظلمة تحت الأرض ، وفي وسطها أربع قاعات كبيرة فسيحة ، كل منها أربعون متراً مربعاً ، ويحيط بكل قاعة ثلاثة أروقة ، مؤلفة من ثلاثة أدوار ، وفي جدران تلك الأروقة أبواب صغيرة ، الواحد جوار الآخر كانت أبواب السجون المعدة للمعتقلين والمعتدلين . وفي الممر الأسفل الذي يحيط بكل قاعة ، سجون صغيرة وضيقة ، حالكة ومظلمة جداً ، أعدت لمن كانوا أشد كفرةً وضلالاً من غيرهم .

وكانت الأروقة الثلاثة وما بها من سجون تحيط بكل قاعة من قاعات المذاب ، عبارة عن ثلاث درجات للمعتذب ، تبعاً لذنب المتهم ، وما يحكم به عليه من أنواع العقاب .

فن كانت ذنوبهم خفيفة سجنوا بالسجون العليا وهؤلاء يصلحهم فيها قليل من النور ، وكان جلهم ممن قبض عليهم للبحث عن شئونهم والتفتيش من أمورهم . لأن الديوان ما كان لينتق كثيراً بأى تهمة تصله مالم تكن عن أفرادهم وعيونه الذين عينهم ، أما من وشى بهم من غير الجواسيس فكانوا يزجون في تلك السجون العليا . وكان الديوان يسعى للقبض على أعدائه الذين يرغب في التخلص منهم دفعة واحدة ليقتلهم . وأمثال أولئك المسجونين سجنوا احتياطياً كانوا قلائل نادرين جداً . وكل من قبضت عليه محكمة ديوان التفتيش وأدخلته سجونها وخرج حياً منه ؛ لأن أولئك المفتشين كانوا يقضون على كل مخالف لدينهم وكذا يستنهم بالموت ، أما من كان معهم فله أن يفعل ما يشاء دون عقاب عليه .

وخصصت الطبقة الوسطى من تلك السجون للنساء اللواتي كان رجال ديوان التفتيش يترددون عليهن من حين لآخر . وكثيراً ما كان يتم ذلك للبحث بعنفاقهن في تلك الدار الموحشة . وكان لأبواب تلك السجون الفردية عوارض غليظة من الحديد ؛ يظل بها السجين بعيداً عن الباب بطريقة أعدت لذلك ، لئلا يحاول الكسر أو الفرض . ومع فرض كل المستحيلات ، وتمكن سجين من أن يفتح الباب ؛ فإنه يرى أمامه سوراً عالياً طوله خمسة وعشرون متراً يفصله عن السجن خندق عميق عرضه يتراوح بين الأربعة أمتار والخمسة ، يطوف به الحراس ليل نهار . ولا يرى السجين شيئاً مما في الخارج ولا يدري ما به وتدخل إليه أشعة من نور ضئيل وقليل من الهواء لئلا يحتنق من فتحة صغيرة في أعلى الباب . وكل غرفة لا تزيد على مترين طولاً ومثلها عرضاً ، ولا يمكن أن يتصور الإنسان ما بها من ظلام خصوصاً سجون الطابق الأسفل ، ولا سيما إذا لاحظت أن الممرات التي يستمد منها السجين النور مظلمة ظلاماً يحتاج السائر فيها إلى مصباح إذا كانت الشمس في رابعة النهار .

وكان ذكر تلك السجون يلقي الرعب في قلوب أشجع الشجعان . وكان يرى المتأمل الى جانب تلك السجون والمطابق المتصلة بقاعات ديوان التفتيش القسيحة أهية فيها رفاهية ونعيم

مقيم، فيها أفخر الرياض يتقلب عليها رجال المحسكة المقدسة في الدمقس وعلى الحرير، وبها المقاعد الوثيرة المريحة، يأكلون مالد وطاب ويحتسون الخمر والأنبذة، وإلى جوارهم أئين وعذاب أليم .

٢ - السجناء في مطبقه

لم يكن عند السجناء سوى قطعة من الخشب طولها متران وعرضها متر ونصف المتر تكون سريره على الأرض، ويمضى له غطاء من الخيش يفرش واحداً ويغطيه الآخر، وتعطى له قريمة أو قطعة من البلاط تكون وسادة له ويترك له، إزاء أن يحوى أحدهما ماء للشراب ويحفظ بالنائي بوله وبرازه، ويترك له إناء آخر للزيت يضع منه في المصباح الذي يلزم بإضاءته ليل نهار . وكان ذلك الأثاث لمن كانوا في الحبس الاحتياطي وذهبهم قليلا، أما من عداهم فلا . وسبب إلزامه بإضاءة المصباح ليل نهار، لكي لا يميز الليل من النهار . وكان يستعاض في سجون أسبانيا عن المصابيح الزيتية بشموع ، ليذكر السجناء بأنه أصبح في عداد الأموات الذين توقد لهم في غرفهم الشموع ، لشدة النكابة بهم وهم أحياء ، ولازدياد الرهبة في قلوبهم فيلتزم الهدوء والسكون . ولم يكن يسمح للسجين برفع صوته حتى لو كان يصلى ، بل يجب أن يلتزم الصمت العام ؛ والويل كل الويل لمن خالف ذلك أقل مخالفة البتة . وكان يفرض لكل سجين منهم قرض واحد في اليوم ، فإذا ما انتهى الشهر طاف بالسجناء السجناء يجمع منهم تلكم النقود ، ويسأل كل واحد منهم ماذا يرغب أن يفعل بها في شهره القادم وما يريد من مأكل مثلاً ؛ وإليك إجابته على قبيل المثال :

(١) تسعة قروش ليقدّم له كل يوم صحن مرق لحم ساخن (٢) ثمانية قروش ثمن خبز (٣) أربعة قروش ثمن جبن (٤) قرشان ثمن فاكهة (٥) أربعة قروش ثمن نبيذ .

والباقي وقدره ثلاثة قروش لغسل ثيابه، وكان يصحب السجناء كاتب يدون مطالب السجناء كل على حدة، فيقدم للسجين كل ما أملاه على الكاتب وما أبداه من رغبات مع تقديمها تماماً في أوعيد مضبوطة . أما إذا جاء أمر من الديوان بإلغاء شيء منها أو بإلغائها كلها، فلا يعطى شيء ما، وإذا ما قرر المجلس شيئاً للسجين من الأطعمة فيجب على الكاتب والسجين أن ينفذوا ذلك بكل دقة، وإلا نالها من العقاب الصارم ما يجعله عبرة لغيره، لأنه لم ينفذ أوامر المحكمة المقدسة، وكان رجالها يعدون أنفسهم نواب الله في أرضه .

أما من كان يستريد في المقرر من طعام وخمر، وكان جلهم من الغرباء، فكان يجب عليهم أن يتقدموا الرجال الديوان ويشافهوههم بطلباتهم وحاجاتهم فيستمع لهم رجال الديوان وينصتون وتجاب الطلبات غالباً ما لم يكن منها ما يضر بالصحة ، وكانوا يقصدون بذلك أن يطيلوا آجالهم لتنفيذ فيهم مشيئة المحكمة المقدسة، ولا يدعونهم يموتون من مرض تسبب عن طعام أو شراب . وكان محظوراً على السجناء أن يكلم أحداً أو أن يرفع صوته سواء أكان من الآلام أم للصلاة

أو لاستغفار الله أو للترتيل أو للغناء أو لأي سبب آخر، فكأنما قد انقطعت صلته بالعالم بأسره انقطاعاً تاماً، ومن خالف تلك الأوامر عرض نفسه للعذاب وللقصاص الأليم، وكان حراس السجون ورجال النظام في تلك السجون المظلمة ينقلون لرجال الديوان المقدس كل ما يحدث فلا تخفى عليهم خافية. وكانت المعمرات التي بها أبواب السجون ملأى بالسجانين يستمعون لمعاشر البائسين في المطابق ويأمر ونهم ألا يرتكبوا ما يحرمه رجال التفتيش عليهم مرة، فإذا عاد وارتكب مخالفة (على حد تعبيرهم) صدر الأمر بإرسال السجين إلى حضرة رجال المحكمة، ويخرج المسكين أمام بقية المسجونين، وإذا مثل أمام المحكمة أصدرت حكمها بسرعة بتأديبه وتعذيبه، فيرسل إلى قاعة التعذيب فيصيح من شدة الآلام التي يقاسمها حينئذ ويصرخ فإذا ما سمعه رفاقؤه في السجن ملئوا رغباً واشتد بهم الحزن والغم.

وكان محظوراً على السجين الإتيان بحركة أو الكلام وهو في سجنه منعاً باتاً، حتى إن أحد المسجونين أصيب بالسل بعد أن قضى زمناً طويلاً في عذابه وسجنه الرطب الموحش المظلم، فأخذ يسعل رغم أنفه، فأذروه بالأيعود إلى السعال بعد، فأجاب وهو خاشع ذليل أن هذا رغم إرادته، وأنه لا يمكنه الانقطاع عن السعال. واشتد عليه المرض فأكثر من السعال فاقطع إلى المحاكمة فقضت فيه بحكمها العسوف، وكان يقضى بضربه بالعصى فضرب حتى سقط بين أيدي معذبيه القساة واستراح من تعاسته وحياة السجون والعذاب. والذي روى هذا شاهد عيان اتهم بأنه من أحرار البنائين (الماسون)، وسجن عام ١٧٤٣ - م سنة ١١٥٦ هـ.

٥ - ديوان التفتيش في بلاد البرتغال

بدأت محاكم التفتيش تبشر فظائعها ببلاد البرتغال حوالي سنة ١٥٤٧ م (سنة ٩٥٤ هـ) أيام الملك جوان الثالث، أعني عند ما ابتدأت الأسرة المالكة هناك في الانحطاط، على أن نرجو ألا يفهم من هذا أنه لم يكن هناك اضطهادات دينية عديدة وقعت على الناس في بلاد البرتغال وبلاد أسبانيا قبل ذاك التاريخ، فكل من درس تاريخ تلك العصور المظلمة يعلم شدة غلو الملك فرديناند في تعصبه للمذهب الكاثوليكي والذي كان يقول كلمته الشهيرة وهي:

«يجب أن تكون أسبانيا إما كاثوليكية أو إسلامية»، ويعني بذلك أنه يجب أن تدين

البلاد بدين واحد وهو الكاثوليكي طبعاً، ويجب ألا تدين بدين آخر.

أما في بلاد البرتغال فقد أدخل الملك جوان الثالث ذلك الديوان الخاص المعروف بقسوته وعتوه في محاربة من خالفه، ونعني بذلك الديوان ديوان التفتيش أو محكمة التفتيش، وكان ذلك الملك يأتي إلى ساحة المدينة التي كان يحرق بها من حكمت عليهم محاكم التفتيش بالحرق والعذاب، وكان يصحب الملك الملكة والوزراء ورجال الدولة وكبار رجال الدين فيتبوءون مجالسهم في مكان مرتفع مزين أحسن زينة ليمتعوا النفس بمناظر التعذيب وحرق الجثث البشرية الحية.

حضر موت

وعمرها بالنهر الباضية

بقلم السيد عبد الله حسن بلفقيه العلوى [تريم]

لمعة عن مسمى حضرموت

حضر موت في أصلها مملكة أو ولاية تقع في جنوب شبه جزيرة العرب، وهي وإن كانت مضافة إلى اليمن وتحسب في اعتبار البعض بخلاف من مخالفته، فهي معدودة أيضاً كأحد الأقاليم الشهيرة التي يتألف منها شبه جزيرة العرب. وقد أشار إلى ذلك المؤرخ الكبير ابن خلدون في تاريخه الشهير.

ويذكر ابن خلدون في تحديده لإقليم حضرموت - كما يستخلص من مواضع متفرقة من كلامه في تاريخه - أن حد إقليم حضرموت من الشرق إقليم عمان، ومن الغرب ناحية عدن أيلة ومخلاف بيحان، ومن الجنوب البحر الهندي، ومن الشمال أرض وبار وبلاد كنده. (١) وينقل ابن خلدون عن ابن حوقل تقسيم إقليم حضرموت إلى قسمين، فيقول: إنها يكونان معاً ملكاً واحداً، فيسمى أحدهما بحضرموت وهو قسم الداخل، ويسمى الآخر - وهو القسم الساحلي - بالشحر وبلاد مهره وبيسايط حضرموت. وتحديده لهذا القسم الساحلي بأن من غربيه ساحل البحر الهندي الذي عليه عدن (٢)، وفي شرقيه بلاد عمان، وفي جنوبيه بحر الهند مستطيل عليه، وفي شماله حضرموت كأنها ساحل له.

أما بعض المتأخرين من علماء حضرموت فلم أقوال أخرى ينقلونها عن تحديد حضرموت؛ وأشهرها أن حدها بجهة الغرب الجنوبي عين بامعبد الواقعة غربي بير علي، وفي الشرق الجنوبي المكان المسمى بديموت الكائن غربي سيحوت، وفي الغرب الشمالي حدود ريدة الصيغر، وفي الشرق الشمالي نهاية حدود مهره في الشمال. فيحمل هذا التحديد شرقاً على المشقاص وما حاذاه من التخوم الفاصلة بين أرض الظن ومهره، ويحمل غرباً على جردان وما والاها.

(١) ص ٩٢ و ٢٢٥ و ٢٢٦ ج ٤ : ابن خلدون .

(٢) عدن المذكورة هنا هي عدن أبيره . انظر ص ٢٢٢ ج ٤ : ابن خلدون .

أقدم عهد لاتصال الخوارج بحضرموت

أول ما كان من اتصال الخوارج بحضرموت ما يذكره المؤرخون كابن خلدون من انتياب الخوارج النجدية، أى أشياخ نجدة بن طامر الحنفى، لحضرموت وبعنهم لها فى سنة ٦٦ من الهجرة بافديك لقبض الصدقة باسم الفرقة النجدية.

بدء عهد الإيباضية

ثم كان عهد الإيباضية^(١) أتباع عبد الله بن إياض الصريمى الحارثى، وهم إحدى فرق الخوارج. ويجتمعون مع بقية الفرق الخارجية فى القول بكفر عثمان وعلى ومعاوية وأصحابه والحكمين ومن رضى بالتحكيم. وفى القول أيضاً بكفر الزانى والسارق، وفى القول بوجوب الخروج على السلطان الجار. ويبتدىء عهد الإيباضية بحضرموت بدخول أبى حمزة الخارجي البصرى إلى حضرموت سنة ١٢٩ هجرية بعد اقتتاف عبد الله بن يحيى الكندى به وبدعوته الإيباضية حينما لقيه بمكة سنة ١٢٨ هـ.

محاولة إنكار العهد الإيباضى بحضرموت

كتب صاحب جريدة (الهدى) السينقاورية حضرة عبد الواحد الجيلانى مقالا اطعن عليه بمجلة (المعرفة) عدد نوفمبر ١٩٣٢ عنوانه (مجلة المعرفة وما ينشر فيها). وفى هذا المقال أبدى صاحب جريدة الهدى محاولة إنكار وجود عهد النحلة الإيباضية بحضرموت، وما كان من إبادتها عقب دخول الإمام المهاجر أحمد بن عيسى إلى حضرموت وتوطين السادة العلوية بها مما ذكره مؤرخو حضرموت.

وإلى القراء بعض ما قاله فى هذه المحاولة :

« وقد ظن بعض القراء أن السيد طه أراد بمقالته تلك إثبات وجود النحلة الإيباضية (كذا جاء بالظاء المدجمة وبتفتح الهمزة) بحضرموت وإبادتها على يد أحمد بن عيسى المهاجر الذى هاجر إلى حضرموت من العراق كما يقول السيد طه وغيره من الكتاب الباعلوين^(٢) مما لم يذكره مؤرخ ثقة، ولسكننا لانعتقد ذلك، فالسيد طه لاناقة له ولا جل فى علم التاريخ، ولا نظن أنه اطلع على أى تاريخ معتبر »، هذا ما قاله حضرة ع. و. الجيلانى :

(١) بكسر الهمزة كما ضبطه شارح الكامل: سيد بن على المصنفى.

(٢) نرى حضرة ع. و. الجيلانى يكرر دائماً لمناسبة ولغير مناسبة - كلمة « الباعلوين » التى لم تسمع قط قبله، ولم يقلها أحد من النسابين، والذى يظهر أنه إنما يفعل ذلك لحسمانه أن هذا هو من الكياد للسادة آل أبى علوى العلويين الذين أخذ على نفسه الوقعة فيهم طاقته. ونحن نجله عن أن يغفل عن أنه بنشبهه بهذه الكلمة الرتيبة إنما يظهر لهلاً إما جهله وإما

الأسباب التي أوجبت تأجيل البحث إلى اليوم

كنت كل هذه المدة الماضية أنطلع إلى ما يكتبه الأستاذ السيد طه السقاف في سبيل الدفاع عما نقله والذب عن مقاله، لأنني قررت لزوم جانب التوقف والتمهل ريثما يتولى حضرته ذلك أو يقوم غيره من أنصار التاريخ من مواطني المهجر فيعرف صاحب جريدة الهدى مبلغ علمه بالتاريخ وبكتب المؤرخين ويبصره بحقيقة دعاويه وما ظهر من ريائه العلمي ولا يدعه حتى يترك له ولغيره من المتطفلين أكبر عظة وأعظم عبرة من ناحية التاريخ الحضري، وهي أن تاريخ حضرموت بعد الاسلام قد حققه الحضارمة واليمنيون، وما بقي لتشويش الدخلاء إليه سبيل ولا لعبهم متسع.

وذلك لأن هؤلاء الدخلاء قد أكبروا الأمر وأعظموا الفرية، حيث تظاهروا وادعوا - على جهلهم - بأنهم أعرف بتاريخ حضرموت من علمائها وأدبائها، بل من مؤرخيها أوجهاء بذتها. ولكنه قد خطر لي بعد مضي هذه المدة الطويلة دون عنور على رد، ووقوف على تعقب لمحاولة صاحب جريدة الهدى بصدد النحلة الاباضية وعهد حضرموت بها - خطر لي أن ربما يوجد هناك علة تصرفهم - أي مواطني هناك - عن التعقب والاستدراك على هذه المحاولة الواهية، كشعورهم مثلاً بأن بناء أمور هؤلاء على محض المماراة وبمجرد السفسةطة.

فقلت حينئذ إن كان هذا هو الصارف لهم ومن أجله لووا عنان تعقبهم لصاحب جريدة الهدى واستدراهم على أخطائه في محاولته - فإني بهذا لا أرى رأيهم لما يؤدي إليه من التشكيك والارتياب في صحة حادثة من أشهر حوادث الماضي، وواقعة من أظهر وقائع الغابر.

ماذا قال المؤرخون عن دخول الاباضية ووجودها بحضر موت ؟

إن واجبي بازاء محاولة صاحب جريدة الهدى - لا نكار عهد الاباضية بحضر موت وإنكار إبادتها على يد العلويين وتلامذتهم وأنصارهم - يتحدد في ألا أزيد على نقل أقوال مشاهير المؤرخين وثقاتهم لدى الأمة العربية والشعوب الاسلامية. وأن أسرد ما ذكروه في تاريخهم عن

تحامله، لأن كتب الأنساب طافحة بذكرهم على غير ما يقول. والنسابون من العرب في مشارق الأرض ومغاربها مطبئون على تسميتهم بآل أبي علوى وبالعلويين. ولكن إذا كانت عقلية صاحبنا تصور له أن ابتداء اليوم هذه الكلمة بعد فتحة عظيماء في عالم الاختلاق ومجداً يخلد له في بطون الأوراق، أو تصور له أيضاً أنه بهذا سيكون نجر جاكاً للساداة آل أبي علوى عن حظيرة العلوية التي توأما النسابون على انتمائهم إليها - فلعقليته أن تبرز للعالم ماشاءات من الخزيات والمضحكات ولا عتاب ولا ملامة، مادام هو فرحاً بذلك.

دخول النحلة الإياضية إلى حضرموت، وعن وجودها مدة تقرب من القرنين حتى جاء عهد السادة العلويين الذي كان فيه إبادة لها وتطهير الإقليم الحضرمي منها .
ولا أتعرض إلى غير عزو القول إلى قائله ملخصاً أو مبسوطاً، ولكني أدع التعليق على ذلك لقراء «المعرفة» الذين بينهم — والحمد لله — المدد الكثير من ذوى المسكنة العالية في العلم والفطنة، والاطلاع والتحقيق .

ابن جرير الطبري

قال ابن جرير الطبري فيما يرويه عن موسى بن كثير: كان أول أمر أبي حمزة، وهو المختار ابن عوف الأزدي السلمي من البصرة . قال موسى: كان أول أمر أبي حمزة أنه كان يوافي كل سنة مكة يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد وإلى خلاف آل مروان، قال: فلم يزل يختلف في كل سنة حتى وافى عبد الله بن يحيى في آخر سنة ١٢٨ فقال له: يا رجل اسمع كلاماً حسناً، أراك تدعو إلى حق فانطلق معي، فأبى رجل مطاع في قومي، فخرج حتى ورد حضرموت فبايعه أبو حمزة على الخلافة ودعا إلى خلاف مروان وآل مروان^(١).

المسعودي

قال المسعودي في تاريخه: وفي سنة ١٣٠ جهز مروان بن محمد جيشاً مع عبد الملك بن محمد ابن عطية السعدي فلقى الخوارج بوادي القرى فقتل بلخ (يعني ابن عقبة الأزدي)، وفر أبو حمزة وأكثر من كان معه من الخوارج، وسار عبد الملك في جيش مروان من أهل الشام يريد اليمن، وخرج عبد الله بن يحيى السكندى الخارجى من صنعاء فالتقوا بناحية الطاييف وأرض جرش فكانت بينهم حرب عظيمة قتل فيها عبد الله بن يحيى^(٢) وأكثر من كان معه من الإياضية، ولحق بقية الخوارج ببلاد حضرموت، فأكثر أهلها إياضية إلى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، ولا فرق بينهم وبين من بعان من الخوارج في هذا الوقت^(٣).

ابن الأثير

قال ابن الأثير في تاريخه الكامل في حوادث سنة ١٢٨: كان اسم أبي حمزة الخارجى

(١) ص ٧٨ ج ٩: تاريخ الطبري طبعة أولى بالمطبعة الحسينية بمصر.

(٢) ذكر المسعودي قبل هذا الكلام أن عبد الله بن يحيى سعى نفسه طالب الحق ..

(٣) ص ٦٧ ج ٣ من تاريخ المسعودي المسمى بمروج الذهب، والمطبوع بهامش نصح الطيب

سنة ١٣٠٢ بالمطبعة الأزهرية بمصر .

المختار بن عوف الأزدي السلي البصري، وكان أول أمره أنه كان من الخوارج الاباضية يوافي كل سنة مكة ويدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد، فلم يزل كذلك حتى وافى عبد الله بن يحيى المعروف بطالب الحق في آخر سنة ثمان وعشرين، فقال له: يا رجل أسمع كلاما حسنا، وأراك تدعو إلى حق فأنتطلق معي فأني رجل مطاع في قومي، فخرج حتى ورد حضر موت فبايعه أبو حمزة على الخلافة، ودعا إلى خلاف مروان وال مروان. وقال في حوادث سنة ١٢٩: وفي هذه السنة قدم أبو حمزة بلخ بن عقبة الأزدي الخارجي الحج من قبل عبد الله بن يحيى طالب الحق محكما للخلاف على مروان بن محمد، فبينما الناس بمعرفة ما شعروا إلا وقد طلعت عليهم أعلام وعمايم سود على رموس الرماح وهم سبعمائة، ففرزع الناس حينما رأوهم وسألوهم عن حالهم فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان. وذكر في حوادث سنة ١٣٠ بقية أخبار أبي حمزة وقته وقتل طالب الحق (١).

ابن خلدون

قال في تاريخه: كان اسم أبي حمزة الخارجي المختار بن عوف الأزدي البصري، وكان من الخوارج الاباضية، وكان يوافي مكة كل موسم يدعو إلى خلاف مروان. وجاء عبد الله بن يحيى المعروف بطالب الحق سنة ١٢٨ وهو من حضر موت فقال له انطلق معي فأني مطاع في قومي فأنتطلق معه إلى حضر موت وبايعه على الخلافة. وبعثه عبد الله سنة ١٢٩ مع بلخ بن عقبة الأزدي في سبعمائة فقدموا مكة وحكموا بالموقف. وعامل المدينة يومئذ عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك. وذكر ابن خلدون قتل أبي حمزة وانهزام الخوارج بوادي القرى، وقتل طالب الحق بعد ذلك (٢).

وساق في آخر الباب كلمته عن انقراض كلمة الخوارج بالشام والعراق إلى أن قال: إلا ما كان من خوارج البربر بافريقية، فإن دعوة الخارجية فشت فيهم ثم فشت دعوة الاباضية والصغرية... إلى قوله: وبقيت آثار نحلهم في أعقاب البربر، ثم قال بعد ما تقدم: وكان بنو احيى البحرين وعمان إلى حضر موت وشرق اليمن ونواحي الموصل آثار تفشي وعروق في كل دولة. وختم ابن خلدون الباب بهذه الجملة: ويقال إن باليمن لهذا العهد شيعة من هذه الدعوة

(١) ص ١٦٦ و ١٦٧ و ١٧٧ و ١٨٥ و ١٨٦ ج ٥ من ابن الأثير طبعة أولى بالمطبعة الأزهرية صر سنة ١٣١٠.

(٢) ص ١٢٧ ج ٣: ابن خلدون

ببلاد حضرموت (أى عهد المؤلف فى النصف الأخير من القرن الثامن) ، والله يضل ويهدى من يشاء. (١)

ونقل ابن خلدون عن ابن حوقل مانعه : ويسكنها (أى الشحر) ، وهو قدم حضرموت الساحلى) بعدم مهرة من حضرموت أو من قضاة ... إلى أن قال : ودينهم الخارجية على رأى الإباضية منهم. (٢)

مقارنة بين أقوال الشلى وأقوال هؤلاء المؤرخين

ينسب صاحب جريدة « الهدى » الشلى صاحب المشرع الروى فى مناقب بنى علوى ، إلى أنه لا يكتب لجرد التدوين التاريخى ، وأن صفته التحامل والتحزب فيها يكتب ، ونحن مضطرون هنا إلى نقل ما أورده الشلى بهذا الصدد مما يجعله صاحب جريدة الهدى محوراً للاستشهاد على تحامل العلويين ؛ الذى مازلنا نجعله ونجمل كثيراً الطرف المقصود به فى هذا المقام .

قال الشلى رحمه الله : ثم فى سنة تسع وعشرين ومائة استولى على هذا الإقليم طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندى الأعور ، واجتمع عليه الخوارج ، ثم سار إلى صنعاء واستولى عليها فجنى الأموال وجيز إلى مكة عشرة آلاف وغلبوا عليها ، ولما سمع بخبرهم مروان بن محمد - وكان بالمدينة - جهز عليهم والتقى الجمعان بقديد فى صفر فانهزم أصحاب مروان وقتل منهم ثلثائة نفر من قریش منهم حمزة بن مصعب بن الزبير وابنه صمارة وابن أخيه مصعب بن عكاشة وأمين ابن عبد الله ومحمرو بن عثمان ، وقتل من بنى أسد أربعون ، وفيه يقول النابغة :

ما للزمان وماليه أفنى قديد رجاله

ثم بعث مروان بن محمد أربعة آلاف عليهم عبد الملك بن عطية السعدى ، والتقوا مع أصحاب طالب الحق بمكة المشرفة ، فانتصر أصحاب مروان وقتلوا أصحاب طالب الحق ، فلما بلغه ذلك أقبل من اليمن فى ثلاثين ألفاً ، وسار ابن عنية لقتاله فالتقوا ثانياً ودام القتال حتى قتل طالب الحق وقتل معه ألف حضرمى وبعث برءوسهم (٣) إلى مروان ... ثم قال بعد كلام لا علاقة له بالموضوع : ولم تزل الإباضية ظاهرين فى هذا الإقليم وشوكتهم قائمة إلى أن قدم المهاجر إلى الله

(١) ص ١٧٠ ج ٣ : ابن خلدون .

(٢) ص ٢٢٧ ج ٤ : ابن خلدون .

(٣) نقل ابن الأثير فى الكامل قتل طالب الحق وحمل رأسه إلى مروان .

حالى أحمد بن عيسى^(١) (وساق نسب المهاجر) فطهر الله به البدع والضلال بما أورده من صحيح الاستدلال، وأحياه به ونشره بعد ما أماته وأقبره . ثم تلاه الشيخ سالم^(٢) فأنزل البدعة إلى أنزل رتبته، ونشر العلوم وأظهر فضيلتها . ثم عززها الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم^(٣) فقدس به ذلك الوادى ، وأسس على التقوى مسجد ذلك النادى، فأظهر فى هذا الإقليم عقائد أهل السنة والجماعة، وأحيا العلوم على الصراط المستقيم، فأصداً بذلك وجه الله الكريم .

وقال فى موضع آخر: لما وصل السيد الإمام أحمد بن عيسى تلك الديار قصدته الأخيار ، وعملت المظن إليه من أقصى القفار ، ودخلت الخوارج تحت الطاعة، وعلمت الاباضية أن ليس لهم بأهل السنة استطاعة ، وقام بنصرة السنة حتى استقامت بعد اضمحلال، وأظهر إمامه الإمام الشافعى بنشر مذهبه، وأقعد النسب الهاشمى فى علياء رتبة ، وتاب على يده خلق كثير ، ورجع عن البدعة إلى السنة جم غفير، بعد أن ركبوا الصعب والدلول فى تشييت شمله والله يجمعه ، واجتهدوا فى خفض مناره والله يرفعه .^(٤)

هذا هو ما أورده صاحب المشرع بصدد عهد الاباضية بحضر موت وكيف كان دخولها إليها . وكيف تمت إبادتها فى عهد العلويين . فأن هو ياترى أثر ذلك التحامل العظيم الذى يرفع به عقيرته حضرة عبد الواحد الجيلانى فى هذا المقام وفى غيره، فيهت به أقواما أبرياء يقرأ كتاباتهم المنصفون فيأسفون أن يكون بين كتاب الضاد كاتب لبق كحضرة صاحب جريدة الهدى يكرس وقته النفيس ويستخدم قريحته الوفاة فى القدح والالذع وجرح المواطن ومغالطة الحقائق وإيقاد نيران الفتنة بين أبناء الوطن الواحد ؟ إن هذا مما لا يرضاه له أى حادب عليه ، هداه الله وإيانا سواء السبيل ؟

عبد الله بن حسن بلفقيه باعلوى العلوى

[تريم . عدن]

(١) هاجر المهاجر إلى حضر موت سنة ٣١٧ بطريق الحجاز واليمن، ووصلها حوالى سنة ٣١٩ وتوفى بها سنة ٣٤٥ .

(٢) الشيخ سالم هو سالم بن بصرى ترجمه الطيب بالخرمة فى الجزء الثانى من تاريخه فقال: سالم بن بصرى بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى بن محمد بن على بن جعفر الصادق إلى آخر نسبه؛ ثم قال: وبصرى المذكور هو أخو علوى بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى جد الأشراف آل أبى علوى؛ وذكر أنه توفى سنة ٦٠٤ هجرية .

(٣) توفى الفقيه المقدم رضى الله عنه وقع به بتريم سنة ٤٥٣ هـ .

(٤) ص ١٢٧ و ١٥٤ و ١٥٥ ج ١: المشرع الروى .

في الأدب الروسي

قصة الأنف

لنيقولا جوجول (١٨٠٩ - ١٨٥٢)

- ١ -

في صبيحة ٢٥ مارس حدث بمدينة بطرسبرج حادث جد طريف ، فقد استيقظ الحلاق « إيفان ياكوفلنتش » مبكراً قليلاً على خلاف عادته ، وذلك لأن الحجر كانت تعبق برائحة خبز حار . ولأول ما نهض من فراشه وقعت عيناه على زوجته ، تلك السيدة المترهلة المغمرة بتعاطي القهوة ، فرآها منهكة في إخراج أرغفة ملازمة من الفرن فقال :
« لست أريد أن أتناول قهوتي اليوم يا « براسكوفيا أوزبوفنا » ، فاني أفضل بدلا منها خبزاً حاراً مع قليل من البصل » .

والحق الذي لا مرية فيه ، هو أن إيفان ياكوفلنتش كان يفضل أن يتمتع بالقهوة والخبز معاً ، إلا أنه كان على ثقة من أنه محال أن يطمح إلى شيئين في آن واحد ، لأن براسكوفيا أوزبوفنا كانت تمتع مثل هذا الإسراف . فقالت الزوجة في نفسها :
« ليتناول الآخر خبزاً فذلك خير لي وأبني ، لأن فنجاناً ثانياً من القهوة سيترك لي شرباً هنيئاً » ، ثم ألقت إليه برغيف فوق المائدة .

ووفقاً لأداب المائدة وضع إيفان ياكوفلنتش فوق قميصه طرفاً من رداء قديم ، ثم جلس إلى مائدة تناثر الملح عليها ، وفوقها بصلتان ، فتناول السكين بيده وأخذ يقطع الرغيف في حين كان وجهه تبرد وعليه سياء الجلد والزانة . وبعد أن قطع الرغيف نصفين حمل إلى لبابه ملياً ، وأخذته الدهشة حين رأى شيئاً أبيض فيه ، فنقر إيفان ياكوفلنتش بسكينه مثنى وثلاث ، ثم أسه بأصبعه ، ومع ذلك لم يهتد إلى معرفته .

وأخيراً أنشب أظافره في لباب الرغيف وانزعه ، ولم كانت دهشته بالغة حين رأى ذلك أنفاً ... سقط يد إيفان ياكوفلنتش من أثر الدهشة ، ولكنه بسرعة مسح عينيه جيداً ، وطاد به حص ذلك الشيء من جديد . . لقد كان أنفاً حقيقياً ؛ وأعجب من ذلك أن الأنف بدا لناظريه مألوفاً هنده ، وفي الحال سرت في وجه إيفان ياكوفلنتش نظرة ذعر عميق ؛ ولكنه ذعر ضئيل إذا قيس بالسخط الذي استولى على زوجته التي أخذت تصرخ وتقول :

« من أين اقتطعت هذا الأنف أيها الوحش الضاري والوغد الكبير ؟ سأذهب بنفسى إلى البوليس لأبلغ عنك أيها الأثيم .. طبعاً نجد مثل هذا الأنف هنا، فلقد سمعت من ثلاثة من كرام زبائنك أنك عند ما تحلق لهم شعورهم تمعد إلى أنوفهم فتسحبها ذات اليمين وذات الشمال حتى لتكاد تقتلعها من وجوههم » .

وكان إيفان ياكوفلقتش آتئذ أقرب إلى الموت منه إلى الحياة ، فقد لاحظ أن الأنف لا يمكن أن يكون إلا أنف « كوفاليوف » ذلك الرجل الذى يحلق له كل يوم أربعاء وكل يوم أحد . « مهلاً يا براسكوفيا أوزبوفنا، مهلاً ، سألقه فى خرقه وأضعه فى ركن من أركان الحجرة .. وليبق هنا قليلاً ريثما أعود إليه ثانية » .

« لا . لا . لا أحب أن أتصوره ... يا للقدارة ، يا للشناعة ! وهل أنا ممن يسمح لأنف مجذوع أن يبقى فى حجرتة ؟ .. أبعد به ، خذه إلى حيث تشاء ، لا تجعل عيني ترمقانه ثانية » . فوقف إيفان ياكوفلقتش كمن دهشته داهمة ، وفكر وأطال التفكير ، ولكنه لم يدر كيف يتصرف ، فقال : « إن إبليس وحده هو الذى يعرف كيف حدث هذا » . ثم أخذ يحك خلف أذنه ويقول : « هل جئت مثلاً ليلة أمس أم ماذا ؟ لست أستطيع أن أجزم بشئ الآن ، إلا أن هذا الحادث أمر شاذ ، لأن الخبز شئ يؤكل ، فى حين أن الأنف شئ آخر يخالفه تماماً ، فكيف اجتماعاً ما أغمض هذا السر ! » .

ثم استسلم إيفان ياكوفلقتش للصمت العميق وتراخت قواه عند ما خطر بباله أن البوليس قد يبحث عن الأنف ويلقى تبعه ذلك عليه . ثم تراءى له طوق البوليس الأحمر وسيفه المشقوق ، فعراه ارتعاش شديد . وأخيراً انزلق فى بنطلونه وحذائيه وسحب الأنف ليدرجه فى خرقه بالية ، ثم خرج إلى الشارع مسرعاً تصحبه لعنات براسكوفيا أوزبوفنا المرة .

أراد أن يقص الأنف عن الأنظار ، وأن يلقيه كيفما اتفق ، وبعد ذلك ينثنى راجعاً فى شارع جانبي دون أن يشعر به أحد . وإذا كان النحس حليفه أبداً فقد التقى بشخص يعرفه ابتدره سائلاً حين كان يهم باللقاء الأنف : « إلى أين ؟ ومن ذا الذى ستحلق شعره فى هذا الصباح مبكراً ؟ » وهكذا لم تتح لإيفان ياكوفلقتش فرصة سعيدة يتخلص فيها من ذلك الأنف . وفى مرة ثانية ألقى الأنف بالفعل من يده ، ولكن الخفير أشار إليه - عن بعد - بطرف بندقيته وهو يقول : « التقطه ، إنك قد ألقيت شيئاً » ، فاضطر إيفان ياكوفلقتش إلى أن يسترد الأنف ويضعه فى وطابه ثانية ، وهو آتئذ أكثر ما يكون بأساً ، خصوصاً وقد تزايد عدد المارة وأخذت المتاجر تفتح أبوابها شيئاً فشيئاً . وصمم فى الحال على أن يذهب إلى جسر القديس إسحق ، رجاء أن يتمكن من قذفه فى جوف نهر النيفا .

والآن ، فلنتحدث عن شخصية إيفان ياكوفلقتش لأنه رجل جدير بالاعتبار من جهة وجوه .

يجب أن يبرز الأنف... نعم فقد كان الأنف غير موجود ، فامتلا لحينه جزءاً واهلاً ، وطلب قليلاً من الماء ومنشفة لي مسح عينه من القذى على يراه ، ولكن لم يكن هناك أنف ما ، فتلمس وجهه بيده ، ثم قرص جسمه ليتأكد أنه لم يكن نائماً ، فتبين له أنه مستيقظ بلا شك ، ثم قفز من فراشه وهز جسمه وحرك عضلاته ، ومع ذلك ظل الأنف غائبا ، وأخيراً ارتدى ملابسه ثم يعم وجهه شطر البوليس .

كان كوفاليف يفضل أن يلقب بالماجور كوفاليف ، كذلك سنلقبه منذ الآن بهذا اللقب ؛ وكان من عادة المايجور كوفاليف أن يتنزه جيئةً وذهاباً في ميدان « تفسكى » ؛ وكانت ياقته دائماً نظيفة جميلة ، وشارباه يشبهان ما نراه الآن عند ماسحى الأرضى والمماريين وأطباء الجيش ، وهما يبدآن من أواسط الخدين وينتهيان عند الأنف . وكان قد هبط بطرسبرج رجاء أن يعثر على وظيفة تليق بمقامه الذى خيله لنفسه . وكان يرى أنه إذا أسعده الحظ فلا أقل من وظيفة رئيس يشرف على مصلحة خطيرة ؛ ولم يكن المايجور كوفاليف يرتاح إلى فكرة الزواج ، إلا أنه إذا استطاع أن يعثر على عروس تملك مائتى ألف من الجنيهات فلا بأس بالزواج ؛ وهكذا يستطيع القارئ أن يتصور ماذا كان موقف المايجور كوفاليف عند ما نظر إلى نفسه ، فبدلاً من أن يجد أنه المتناسق ، وجد مسطحاً مستويّاً ؛ وإذا كان النحس حليفه فإنه لم يجد عربة مائى الطريق ، لذلك اضطر أن يسير على قدميه ملتفأً في معطفه ومخبئاً وجهه تحت منديل بيده ، حتى أن كل من رآه يظن أن له أنفاً ، ثم أخذ يقلب المسألة في ذهنه وهو يسير :

« قد يكون ذلك خيالاً منى وهماً ؛ محال أنى فقدت أنفى » .

ثم انثنى نحو رجل يبيع الحلوى ليتاح له النظر فى مرآة أخرى ؛ ولحسن حظه لم يكن بالحل أحد ما ، اللهم إلا الغلمان الذين كانوا يمسحون البلاط ويضعون الكراسى فى أماكنها ، فقال : « حسناً ، الحمد لله ، الآن أستطيع أن أنظر وأنا كده » ثم واجه المرأة بحين شديد ؛ « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وجدت شيئاً بارزاً موضع الأنف ، يا للحمرة ، ألا يوجد شيء البتة ؟ »

ثم عض على يديه ندماً وحسرة ، وأسرع فى الخروج وهو قلق البال ؛ وصمم - خلافاً لعادته - أن لا ينظر أو يلتفت إلى أى إنسان من المارة ؛ وما كاد يسير قليلاً حتى وقف فجأة أمام منزل ؛ وكأنه شجرة نبتت هناك لا تبرح موضعها ، ذلك لأنه حدث أمام عينيه شيء غير مفهوم ؛ فقد وقفت عربة أمام المنزل ، ثم انفتحت بابها فخرج منه سيد أنيق الهندام واندفع نحو درج المنزل ، وكان ذلك السيد موضع دهشة كوفاليف ومصدر خوفه واضطرابه فى آن واحد ، إذ أنه تراءى لكوفاليف أنه هو أنه المفقود ، وفى هذا الظرف المصيب حيل إليه أن كل شيء يضطرب أمامه ، وأن الأرض التى يقف عليها كانت تميد به ، وشعر أنه ضعف عن تمالك أعصابه ، ومع ذلك فقد صمم على أن ينتظر عودة ذلك السيد إلى عربته ليعيد إليه النظر

والفحص الدقيق ، وبعد دقيقة-ين رأى الأنف يعود فوق الدرج ، وكان يليس ياقة مقواة مرتفعة وبسطولاً ركوب الخيل ، وكان يرسل سيفاً إلى جانبه الأيسر ، وعند ما خرج من باب المنزل نظر يمنة ويسرة . وطلب إلى السائق أن يفتح باب العرب ، ثم ولجها فسارت .

أما كوفاليوف المسكين فقد طار لبه وجن جنونه ، ولم يستطع أن يتروى في هذا الاتفاق العجيب ، الذي أوقفه أمام أنفه الذي كان - حتى الآن - في وسط الوجه ولا يستطيع الحركة والمشى ، فكيف يبدو اليوم في حلة رسمية ويمتطي العربات ويتسلق الدرج ؟

أطلق لساقه العنان خلف العرب ، وكان المنديل يحجب معظم وجهه ، ولكنه وقف عند مدخل السوق العامة ، وأخذ يشق صفاً من الشحاذات العجائز اللاتي كن موضع سخريته واحتقاره بالأمس ، فإذا به اليوم يخشى سخريتهن ؛ وتلفت باحثاً عن السيد في كل جهة ، وأجال ببصره في كل موضع ، وأخيراً عثر عليه واقفاً أمام متجر من المتاجر ، وكان الأنف يحجب وجهه بنامه تحت ياقته المقواة المرتفعة ، ويشاهد بعض البضائع المعروضة بكل انتباه .

« كيف أقترب منه وأحدثه ؟ » ، قال ذلك في نفسه ، على حين أخذ يفكر بقوة ، ثم خطر له أن يسأل بالقرب منه على يستألف انتباه الأنف ، ففعل ولكن الأنف لم يغير اتجاه وجهه .

فقال كوفاليوف : « سيدى ؛ سيدى » ، وذلك ببطء حتى يجعله يتحدث إليه في السر . « ماذا تريد » قال الأنف ذلك محبباً كوفاليوف على سؤاله ، ثم أدار له وجهه .

« تبدو لي عجبياً » ياسيدى ، يجب عليك أن تعرف أين موضعك الحقيقي ، أين ألقاك الآن .

حتى أستصحبك ؟ أنت ستقبل . فقال الأنف : « معذرة ، أنا لا أفهم عم تتكلم ، أفصح » .

« كيف يجب أن أفصح له ذلك ؟ » سأل كوفاليوف عن ذلك نفسه ، وأخيراً جمع كل ماله من شجاعة وقال : « طبعاً أنا ماجور ، وكوئى أسير بغير أنف أمر ينبغي أن تدرك عدم

لياقته ، قد يمكن لامرأة عجوز ممن يبعن البرتقال فوق جسر « فنسكى » أن تبقى هناك

بغير أنف ، أما أنا فلا يمكننى ذلك ؛ إذ أنى مطامح سامية ، ولأنى تعرفت إلى آنسات كثيرات

من عائلة « تشيتارف » العضو النيابى وغيرها ، فأنت تستطيع أن تقدر ذلك ، وأنا لا أعرف

ياسيدى (وفى هذه اللحظة هز الماجور كوفاليوف كتفيه) ، اعذرنى إذا أنت نظرت

إلى المسئلة من جهة الواجب والشرف ، فأنت تستطيع أن تفهم الأمور جيداً » .

« لم أفهم قط كلمة مما تقول . ماذا تريد ؟ » كذلك سأله الأنف بتضجر وتبرم . فأجابه

كوفاليوف : « سيدى ! لست أعرف كيف أفهم كلماتك . إن الأمر يبدو لي في غاية الوضوح ،

فأما أن ترغب فى ... لماذا ؛ أنت أتقى وملك لى ، تعال هنا » ، ثم هم أن يقبض عليه ، إلا أن

الأنف حدجه بنظرة حادة أوقفته عند حده ؛ ثم قال وحاجباه يرتعشان غيظاً : « أنت مخطئ .

ياسيدى ، أنا شخص مستقل ، ولا يمكن أن تكون بيننا أية علاقة » . قال ذلك ثم انصرف إلى

عربته ليمتطيها، فارتبك كوفاليف ارتبا كاعظما، ولم يدر ماذا يفعل أو ماذا يقول. وفي هذه اللحظة كنت أسمع خفيف ملابس نسائية يقترب رويداً رويداً. ظهر أنها ملابس اثنتين إحداهما سيدة متقدمة في العمر تزدان ملابسها بالدتلا؛ وأخرهما فتاة هيفاء في ثوب أبيض يبدو جذاباً جداً. اقترب كوفاليف منهما، وأخذ يصلح من هيئة ملبسه وموضع سلسلة ساعته الذهبية، على حين أخذ يتقسم يميناً وشمالاً؛ ثم صوب اهتمامه نحو تلك الهيفاء الأنثوية التي كانت تتبعخر في مشيتها حتى تجاوزته ويدها البيضاء وأصابها الشفافة فوق جبينها النضر. ولقد استطالت ابتسامة كوفاليف عندما ملح تحت قبعة الفتاة ذقناً أبيض مستديراً، وخدّاً كورود الربيع المبكرة، ولكنه سرعان ما تبدلت ابتسامته عبوساً، فترجع مرئداً على حين غرة كأنه قد أصيب بمفاجيء، ولا غرو فقد تذكر أنه لا يملك شيئاً قط فوق وجهه مكان أنفه، وتنجرت الدموع من عينيه ثم انصرف عائداً نحو ذلك السيد ذي الحلة الرسمية ليخبره أنه ليس إلا مخادع شارد، وأنه ليس إلا أنفه الخاص، ولكن الأنف لم يكن هناك.

فتولى كوفاليف من هذا يأس شديد، على أنه وقف هنيهة ينظر في كل جهة ليرى أين ذهب الأنف... كان يذكر تماماً أن في قبعة الأنف ريشة، ولكنه لم يتذكر ممطقه ولا لون عربته ولا حصانها، أضف إلى ذلك أن مئاث العربات كانت تجري بسرعة البرق الخاطف مما يجعل من العسير تمييزها، حتى لو جاز أنه راقب واحدة منها، فإنه لا يستطيع أن يوقفها. وكان اليوم جميلاً مشمساً، وكانت جماعات الناس تتجول في «تسكى»، وكانت الفتيات ككشبان من الزهور منشورات على الأرصفة من «بولتسكى» حتى جسر «انتشكن»، وبيننا هو كذلك إذ ملح شخصاً من معارفه يتقدم إليه، وكان يلقيه بالكولونيل، خصوصاً إذا تحدث عنه إلى أناس آخرين، كما أنه رأى «يارزخين» رئيس الكتاب بمجلس الشيوخ وصديقه الحميم، وكان هناك أيضاً ماجور آخر أخذ يلوح له بيده كثيراً، إلا أن كوفاليف تماهى عنه.

«هاى هاى! عربة! سق مباشرة نحو منزل رئيس البوليس»، قال ذلك كوفاليف ثم قفز إلى داخل العربة وهو يقول: «سق بسرعة»، ثم قال وهو يحتاز المدخل «هل رئيس البوليس في المنزل؟» فأجابه البواب: «لا، لقد خرج الآن فقط»

— «هل أنت واثق؟»

— «نعم، نعم، وهو لم يرحنا إلا منذ فترة، ولو أنك جئت قبل دقيقة واحدة للقيته»، وعند ذلك وثب كوفاليف إلى العربة وهو ممسك وجهه بمنديله، ثم أخذ يصيح صيحة اليأس «سق، سق»، فتساءل السائق: «إلى أين؟» فقال: «إلى الأمام».

— وكيف إلى الأمام؟ ههنا ينحني الشارع، فهل أسير يساراً أو يميناً؟

أيقظ هذا السؤال كوفاليف واضطره أن يفكر وأن يطيل التروى، ومن كان في مركز

كوفاليوف عليه أن يقدم نفسه إلى البوليس مباشرة ، لا لأن له صلات شخصية مع رجال البوليس، ولكن لأن إجراء آت البوليس ومموته ربما كانت أسرع من أى ملجأ آخر يلجأ إليه .

وهكذا كان كوفاليوف على وشك أن يأمر السائق بالتوجه شطر مركز البوليس، لولا أن فكرة لاحت له، مؤداها أن ذلك اللثم المخادع الذى سلك معه فى أول التقائه به مسلكاً شائناً ربما اتهم الفرصة والنسل هارباً من المدينة ، فتذهب كل أبحاثه أدراج الرياح، وأعلى الأقل تطول مدتها لشهر أو أكثر لا قدر الله . وخيل إليه أن السماء ألهمته سبيل التصرف الحسن، إذ صمم على أن يذهب إلى مكتب جريدة من الجرائد ليحرر فيها مقالا يصف أفعاله فيه، حتى إذا ما صادفه أحد من القراء فإنه يستطيع أن يقدمه إليه، أو على الأقل يرشده إلى موضعه . وإذا قد تشبع بهذه الفكرة فقد أخبر السائق بأن يتوجه نحو مكتب الجريدة، ومازال طول الطريق يستحثه بكلمة يذئبة أو بوكزة فى ظهره وهو يقول : « أسرع أكثر من ذلك أيها اللعين . هيا هيا أيها الدنس » .

وأخيراً وقفت العربة أمام بناية ضئيلة ، فاندفع كوفاليوف إلى حجرة استقبال صغيرة حيث كان كاتب الأصلع الرأس يلبس نظارتين ومعطفاً طويلاً متهدلاً، يجلس إلى مكتب ويضع قلمه بين شفتيه، على حين كان يعد قطعاً نقدية من النحاس أمامه . فقال كوفاليوف : « من هو المكلف باستلام أسئلة القراء هنا ؟ » ، وبعد صمت وجيز طاف قد كرا النجبة فقال : « صباح الخير » . فأجاب ذلك الكاتب الأصلع الذى حدجه بنظرة قائلاً « ولك أنتنى صباحاً خيراً أيضاً » ثم طاف صوب نظره مرة ثانية نحو النقود الموضوعة فوق مكتبه .

فقال كوفاليوف : « أحب أن أذيع إعلاناً » .

« اسمح لى أن أرجوك انتظارى ثانية » ، قال الكاتب ذلك وهو يقيّد رقفاً على الورق بيد ويحرك حبتين من اللوح العداد بيده الأخرى .

وكانت الغرفة خاصة بالنساء العجائز والباعة وبوابى المنازل، وكلهم يريدون نشر إعلانات ، فكنت ترى واحداً يريد أن يعلن أنه سائق رزين حسن السير والسلوك يبحث عن عمل ، وترى فى إعلان ثان أن عربة اشترت من باريس سنة ١٨١٤ معروضة للبيع . وفى ثالث أن خادمة فى سن التاسعة عشرة تجيد الغسل والكي وهى مستعدة أن تؤدي غير ذلك من الخدمات . كما يوجد رجاء أيضاً إلى الذين يحتاجون لشراء نعل لأحذيتهم أن يتكروا بالحضور بين الساعة الثامنة صباحاً والساعة السابعة بعد الظهر . وكانت الحجرة التى تكس فيها هؤلاء جميعاً صغيرة ، وكان هواؤها لذلك خائفاً ، ولكن كوفاليوف لم يكن يشم تلك الرائحة الكريهة .

« سيدى ، أرجوك أن تأذن لى بسؤال ، مسألتى مستعجلة جداً ، قال ذلك كوفاليف وهو لا يكاد يطبق صبراً على سكوته .

« دقيقة واحدة ، دقيقة واحدة ، روييتان وثلاث وأربعون كوبكاً ، روية واحدة وأربعة وستون كوبكاً » ؛ كذلك كان يقول ذلك الكاتب الأصلع وهو يقذف السيدات العجائز وبوابى المنازل بمختلف الوثائق التى أحضروها إليه مبيناً عليها قيمة الإعلان ، ثم التفت إلى كوفاليف وقال له : « ماذا أستطيع أن أفعل لك ؟ »

« لا أريد أن أسأل سؤالاً : فقد حدثت سرقة لآنحب أن أصرح بها ، ولكنى أحب فقط أن تعلم أن أى شخص يحضر إلى ذلك الوند الهارب فله منى جائزة ؟ »

« أرجو أن تسمح لى بالسؤال عن لقبك »

« لا . لا . لماذا أضع لقبى ؟ أنا لا أستطيع أن أعطيك إياه إذ لى حلقة واسعة من الأصدقاء كالمدام تشهتارف زوجة العضو النيابى ، وبلاجيا جريجوريفنا أرملة أحد الضباط ولكنك تستطيع أن تقول لى رجل برتبة الماجور . »

« هل السارق الذى فر هو خادمك ؟ »

« بكل تأكيد هو . . هو أنفى الذى فر منى . . أنفى الخاص »

« ها . ها . ما أعجب هذا الاسم ! هل سرق منك المسيو أنف مبلغاً جسيماً ؟ »

« المسيو أنف ؟ أنت لم تفهم كلامى . هو أنفى أنا ، أنفى الخاص هو الذى فر منى : إلى أين

لست أدري ؛ اللعين يريد أن يسخرنى ويهزأ على حسابى . »

« ها . ها . وبأى شكل فر ؟ لست أفهم ذلك . »

« وأنا بدورى لست بقادر على إقناعك كيف فر ، والمهم الآن هو أن تعلم أنه يتجول فى المدينة مدعياً أنه من رجال الأمن ، ولذلك فأنا أرجو أن تعلم أن من يعثر عليه فليحضره إلى بأسرع ما يمكن ، فكر أنها الصحفى كيف أستطيع أن أسير بدون هذا العضو الظاهر من جسدى ؟ بكل تأكيد ليس فقدته كفقد أصبع قدمى الصغير الذى يمكن إخفاء فقدته بلبس حذاء فلا يعرف أحد ، هل هو هناك أم لا ، أذهب كل ثلاثة إلى مدام تشهتارف وإلى بلاجيا جريجوريفنا وابنتها الثمانية ، وكلهن صديقاتى ، فتصور أى عزيزى هذا المانع الذى يمنعنى رؤيتهن ، أنا لا أستطيع أن أريهن نفسى بعد الآن . »

فأخذ الكاتب يتروى وينعم النظر ، ثم قال بعد صمت طويل : « لا ، لا أستطيع أن أضع مثل هذا الإعلان فى صحيفتى . »

« ماذا ؟ ولماذا ؟ »

« ذلك لأن الصحيفة قد تخسر سمعتها ، إذ لو كتب كل شخص أن أتفه قد فر هارباً كما تريد أن تقول ، فإن القراء سيقولون حتماً إننا لانجد ما نكتبه ، ولذلك فقد أخذنا عملاً الجريدة بالسخافات والبلاغات الفارغة »

ولكن أين السخف في هذا ؟ أنا شخصياً لست أرى أبداً أي دليل على سخف إعلاني .

« هل تظن أنه ليس سخيفاً ؟ حدث في الأسبوع المنصرم أن موظفاً بالحكومة قدم إلى ويده إعلان بلغ ثمنه روبيتين وثلاثة وسبعين كوبكاً ، وكل ما في الإعلان أن كتباً يلبس معطفاً أسود قد ضل . ربما لاتظن أن في هذا الاعلان شيئاً ما ، لكنه أتضح فيما بعد أنه هجاء لشخص معين : فقد كان ذلك الكلب صرافاً في مصلحة من مصالح الحكومة لست أذكر اسمها . »
« ولكنني لست أطلب الاعلان عن كلاب أوقطط ، بل عن أتفي . وأنا إن أعلنت عن أتفي فكأنني أعلن عن نفسي ، أفهمت ؟ » .

« إذا كنت قد فقدته فهذا من شئون الطبيب ، يشاطرنى في هذا الرأي قراء جريدتنا ، فهم سيقولون إن هناك من الناس من يعوضك أنفاً من أي شكل شئت .. والآن لاحظ عليك أنك شخص فكه مغرم بالنكتة والفكاهة » .

« أقسم بقدسية ربي أني لست أتفكه ولا أتندر . وإذ قد ظننت فسأريك بمعيذك » .

« لست أريد أن أزعجك ، فإذا كنت لاتشعر بانزعاج فن دواعي سروري أن ألقى نظرة واحدة على وجهك » ، قال الكاتب ذلك على حين كان يتناول قليلاً من علبه النشوق ، ورفع كوفاليوف مندبلة عن وجهه ، فقال الكاتب : « إنه في الحق شيء عجيب . موضع الأنف مستو تمام الاستواء كأنه فطيرة طازجة ، وهو أملس بشكل لا يصدق » .

« هل تعارض بعد الآن في إعلاني ؟ أنت ترى أن لامناس من الاعلان ، وسأكون شاكرآ لك أنت على وجه الخصوص إذا اتهمت الاعلان ، ثم إنني مقتبط بأن هذا الحارت أسعدني بالتعرف إليك أيها السيد » . ويظهر أن المأجور في هذه اللحظة كان قد صمم على أن يلتجئ إلى النناء والامراء والتملق .

« إن نشر مثل هذا الاعلان ليس عظيم الفائدة لك ، إذ أني لا أتوقع أي فائدة تعود عليك منه ، فإذا أردت الاستفادة من الاعلان فالرأي عندي هو أن تترك الاعلان ليد محرر ماهر ليصور قصة أتك كفلتة من فلتات الطبيعة ، ثم انشر هذا المقال في صحيفة « نخلة الشمال » ، التي تنشر مثل هذه الأمور الشاذة (وفي هذه اللحظة تناول قليلاً من النشوق) ، وطبعاً هذا هو الذي يبعث الدهشة في الرأي العام .

فناء عالم المادة

وإثبات وجود الله رياضياً

ما قنع الإنسان منذ البداية يتساءل عن سر هذا الوجود ، وما زال حائرًا فيما يحوطه من معضلاته التي لا يستطيع تفهم كنهها . فهو أبدأ تجايم تلك المعضلة الأزلية « ما هذا الكون وما معناه ؟ من أين أتى ؟ وإلى أين يسير ؟ » . ولا شك أن هذه هي أعظم المسائل التي عرضت للحكماء والفلاسفة ، والتي شغلت كثيراً من العلماء من قديم العهد . وليس من العجب في شيء أن اختلفت آراؤهم وتباينت أبحاثهم ، وليس ما أمامنا من علوم الفلسفة والكيمياء والطبيعة والرياضة وغيرها إلا وليدة هذا البحث ونتيجة التفكير في هذه الأمور . ولو أننا تصفحنا التاريخ لرأيناه حافلاً بالحروب والمنزعات في سبيل الدفاع والذود عن عقائد الناس فيها . ولم يخل عصر من العصور دون رسول مرشد يلقن الناس تعاليم أولية عن سر وجودهم . وكثيراً ما ضلت أفكار الفلاسفة في هذا الكون وتفاوتت تخيلاتهم في تصويره . فهذا ديمقراطيس يخبرنا أن العالم وجد عن طريق الاتفاق وأحكام الصدفة ، في حين يخبرنا فريق آخر أن الأرض والأجرام السماوية كانت على إهيتها هذه من قديم الأزل ولا تزال كذلك ، فلا ابتداء ولا انتهاء . وذهب فريق آخر ممن تملكهم روعة الكون إلى القول بأنه خيال وصور مطبوعة في العقل البشري ، ولا حقيقة لها في الخارج . على أن هنالك من الفلاسفة من ساروا إلى مدى أبعد من ذلك .. وعلى رأس هؤلاء أرسطو وحكيم قرطبة ابن رشد . فن رأيهما أن كل فعل يفضى إلى خلق جديد إنما هو عبارة عن حركة . وهذه الحركة تتطلب شيئاً يتحرك ، ووسطاً يتم فيه هذا التحرك . أما هذا الشيء فهو في رأيهما مادة الكون الأصلية ، وهو شيء قابل للاتفعال ، ولا حد له ولا وصف ، فهو إذن ضرب من ضروب الافتراض لا بد منه .

وفي هذا العصر الذي اشتد فيه التراع بين القديم والجديد ، نرى كثيراً من أفرادنا ممن سئموا كل قديم ، وأغرتهم ظواهر المدنية ، ينبذون حتى معتقداتهم ودينهم ، ويؤمنون بآراء مادية متخذين المادة إلهتهم ومعبودهم . لهذا رأيت أن أطرق هذا الموضوع من الوجهة العلمية لآيين لهم أن العلم الحديث إنما يطابق ما جاء في الأديان السماوية كل المطابقة ، وأن للمادة لا تستحق منهم كل هذا التقدير .

فكلمة مادة تشمل كل ما يشغل حيزاً من الفراغ ، وتمتاز بأن لها وزناً ، وفيها تمتد الأبعاد

تعود . ويقول الله تعالى : « الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم » .

ومما يجدر ملاحظته هنا هو ثبوت فناء المادة ، إذ يجزم العلماء الآن أن مادة هذا العالم مستغنى عن طريقين : طريق التحول إلى إشعاع ينتشر في وسط الأثير ، وطريق تشتت وتناثر بقاياه في الفضاء اللانهائي . ومعظم العلماء الآن لا ينكرون أن النجوم الحالية تتناثر عن بعضها وتشتت بسرعة عظيمة آخذة في التزايد ، كما أنها تستحيل إلى إشعاع ينتشر ليمتص مرة أخرى على أبعاد شاسعة في مكان سحيق ليتحول إلى مادة جديدة ، وإذن فهناك عالم مادي جديد آخذ في التكون ، وهناك إذن سلسلة من الأكوان في حين توت إحداها في ناحية من الفضاء وتتناثر ، ويتكون الآخر في مكان بعيد عنه ثم يبدأ يتناثر ، ولذلك يقول تعالى « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار » .

ويجدر بنا بعد ما ذكرنا من أمر النسبية أن نبين كيف صورت جميع الظواهر السابقة بقوانين رياضية بحتة ، وكيف جعلت الرياضة مفتاح هذا الكون . وذلك بأن نسوق محاوره خيالية بين عالم رياضي وآخر لا يؤمن إلا بالمادة ، ليسهل الفهم ويقرب إلى الأذهان .
العالم الرياضي : لقد استطاعت رياضة النسبية أن تعطينا صورة جديدة لكل ما في الكون ، فهي مفتاح جميع ظواهره .

العالم المادي : إذا كنت تدعى ذلك فبما تعمل سقوط الحجر المطلق إلى الأرض مثلاً ؟
العالم الرياضي : إن الحجر المطلق يسقط إلى الأرض ، لا خاصيته ، أو سر كالجاذبية التي تدعوها ، بل لأن تركيب معادله الرياضية يؤدي إلى تلك الظاهرة .
العالم المادي : إذا كنت تنكر أمثال هذه الحواص ، فكيف تعمل هذا النظام الميكانيكي الذي نشاهده ؟

العالم الرياضي : إن الكون مبني على نظام رياضي بحت ، وهو ليس - كما تدعى - نظاماً ميكانيكياً ، فليس في الكون أي حكم أو خاصية مطلقة (Absolute) . وأنت قد تحكم على شيء في زمان ومكان خاص بحكم ما ، ثم تعود فتحكم على نفس الشيء بضد هذا الحكم في مكان وزمان آخر . وما ذلك لاختلاف في الشيء ، وإنما لاختلاف في معادلتك الرياضية باختلاف زمانها ومكانها .

العالم المادي : وكيف إذن نحكم الحكم المطلق على هذا الكون ؟

العالم الرياضى : لو أننا تدبرنا هذا الكون ودرسنا خواصه رياضياً لأرغمنا على الاعتقاد بوجود قوة مفكرة ومخيلة رياضية هائلة مستقلة عن مظاهره ، فهي وحدها المطلقة ، وهي وحدها التي تديره بمهارة منذ خلقته يوم أرسلت هزتها الأولى وسط الأثير ، فاندفعت تظهر لنا بمختلف الظواهر . وهي لا تشابه زمانه أو مكانه فى شيء ، بل هى قوة واعية ، ولو أنها أخطأت مرة واحدة لاختل الكون . وما تفكيرنا نحن إلا نتيجة طبيعية لهذا التدبير السكين . ولا غرو إذن ، إذا قال السير إدوينجتون العالم الرياضى الشهير : « إن الكون خلق من مادة العقل الأول » .

العالم المادى . إذن فنحن خاطئون فى كل أحكامنا المادية ، ولا سبيل إلى معرفة الحقيقة المطلقة ما لم نصبح خارج الزمان والمكان حتى نستقل بمعادلاتنا الرياضية ولا يكون ثمة خلاف .

العالم الرياضى : هذا ما كنت أروم الوصول إليه ؛ فهناك فقط تدرك الحقيقة بعينها ، وهناك فقط ترى أى عقل رياضى جبار يدير هذا الكون ، ذلك أيها العالم الطبيعى هو قوة الله ونوره الذى يهدى به الخلق ، فالله نور السموات والأرض وما أوتينا من العلم إلا قليلا .

محمد جمال الدين الفندى

المعرفة فى سنغافوره

تخاطب مجلة « النهضة الحضرمية » فيما يختص بالمعرفة بشأن الاشتراكات فى سنغافوره .

المعرفة فى جاوا

نرجو حضرات مشتركينا فى جاوا أن يرسلوا قيم الاشتراكات إلينا مباشرة ، حيث إن الشيخ عمر معروف عقبه لم يسدد ما عليهم من السنة الثانية إلى الآن .

المعرفة فى سوريا وفلسطين ولبنان

تطلب « المعرفة » فى سوريا وفلسطين ولبنان من فروع شركة الخواجات فرج الله إخوان

المعرفة فى يافا

تطلب « المعرفة » فى يافا من مكتبة فلسطين بساحة الجرينة ، لصاحبها سليمان أفندى الخطيب

المدينة الحديثة في قفص الاتهام

لا يتكلم الانسان عن المدينة الحديثة إلا لأنها تتكلم عنه ، وإلا لأنها تمسه بكثير أو قليل ، وإلا لأنها تملك عليه حواسه ، وإلا لأنها تضع له القواعد لحياة جديدة . ولولا ذلك ما كان لينشط بذكرها لسان ، ويجرى بما لها وعليها قلم ، فهي موضوع الحديث إذا جد الحديث عن حياة الانسان ، وهي المصدر الذي تبعث منه أفكار الانسان في هذا العصر أو تؤخذ منه نظرياته ، وهي الأصل الذي يتفرع عنه خياله وتثمر منه آراؤه ، وهي اللون الذي تصطبغ به سماء حياته وتنتزع به أهواؤه وأذواقه ، وهي المادة التي تتغذى منها روحه ويقوى شعوره ، فهو أبدأ يتساءل عن هذه القوة التي ترغبه لها ، وهو أبدأ يتساءل عن هذه المدينة الحديثة ، وكيف أنها سادت هذا العالم وطلعت عليه وشغلت منه القلب والرأس ، وهو أبدأ يتساءل عن الباعث الذي يجعله مدفوعاً مع تيارها ، مأخوذاً بالصالح والفساد فيها على السواء ، وهو أخيراً يهمه أن يقف على هذا كله ، ثم هو بعد ذلك يتهالك على مقعده محزوناً مكتظاً بالأفكار منقلا بالهموم ، يسائل نفسه : أليس لهذه المدينة حد تقف بنا عنده؟

فالمدينة الحديثة إذا تمسنا وتلازمتنا سواء أرضينا أم كرهنا ، وهي لاشك تؤثر كذلك في حياتنا تأثيراً ظاهراً . ولسنا منكرين آثارها في أصحابها وصاحباتها الذين ابتدعوها وكانوا أول من كسحتهم بغبارها ولقحتهم بهجيرها ، إلا أننا نريد أن نقول — ولا حرج فيما نقول — إن من آثارها الظاهرة الخطيرة ، تلك الجرائم الكثيرة .

ولسنا منكرين يوماً فضل هذه المدينة الحديثة في تكوين العقول الانسانية تكويناً مناسباً لها ، وما أحدثته من التفكير الدقيق في خلايا الجمجم البشرية ، تفكيراً ينهض بحملها وقيادتها إلى نهاية مجهولة ، حتى آمنت بها العقول وأكبرت من شأنها الآراء ، إلا أننا لاننسى حقيقة ما أصاب النفس من أثرها وخطرها بقدر ما أصاب العقل والفكر من ذلك . بل لانكون مغالين إذا رأينا أن مصاب النفس منها أشد وأعظم من كسب العقول منها ، لأن النفس لا تعمل الأشياء إلا بمنطقها الخاص — المنطق الذي لا يرى الغبطة إلا على أنها غبطة ، ولا الألم إلا على أنه ألم — فما من شك في أن المدينة الحديثة قد وطئت كل النواحي من حياة الانسان دون استثناء ، ولم تجد ما يصدها أو يقاومها في مواطنها ، لأنها احتلت نواحيها وصيرتها إليها ، كما يحتل الغبار توباً أبيض ناصعاً فيستحيل أغبر أريد . أو هي غمرتنا كما يغمر الماء الأرض ، فتصبح الأرض غير الأرض ! وعلى هذا القياس تغيرت الألوان والمعالم ، وأحدث هذا التغير قوة وجمالاً

في بعض ما أحدث ، كما ترك أثراً كبيراً من تقيضهما . أى أن المدنية غبرت وجه الحياة ومظاهر الأشياء فيها ، فبدت الحياة في أفق جديد ، وتراءت المظاهر في ثوب قشيب ، وهذا هو السر الذي يجعلنا مأخوذين بها معجبين ، ولا غرو فالتفكير ولوعة بالجديد نزاعة للغريب . وفي أسباب المدنية الحديثة من أفانين السحر والظلم ما يستهوى النفوس ويأخذ بالآلالباب .

إذا فالمدنية الحديثة مظاهر مستحدثة ، ومظاهر مستحدثة لجميع الصفات والأشياء التي تحيط بنا فتأثرها ، وإن من تلك الصفات ما هي قبيحة ومنها ما هي حسنة ، بل إن ناموس هذه المدنية قد استدعى تقوية الناحيتين وتعزيز الجانبين : الناحية المضيئة ، والناحية المظلمة ، وكيف لا وهذا شيء طبيعي ، لأنه ما فائدة كثرة المصاييح وازدياد قوتها إذا لم يكن هناك ظلام شديد حالك ؟ ! وكذلك تفوقت المدنية في كل شيء ، فلقد تعددت سيئاتها كما تعددت حسناتها ، وأصبح التفنن في أسباب الشر والموت متفوقاً تفوقه في أسباب الحياة ومباهجها ، فهاهو ذا متقال الأثم والإجرام ومثقال التراخى والسكال يتعادلان في الميزان : هذا أمر لا ريب فيه ، أليكون لبراعة البوليس في العالم ونشاطه من سبب غير براعة المجرمين ونشاطهم العجيب ؟

ذلك لأن نهضة المدنية الحديثة مستندة على سواعد الحرية المطلقة أو الإباحية والتبسط في كل شيء ، بقطع النظر عن كون ذلك الشيء نافعاً أو ضاراً ، جالباً للخير أو عاملاً للشر ، داعياً للأمن والسلام أو مثيراً للحرب والدمار ، فكان لا بد أن تنسع الدوائر : دوائر النزاع والخلاف والشقاق والحسد والانتقام والتنافس والتناحر والتراحم والإجرام . ولقد صدق القائل إذ قال مرة في معرض حديثه عن هذه المدنية : « كأن الإجرام صفة لازمة للمدنية ، أو كأنه مثل كل شيء في هذا العالم خاضع لناموس الفسوء والارتقاء » . حقاً إن الإجرام صفة لا غناء للمدنية الحديثة عنها ، ففي خطوات هذه المدنية قدم من الخير وقدم من الشر ، فكأنها تتقدم إلى العالم فتصاغفه بيد وتصفعه بيد !

وهناك ما يساعد على الإجرام ، والإجرام الذي لم يعرفه العالم قبل أن يرأطم بصخرة المدنية الحديثة ، بل إن هناك ما يحبب خاطر إليه ويملاء النفس منه ، فالأسباب متوفرة والنواحي إليه متعددة . ألا ترى أن التنازع والتنافس قائمان على أشدهما ! ألا ترى أن الضعيف الخائر في هذا الميدان — ميدان المطارحة والمجاوبة بقذائف المنافسة والمنازعة — كثيراً ما يستولى عليه اليأس فالقنوط فالزهد في البقاء فالخلاص من الحياة ؟

كم ترى من الثورات النفسية التي تثيرها عواصف هذه المدنية الحتماء ؟ وكيف أن هذا يجر حتماً إلى الوقوع في المساوىء والشرور والإقبال على القتل والهلكة والأذى ؟ فهاهو ذا الاتجار يسمو مركزاً في أذهان صقلتها المدنية الحديثة ، أذهان الأطباء أفك من طبيب

سمعنا أنه تجرع السم فأثر بذلك الموت منتحراً على البقاء جائعاً، في الوقت الذي يفهم فيه، بل يفهم الناس فيه أن الإمساك عن الأكل أحسن ما تعالج به آلام المعدة والأعضاء أوها هو ذا القتل والقدر قد فشى أمرها واستفحل خطبها بين ربوع أخضر فيها عود المدينة الحديثة فأصبح دم الإنسان أرخص ما في الإنسان .. وهامى ذى الجرائم القبيحة التي كانت فيما مضى مستبعدة الوقوع حتى في الأحلام والأوهام ، وحتى أن خيال المرء كان لا يجرؤ على رسمها وتصويرها .

وناهيك ما ذكرته إحدى الصحف من أن البوليس في (بيزنه) بفرنسا بارئة المدينة الحديثة، قد قبض على رجل في السنة الثامنة والأربعين من عمره يدعى جبريل فيدال بتهمة الاعتداء على عفاف ابنته ! وقد ظل هذا الوحش من الآباء يعاشر ابنته معاشرة الأزواج دون أن يعلم بأمره أحد، إلى أن حملت المسكينه منه فأسرعت إلى المستشفى حيث قصت قصتها الحزينة الحزينة، فاعتقل الزالده المجرم وقدم للمحاكمة . وقد أنكر التهمة بالرغم من أن ابنته أكدتها، وبالرغم من شهادة أبنائه عليه ، وكانوا قد كتموا أمر أيهم خوفاً منه أو خوفاً عليه .

يرتكب اليوم هذه الجريمة وغيرها من كانوا بالأمس يتكرونها على الملجأ كلهم للناس، فأين آكلو البشر من آكلى الأعراض ؟ وتقع مثل هذه الجريمة في بلاد يضع أهلها القوانين والأحكام ويجرى على سراطهم في العلوم والفنون والسنن والأحكام جميع العالمين ، فامعنى هذه المدينة وما معنى الحضارة وما معنى الأخلاق في أمة كان جبريل فيدال أحد أبنائها الأعداء ؟! وهل بعد ذلك من يقول إن المدينة الحديثة تمحو آثار الجرام ؟

ليست هذه المدينة ولا آدابها ولا فنونها ولا علومها ولا مآلها ولا سلطانها ولا اختراعاتها ومستحدثاتها بقيادة جميعاً على منع الجرام وإن كانت هي التي أوجدته ونوعت أسبابه وأكثرت من أساليبه . إذا ما هو الشيء الذي يمنع الجرام ؟ الشيء الذي يطهر النفوس البشرية من كل خبيث منكر، فلربما تطورت هذه الآداب — وهي كغيرها دائماً التطور — فأصبحنا نسع عن آداب القتل وآداب الانتحار وآداب السرقة وآداب الفجور وآداب التهمك والخلاعة وآداب الجنون والمجون الخ، كما نسمع الآن عن فنون الانتحار والقتل، وكما نسمع عن علوم السلب والنهب، ومدارس الخطف والنشل التي أخرجت للناس أساندة يحطفون طفل (لندنبورج) وغيره من (البورجات) ! فلا يستطيع أى إنسان ولا تستطيع أية قوة أو حكومة أن تأتي به غير الدولارات !! وهذا التطور — أو التطير — في السرقة من أهم مميزات المدينة الحديثة.

وإنما فيما اعتقده وأؤكد فيه اعتقادى ما يعصم الناس من ارتكاب الجرائم هو شيء واحد، هو الدين الحنيف الرقيب على النفس المصور لها كل جميل وكل خير وكل سلام ، السلطان الطبيعي عليها، فهو يحكم طبيعة النفس. ولكن يظهر أن المدينة الحديثة لا تعرف الدين وقوته ولا تأثيره ولا تقمه فتستفيد منه وتستضىء به . بل هي خرجت على كل الأديان. بيد أننى الآن لست في مكان التدليل على خطأ المدينة الحديثة في عدم أخذها بمعصم الدين ، ويكفى أن أقول إنها على ما فيها من حسنات أكبر جناية على الإنسان

محمد صالح إبراهيم

[الخرطوم ، سودان]

الضيف

للأستاذ محمد الهراوي

لا تكن ضيفاً ثقيلاً	يكره الناس لقاءك
لا تكن عبثاً عليهم	لا تحمّلهم عناءك
ليس من ذنب أناس	أن يكونوا أقرباءك
فتحلّ الصبح ضيفاً	واصل فيهم مساءك
أنت لا تدري إلى كم	تززع الحبل إزاءك؟
ففساه مستمداً	لك من قوم عشائك
وعساه مستعيراً	لك من جار غطاءك
رُب بيت أنت فيه	راض بالصبر بلائك
يُظهر البشر حياءَ	وهو يشكو منك داءك
لا تقل رديّ وفؤري	يُنكر الحق ادّعاءك
إنما القربى إلى من	شئت أنت وشاءك
ليس حقاً أن عذراً	حمل الآهل ثواءك
فاستقلّ العيش حراً	صائناً فيه إباءك
وتذكر - أنت - ضيفاً	كيف إن جاءك ساءك؟
إن تزدري، فليكُ غيباً	ثم لا تُكثر بقاءك؟
قد مضى عصر قديم	وجديد العصر جاءك
إن في الفندق مأً	والك، وفي السوق غذاءك
فاترك الناس زليلاً	واجعل الأجر كراءك
رب من يلقاك هاشاً	كسر « الزير » وراءك

الهراوي

المعرفة في العراق

تطلب « المعرفة » في العراق من مكاتب حضرة محمود أفندي حلمي
بيгдаد والموصل والبصرة والنجف الأشرف

ســـــــــــــــــمير

للأديب محمد السيد محمد المويلخي

بتلك الزرقة الفيروزية الصافية ، وبتلك النجوم العوالى التى تترك فى النفس أثراً ساحراً وسحراً آمراً ، وبتلك الأضواء اللائحة التى سكبها القمر على فحمة الليل فأضت كإسمة مياسة.. استطاعت « عزيزة » أن ترى من نافذتها شبحاً يغدو ويروح بين الأشجار !!.. فأنعمت النظر فيه جيداً ، حتى إذا اقترب من المصباح صرخت صرخة مكتومة !!.. وفى نثيم قالت : « هو ، هو بعينه » .

بادهتها رغبة ملحة تحفزها للمسير نحوه ، ليرحا فى فرايس الحب ويهنا فى عروش الظلمة الداكنة ، حيث لا رقيب ولا حسيب .
أقفلت نافذتها ووقفت وراءها تنجابه الظلماء التى تحجبه عنها ولكنها تحدثها فى ابتهاج ، وانثت فاتحة لها مرة ثانية ، فرأته يرنو إليها بشغف وحنان ، وقد ثارت ثورة غرامه ، فخلعت على وجهه نقاباً من نار ودثاراً من نور ، فأومأت إليه برأسها أن انتظر ، ثم رفعت إليه بضم الرمح قبلتها الطويلة .

* * *

خضعت لمواظفها ، وسارت إلى أمها تستأذنها الخروج لعيادة صديقتها « أمينة » ، ولو ثوقها من مرضها وعدم خروجها قالت لها ملحة : « وهى تمنى زيارتك أنت الأخرى .. » . ولم تنتظر جوابها بل جابهتها بسرعة خاطفة وبحركات تمثيلية متقنة « أد إليه أمينة تحبك يا ماما .. » . « يا روى عليها .. وأنا بحبها عشان كده ، لأن اللى يحبك أفديه بروحى .. » ، فضحكت الأم ضحكة تواضع وخجل ، وقد دخلت عليها حيلة ابتهاج ، فقالت لها :
« والله يا بنتى أنا زخره أحب أمينة ، وأعطف عليها من كل قلبى ، لأنها بنت حلال يتيمة مسكينة ، روحى ، بس متغيبيش الحسب بابا يجى ويرعلنا » .
يزعلنا ليه ..؟ الناس كلها بتخرج فى رمضان ، هو أنا اللى بس بخرج ؟

طب روحى وسلمى عليها ، مع السلامة ..
وفى حومة هذا الحوار كان سمير يتلف شوقاً لقدومها ، حتى إذ رآها قادمة نحوه سار إلى أن صادفته حافلة فأوقفها وأمرها بالركوب فصعدت وصعد فى إثرها قائلاً : « المعادى .. » . ثم نظر إلى عينيها المتشجعتين بدثار السحر ، المدترتين بوشاح الفتنة والمجازية .. وإلى وجهها البهى المشرق الذى يشع منه نور العفاف ، ويتألق فيه ضوء الصبا .. ! فشر كأن قلبه قد

قفز من مكانه ، وصعد إلى مقلتيه ليتمتع نفسه بالنظر إلى هذا الحسن الناضج، وهذه الرؤيا الحاملة .
رأبها إدمانه النظر إليها مسألته قائلة :

— مالى أراك ساهماً واجماً ؟ هل من جديد ؟ ..

— إننى أمتع روحى بالنظر إلى تلك الأضواء التى لا تحبوا ، أمتع قلبى وحبى بزواجى
الحبوبة التى بوأها عرش فؤادى ، و... فقاطعه قائلة :

— حبيبتي لا زوجتك ! لأنك لو كنت تريدنى حقاً لما تأخرت عن الذهاب لوالدى
ومفاتيحه فى أمرى . ! !

— أنشكين فى حى وشرفى ؟

— لو كنت أشك ، ما سمحت لنفسى بالخروج إليك ليلاً ، ولكننى متعجبة - وأى عجب -
لهذا الانتظار الممل . .

— عزيزة ! ألا تعلمين أن مرتبى لا يتناسب ومركز والدك ، ماذا يكون موقفى عند
ما يجابهنى بهذه الحقيقة المرة ؟ ويطردنى شرطردة ، ثم ألا تعلمين أيضاً أننى مستسره
« سكرتيره » ؟

— ليس هناك فرقاً ! ! يجب أن تكون شجاعاً جسوراً . اعتمد على الله وتقدم ؛ إنك
لن ترتكب إثماً وإن تطلب منه حراماً ، لقد كان مثلك صغيراً ثم كبر ؛ ثم ألا تعلم أن كل شيء
يبدو صغيراً وينمو شيئاً فشيئاً حتى ينفدو كاملاً أو ما يقرب من السكال ؟ أقنعه بهذا إن
حاجك ، فإن لك من أخلاقك الوديعه واستقامتك الطيبة خير شفيع ، وسأقضى لوالدتي بكل شيء
حتى تكون خير معوان لنا . .

* * *

تقابلت العيون ، فتلاحمت الشفاه ، وانتشر عقيق الحنان الفواح ، وسرت كهربائية الوجد
حتى أدركت الخوذى فارتبك . . وأحدث صوتاً هو أشبه باحتجاج منه بنجحة ! ! فتباعدا
وهما يرشقانه بأقصى النظرات ويرميانه بالتدخل المعيب ، ولكنهما تابا إلى رشدما ، فابتسما
وعذراه لأنه شرقى « والشرق مشهور بحبه لكرامته وشرفه » ، وما هى إلا برهة وجيزة
حتى كانا فى المعادى ، يسيران على شاطئ النهر وقد انعكست عليه أضواء القمر فأض كمرأة
مجلوة صافية . حلا لها الجلوس ، فجلسا على ربوة دحداحة محاطة بالمرج من كل صوب ، وقد
سحرهما هذا السكون المتمدر بالروعة والجلال ، وهذا الهدوء العميق الزاخر بالركة والجمال ، الذى
لا يشوبه لا تقيق ضئاع ، ولا شخشة حشرات .

* * *

راح كل منهما يستعرض ماضيه وذكرياته وما صادفه من نعيم أو شقاء ، ولكنهما لم

عجده إلا من ناحية واحدة ، هي ناحية التعارف والاندماج الذى ملأ عقليهما بسحر الوجود وفتنة الوجد ، ومن ثم امتطيا جناح الخيال حيث سماوات المستقبل الزاهر الزاخر بالسمادة ، السكمن فى وطن سحرى مملوء بأحلام الأمانى وأطياف الحنان ، هذا الوطن الذى سيجمعهما ويفعرها بنور الزيجة المرجوة ..

وما إن وصل تفكيرهما إلى هذه الأمنية الشريفة النبيلة حتى انتشى كل منهما بنشوة الهوى وراح فؤاده يفتى « أنشودة الأبدية » التى هى أحلى ما يتقبله الوجدان الزاخر بالنبيل والسعوى .. وكان من أثر هذه الآصرة الخيالية - التى آصت عندهما وكأنها حقيقة مقدسة - أن هب سمير واقفاً وقد اسعت حدقاته والتمعت مقلته ، وأخذ يرنو إلى عينيها بنظرات مرتعشة مرتبكة ولا ينبس ببنت شفة كأنه فى حضرة إله جبار .. هبت واقفة - هى الأخرى - وقد انعكست على وجهها تلك الأنوار اللألاء فأصت كتمثال قد من ماس ميامس ، أحس فى قرارته ركزاً خفياً يقول :

تهجد فى محراب هذا الجمال وتضرع إلى خالقه أن يضمك إليه ..
فجئنا راکعاً عند قدميها وقد طوقها بذراعيه القويتين وقال :

حبيبتي .. أنت سحر الوجود وفتنته وبلسم القلب ومنيته ، اغمريني بأنوارك ، وأثيريني بأضوائك ، تسلطى على بفتنتك ، واجذبى روحى برقتك ، ثم اسحقى كيانى وكيانك وكونى من ترائيمها كياناً واحداً ..

عزيزة .. ها هى ذى دموى مناسبة فوق وجنتى تلهمها بتارها وتحرقها بكيمها ، فهببى عطفك وحنانك . ها أنذا رافع نحوك ذراعى أسألك الوفاء والصبر ، والنأى عن الهجر والغدر .. ثم راح يبكي بشدة ..

تخدرت أعصابها وتخاذلت أعضاؤها ، فافتششت من تلك المروج مهاداً وثيراً ، ثم ارتعى فوقها يسحقها بجسده الملتهب ، ويقبلها قبلاات نارية فتاكة وهى تنجبيه بأحر منها وأفتك .. رقصت حولها الشياطين والزبانية وأغراها الشباب الجامح والموقف الجائع ، ولكنهما لم يخلقا من هذه الطينة القذرة .. !! فانه وإن كانت الشهوة تسحقهما فإن النبيل يرعاها .. لذلك هب سمير واقفاً وهو يقول :

— نحن أرفع من هذا وأشرف .. أليس كذلك يا عزيزة ؟ فلم تجبه ، بل نظرت إليه نظرتين : نظرة غيظ وألم ، ونظرة نبيل وتقديس ، كأنه رب صغير عصم نفسه عن الدنيايا وتلم الأعراض . وأخيراً وفى مجهود عنيف قالت :

— نعم لغيرنا هذا ، أنت قديس يا سمير ، بارك الله فيك ، ثم هوت على يده تلتهمها شاكراً فخورة .
كان هذا الإطراء قميناً بأن ينجل (سمير) فجلس على الربوة وقد لمع وجهه بلون وردى

أكسبه بهاء ورواء ، أما عزيزة فقد أبى حبها إلا أن يجلسها بين أقدامه ، واضعة رأسها بين قفذيها تلهمها بلثامها القوية ، ولكنه رفع رأسها بين يديه ورنأ إلى عينيها بعقلتين غارقتين في عبراتهما وقال : عزيزة ، حبيبتي ! إني مرءوس لوالدك ، وسأبذل أقصى ما في وسعي لخله على زواجنا ، سأحضر باكراً فاجتهدى أنت الأخرى ، والآل فلنذهب . ثم تعانقا طويلا وانتنيا عائدين .

* * *

« سليم أفندى » رجل نقى النفس ، طيب القلب ، محبوب من مرءوسيه مع شدته معهم ، وهو وإن كان رجعياً يفكر بعقلية القرن المنصرم إلا أنه — لفرط حبه لابنته عزيزة — سمح بتعليمها وتهذيبها ؛ ولم تكن له أمنية في الحياة إلا أن يراها زوجة لثرى كبير أو موظف قدير خطير تقضى معه بقية عمرها في سعادة ورفاهية ، لا يمانه بأن السعادة لا تكون إلا مع المال والجاه ! لذلك لا نمجب إذا رأيناه يقف من سمير موقفاً صارماً جباراً فيصّب جام غضبه عليه ، ويقذفه بحمم براكينه ، ويعجب كيف جرؤ على طلب يد كريمته ولسان حاله يقول :

أتريد أن تسطو على سعادتها وهنائها وتذيقها معك ألم الفقر وذل المنصب الحقير ؟

لم يستطع سمير أن يقنعه ، أو بعبارة أدق ، لم يترك له سليم أفندى فرصة يرجعه فيها عن غلوائه وكبرائه وتطرفه الذى سيحطمه ويحطم معه ابنته ، إلا أنه فى شيء كثير من الصلابة والشمم قال له : سيدى ! أنت أعرف الناس بأخلاق واستقامتى كما أنك تعلم أننى منتسب للجامعة ، ولن يمضى طويل زمن حتى أكون من حاملى اللسانس ، وليست هى آخر آمالى ومطامحى ، وأظن أن كل هذا يسمع لى عندك . وفى استعطاف وتضرع قال له : أرجوك ألا تحطم آمالى وتحطم معها سعادة أأ ...

— حذار أن تلوك اسمها فأنت غريب عنها وستظل غريباً .. !!

ويظهر أن سليم أفندى بعد أن نطق بهذه الجملة القاسية لمستسره ، أراد أن ينصحه باين ، فقال :

— يا بنى البحث لك عن فتاة تناسب مركزك حتى لا تبهطك بالنفقات الطائلة التى لا تناسب ومرتبك .

فدنا إليه سمير وقد تخضلت عبراته وتحطم قواده وقال :

أشكرك ياسيدى ، وأتمنى لكريمتك السعادة من كل قلبى ، ثم خرج متعثراً وهو يبكي

بصوت مسموع !!

دخل سليم أفندى ليخبر كريمته بهذا النبأ الذى وقع فى شؤته أنها ستسر له أيماسرور ،

ولكنه وجدها تبكي بكاءً مرأ ، وتئن أنيناً موجعاً . . . فكان بينه وبين زوجته حوار :

— بنتك يشعيط ليه . . ؟ إئتوا سمعتوا الحكاية ولا إيه ؟

— سمعناها من أولها لآخرها !!

— طيب وهو أنا مجنون أديها لواحد زى ده !! متعيطيش يا عزيزة .
ولكنها ازدادت في أنينها حتى أوشك أن يكون حشرجة ، وكان حالها لا يخفى على أحد ؛
إلا على أمثال سليم أفندى ، ورغم كل هذه الآلام الظاهرة قال سليم :
— وخده على خاطرها ، بتظن إني كنت حوافق . : محال . . محال . .

بعد تسعة شهور كان بيت سليم أفندى يعج بالمهنيين والمهنيات لخطوبة كريمته بالسرى
الكبير والتاجر الخطير « الشيخ أحمد حلمبوجة » ، وكان السك في مرور حار إلا عزيزة فإنها
كانت تحترق في قرارتها وتلتجر في هيكلها

لم يسمع سميير بتلك الخطوبة لأنه كان منهمكاً في عمله ومنتظراً نتيجة امتحانه التي ستظهر
بعد يوم واحد ، وفي الصباح الباكر ذهب إلى مكتبه فألقاه يموج بزملائه وكلهم في انتظاره
ليهنئوه بهذا النجاح الممتاز .

دهش لهذه المفاجأة وانعقد لسانه ، فتقدم أحدهم « باع أفندى » ، ويده الجريدة وهو
يشير إلى هذا النبأ ، ولسوء الحظ لم يقع نظر سميير إلا على خبر خطوبة « عزيزة » بالشيخ أحمد
حلمبوجة ، فرمى رأسه إلى الوراء وقد انفجرت العبرات من عينيه بقوة ثم راح في غيبوبة مميتة .
ساد المرح واشتد اللغط بين زملائه فمن قائل :

— من كتر فرحته يا أخى . . ماهو نجاح مدهش .

ومن قائل :

— مهما كان مش قد كدة الفرح . . دامت خالص !! . .

وبيناهم في حومة هذا الحوار إذ بسليم أفندى يدخل مشدوهاً مدهوشاً لهذه الحركة
الغريبة الصاخبة ، فسأل عن الخبر فقال له أحد مرءوسيه :

— سميير أفندى أغشى عليه لما أخبرناه بنجاحه في الليسانس .

ولكن سميير نهض واقفاً وقال : الحمد لله ، إنتهى كل شيء .. أشكركم جميعاً على إحساسكم
النبيل . فأنصرف كل إلى عمله ولم يبق إلا هما فقال سليم :

— مبارك يا سميير يا بنى ، دا نجاح ممتاز باهر ، والله إنت تستاهل أكثر ، إن شاء الله أهنتك
بنجاحك في الدكتوراه . : فأجاب سميير :

— مبارك الخطوبة « يا حضرة الباشكاتب » إن شاء الله أهنتك بالبكارى . . هه ! بكارى
الشيخ أحمد حلمبوجة ، فامتقع سليم أفندى من هذا التهكم المرء ، ولكنه في الوقت نفسه عرف سر
إغائه فأراد أن يواسيه فطيب خاطره وشجعه بكلمات كانت تهبط على رأسه وكأنيها شظايا تلب
رأسه وتفتك بروحه . .

مرت الأيام تباعاً وانتقضت الشهور سراعاً فإذا بسمير في الدرجة الرابعة، وإذا به أول الناجحين في الدكتوراة، بل إذا به يخلف سليم أفندي في منصبه لأجل حالة الأخير إلى المعاش... ولكن أي مركز!! وأي جاه يشعر لها بلذة وقد تحطمت آماله وتمزقت سعادته؟ لذلك كان دائماً كسيف البال كليم القواد عابس الوجه، شديداً حتى مع نفسه وأهله، وكان يميل إلى الوحدة والخلاء، يصطحب معه جرائده عصر كل يوم، ويذهب إلى الخلوات الراكدة الذائبة. وبينما كان يتصفح جريدة في يوم من الأيام إذ به يتفقد مشدوها مبلبلاً حائر اللب وهو يقول: مسكينه، لقد تحملت المذاب بأنواعه، وما هي ذي ضربة أخرى، ثم أخذ يقرأ بامعان وروية «لكل هذه الأسباب المتقدمة والتي أهمها التروير في أوراق رسمية وإدمان المخدرات والنصب والاحتيال.. حكمت المحكمة على الشيخ أحمد حامبوحة بالسجن سبع سنوات مع الأشغال الشاقة»، ثم رمى بجرائده وانتهى راجعاً إلى بيته وهو مضطجع الحواس مفقت القلب، ومضى أسبوع نائداً بالساعي يخبر رئيسه سمير أفندي.. أن سيده تلج في الدخول عليه، فأمره بإدخالها وهو يعجب من تكون؟؟

تقدمت عزيزة ببطء وقد انتشحت بمئر أسود، لا حزناً على «الشيخ حامبوحة»، وإنما حزناً على شبابها وسعادتها.. وقالت:

سمير بك.. سمير بك.. وهنا انحدرت دموعها - أثبت لأهنتك بمنصبك الكبير وأطلب لك السعادة من كل قلبي.. لقد أساءك والدي وفرق بيننا وقتل قلبيها وهما أندي قد أثبت أرى خطيبي سابقاً وحبيب شباني ومبعث سعادتي، لا شيء إلا (وهنا تقدمت حتى لاصقته وأسرعت بلثم وجنته) لأقول إنني أصبحت فقيرة وفقدت كل شيء في الوجود.. حتى حبك وعطفك - لقد تغيرت كثيراً يا سمير.. العفو يا سمير بك..

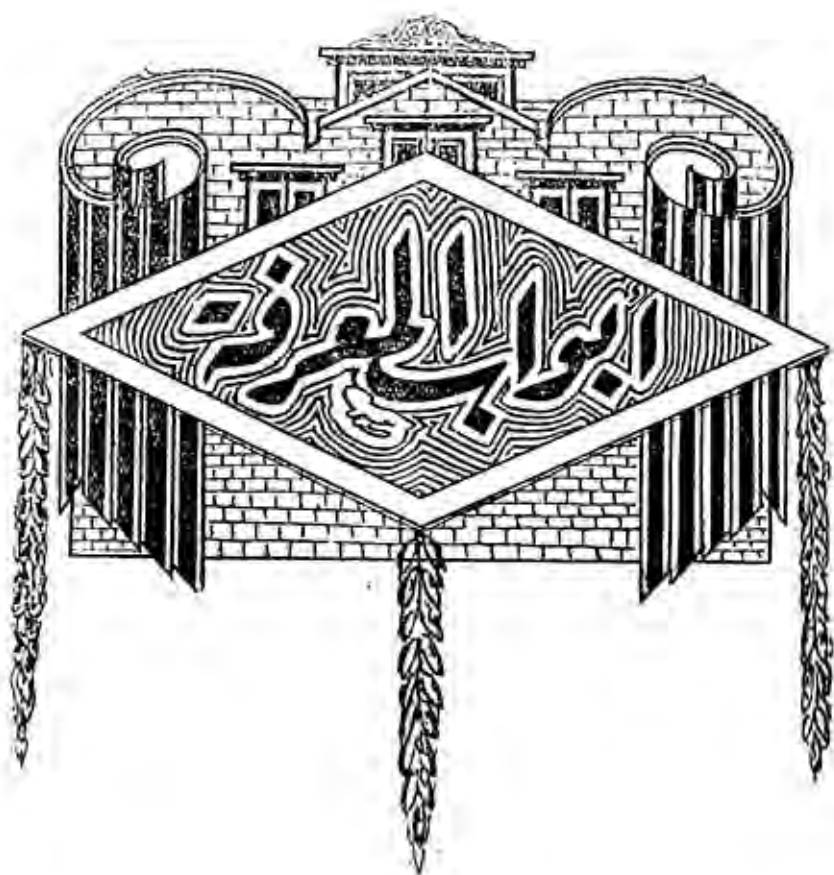
— عزيزة! أنا سمير لم أتغير.. أنا بك؟ أنا سمير بك؟ ثم هب واقفاً وأتى بجوارها وصرخ باكياً وقد ركم عند قدميها وأخذ يلثم جلبابها بخنانه القديم وشغفه العظيم، ثم رنا إلى وجهها الخنضب بالمبرات وقال:

عزيزتي.. حبيبتي.. أنا خادمك اصفحي عني، أتقبليني الآن؟ أقبليني والدك؟؟

وهنا يفتح الباب فإذا بسليم أفندي واقف وقد سمع جملة سمير الأخيرة فأجابته: نعم، الآن أصبحت عظيمًا ونحن الآن نرجوك.... اصفحي عني يا بني، لقد كنت قاسياً عنيداً... اصفحي عني لأجل عزيزة. وفي اليوم الثاني نشر هذا الخبر «أعلنت خطوبة كريمة الأستاذ سليم أفندي بالدكتور الفاضل سمير عصمت فنتعنى لها الهناء».

وبعد شهر واحد كانا في ضاحية المعادي يسيران على الشاطئ، ثم حلالها الجلوس فهرما إلى تلك الربوة الدحداحة، وهما يغنيان بأعذب الألحان ويتعاقبان و...؟؟

محمد السيد محمد المويلحي



بين المسافرين

بطلان مذهب الأحمدية

خارت عزائم بعض المسلمين وضعفت هممهم، وراحوا — سبحانه الله — يتلمسون وجوه الاتهام بالديانات الأخرى، ظناً منهم أن هذا يقوى شوكتهم ويعزز كلمتهم . وما دروا بذلك أنهم يضررون أنفسهم ويفضضون دينهم، وأن الخير كل الخير في أن يتسكوا بدينهم كاملاً غير منقوص ؛ ذلك الدين الذي أصبحت أمهات تعاليمه معلومة بالضرورة .

فترى كثيراً من المذاهب الجديدة التي تطالعنا بها ليالي المحاق تشير إلى تلك الغاية العقيمة، وليس أقرب إلى تلك التزعة من مذهب الأحمدية « القاديانية » . وإليك أصول ما خالفوا به الدين الإسلامي نقلاً عن داعيتهم حضرة « منير الحصني »^(١) والبراهين الدالة على فساد تلك الأصول :

١ — موت المسيح حقف أنفه وعدم رفعه حياً إلى السماء . ويدل ذلك على بطلان هذا صريح قوله تعالى : « وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك فيه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله إليه » . روى^(٢) أن رهطاً من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم فسخ الله من سبهما قردة وخنازير ، فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء ويظهره من صخرة اليهود ، فقال لأصحابه أيكم رضى أن يلقي عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم أنا ، فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب . وقيل إن الذي ألقى عليه الشبه رجل منافق كان يبغض المسيح عليه السلام . وقوله تعالى : يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى « إلى سمائي ومقر^(٣) ملائكتي » ومظهرك من الذين كفروا « من سوء جوارهم وخبث صحبتهم » ، وقيل متوفيك قابضك من الأرض من توفيت مالى على فلان إذا استوفيته ، أو مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن ، إذ الواو لا توجب الترتيب . قال النبي عليه الصلاة والسلام « ينزل عيسى خليفة على أمتي يدق الصليب ويقتل الخنازير ويلبث أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى ، وكيف تهلك أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها والمهدى من أهل بيتي في وسطها ؟ »

(١) « المعرفة » أول نوفمبر سنة ١٩٣٢ (٢) تفسير البضاوي والنسفي ببعض تصرف (٣) تفسير النسفي

أو متوفى تنسك بالنوم ورافعت وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وأنت في السماء آمن مقرب» اهـ . وقال (١) عليه الصلاة والسلام «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم (٢) منكم». أقول لا تعارض في وجود الإمام حين نزول المسيح عليه السلام، إذ الواو تخبر عن حال نزوله لا عن حال مكثه في الأرض .

وأما الاستشكال بأن المسيح المخبر عنه في حديث المعراج بأنه أحمَر جعد الشعر ، والذي يأتي لقتل الدجال آدم سبط الشعر ؛ فلم ترد الأحاديث أن الذي يقتل الدجال هو المسيح عليه السلام ، فضلاً عن أن وصفه بذلك قد عارض فيه ابن عمر (٣) رضى الله عنه ، فعنه : «لا والله ما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعيسى أحمَر ، ولكن قال : بينا أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر يهادى بين رجلين ينطف رأسه ماء أو يهرق رأسه ماء ، فقلت من هذا ؟ قالوا : ابن مريم» ، ومع ذلك فإنه لم يصغره (٤) في حديث المعراج بما ظنه حضرة الأحمدي ؛ ففي حديثه صلى الله عليه وسلم قوله « فلما خلصت » يعنى إلى السماء الثانية «إذ يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت قردا» .

٣ — يمنعون النسخ في الشريعة الإسلامية فيتقربون بذلك إلى اليهود كما تقربوا بسابقه إلى النصارى ، وقد قال تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » ؛ وتفسير النسخ (٥) لغة : التبديل ، وشريعة : بيان انتهاء الحكم الشرعى المطلق الذى تقرر فى أوها من استقراره بطريق التراخي ، فكان تبديلاً فى حقنا ، بياناً محضاً فى حق صاحب الشرع ، وفيه جواب عن البدء الذى يدعيه منكروه ، أعنى اليهود ، ومحله حكم يحتمل الوجود والعدم فى نفسه لم يلحق به ما ينافى النسخ من توقيت أو تأييد ثبت نصاً أو دلالة ؛ وشرطه التحكك من عقد القلب عندنا دون التحكك من الفعل خلافاً للمعتزلة ، وإنما يجوز النسخ بالكتاب والسنة متفقاً ومختلفاً ، ويجوز نسخ التلاوة والحكم دون التلاوة ، والتلاوة دون الحكم ، ونسخ وصف بالحكم مثل الزيادة على النص فإنه نسخ عندنا خلافاً للشافعى رحمه الله ؛ والإساءة أن يذهب بحفظها عن القلوب . أو نساها مكي وأبو عمرو : أى أخرها من نساء أى أخرت « نأت بخير منها » ، أى نأت بآية خير منها للعباد أى بآية العمل بها أكثر للثواب « أو مثلها » فى ذلك إذ لا فضيلة لبعض الآيات على بعض .

أقول : ومنع النسخ يوجب التضارب فى كلام الله الحكيم وأحكامه الكريمة ، فآيات الحمر الأولى مثلاً تشير إلى إباحته ، وآياته الأخيرة تمنع تعاطيه ، وآيات السلم الأولى تعارض آيات الجهاد وهكذا . ثم إن سنة التدرج والترقى كانتا تقضيان بتعليم العرب أحكام الدين شيئاً فشيئاً ، لا

١ صحيح البخارى من كتاب بدء الخلق (٢) ذكر حضرة الكاتب الأحمدي عجز الحديث دون صدره
(٣) صحيح البخارى من كتاب بدء الخلق (٤) صحيح البخارى من كتاب بدء الخلق (٥) تفسير النسي

أن يفرض عليهم كل أحكامه جملة واحدة . ورضى الله عن الإمام البوصيري حين يرد على اليهود في هزيمته حيث يقول :

منما قالت اليهود وكل	لزمته مقالة شنعاء
إذ هو استقرءوا البداء وكمسا	ق وبالا إليهموا استقرءوا
وأراهم لم يجملوا الواحد القها	ر في الخلق فاعلا ما يشاء
جوزوا النسخ منما جاوزوا المس	خ عليهم لو أنهم فقهاء
هو إلا أن يرفع الحكم بالحكم	م وخلق فيه وأمر سواء
ولحكم من الزمان انتهاء	ولحكم من الزمان ابتداء

قال العلامة الصاوي: (١) وزعم اليهود أن النسخ يستلزم البداء باطل لما تقرر أن المصالح الداعية للنسخ ترجع لأحوال المكلفين وذلك لا يقتضى أن الله ظهر له شيء بعد أن لم يكن لقيام الدليل القاطن على أن علمه تعالى محيط بجميع ما كان وما يكون وما هو كائن أزلا وأن تصرفه في العالم على مقتضى علمه .

٣ — وجود النبوة بعد سيد المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وهذا يعارض قوله تعالى « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » . وفي الحديث الصحيح (٢) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدى » . وقال (٣) عن جابر: « مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتمتعون ويقولون لولا موضع اللبنة » . وفي رواية عن أبي هريرة رضى الله عنه زيادة « إلا موضع لبنة في زاوية » وقال في آخره « فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

٤ — بقاء الوحي الإلهي ، وهذا غير صحيح: لأن الوحي في عرف الأصوليين (٤) لغة: هو إعلام في خفاء وشرطاً: إعلام الله أنبياءه بالشيء سواء أكان بواسطة أم بغير واسطة، والاول قد يكون بصوت يتعمل لسمع النبي وقد لا يكون . والوحي نوطان (٥) : ظاهر وباطن . والظاهر ثلاثة أقسام :

الاول : مائت بلسان الملك فوق في سمعه عليه السلام بعد علمه بالمبلغ بآية قاطعة، والقرآن من هذا القبيل . الثاني: ما كان بإشارة الملك من غير بيان بالكلام ويسمى خاطر الملك . الثالث ملاح لقلبه صلى الله عليه وسلم بلا شبهة بإلهام الله تعالى إياه . والباطن ما كان بأجتهاده صلى الله عليه وسلم خوف قوات الحادثة .

(١) شرح الهزيمة للعلامة ابن حجر وحاشية العلامة الجبل (٢) صحيح البخاري (٣) صحيح البخاري من قصة اسلام أبي ذر (٤) ابضاح سل الوصول الى علم الاصول ببعض تصرف (٥) راجع كتاب الوحي في المعججين

وعليه فليس الوحي إلا الأنبياء والمرسلين ، وأما ما جاوز في حق أولياء الأئمة على سبيل الكرامة فليس بوحى ولكنه إلهام ؛ والإلهام في غير التشريع جائز لا يحدث الصحيح^(١) عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (لقد كان فيمن قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون » تلقى الملائكة في روعهم المعارف من غير رؤية « من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن من أمتي أحد منهم فعمر) ، ولقوله تعالى « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تمترل عليهم الملائكة » الآية .

٥ — الجهاد بالسيف غير جائز إلا في حالة الدفاع عن النفس محتجين بقوله تعالى « لا إكراه في الدين » ، فقد أجمع العلماء^(٢) على أن الجهاد فرض على الكفاية لقوله تعالى « كتب عليكم القتال وهو كره لكم » ، ولأحاديث المغازي التي ملأت بطون الصحف . وأما آية (لا إكراه في الدين)^(٣) فقد قال ابن مسعود وجماعة : كان هذا في الابتداء ثم نسخ بالأمر بالقتال ، وهو إما عام منسوخ^(٤) بقوله «جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم » ، أو خاص بأهل الكتاب ؟

متمولى أحمد كيوان

١ صحيح البخارى من فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٢) بداية التجهيز ونهاية المقتصد ، ورحمة الأئمة في اختلاف الأئمة ، والميزان للشمرانى (٣) تفسير النسفى (٤) تفسير البيضاوى .

كتاب

في التربية والتعليم

تأليف الأستاذ الكبير أحمد فهمى العمروسى بك

هو دائرة معارف عامة في التربية والتعليم ، ألفه المربي الجليل الأستاذ أحمد فهمى العمروسى بك ، وتناول فيه أغلب مباحث التربية وموضوعاتها التي تار البحث حولها في الماضي والحاضر ، بأسلوب سهل وعبارة مفهومة ، وشرح كامل . وهو يقع في ٣٢٠ صحيفة من القطع الكبير ، والكتاب واضح الحروف ، جيد الطبع ، متين الورق ، وبه ٢٢ صورة على ورق مصقول . ثمنه (٤ قرشاً) يضاف إليها (٥ قروش) أجرة البريد ، ويطلب من إدارة « المعرفة » . ويهدى مجاناً للمتركن الذين سددوا قيمة اشتراك السنة الثانية .

هو مجلدة ينبغي ألا تخلو منها مكتبة أى مدرس أو أديب

ملكة المرأة والبيت

فن التفصيل

بقلم الأنسة المهذبة : خديجة محمد ابراهيم

لم تكن معرفة تفصيل الملابس في وقت من الأوقات بأثرم منها في وقتنا هذا الذي ارتفعت فيه أثمان المنسوجات وأجرة التفصيل ارتقاعا عظيما، وعلى أية حال فإن جهل السيدة بتفصيل ملابسها يضاعف عزمها، ويحول بينها وبين ما تشتهي من مختلف الأزياء الحديثة، وبخاصة إذا كانت فقيرة، وليس التفصيل بالأمر البعيد المنال، بل هو في مقدور كل سيدة رزقت قليلا من الصبر والقفظة، وإن المقاطع (الأرانيك) التي تباع الآن في كل مكان، قد جعلت التفصيل أمرا ميسورا .

ملاحظات

- ١ — يجب أن تلب الملابس القابلة للانكماش قبل تفصيلها .
- ٢ — كل سنتيمتر في الرسم يدل على عشرة سنتيمترات من النسيج .
- ٣ — تدل الخطوط المتقاطعة في الأشكال الآتية على ثنية النسيج .
- ٤ — تقضى الآداب بأن يقدم المقص لأي شخص آخر من الجهة التي يمسك منها، والإبرة من جهة فتحها .

ملابس الطفل المولود

ما أسعد تلك السويحات التي تبدأ فيها يد الأم بعمل ملابس ابنها الأول، وكل أمنية من معسول الأماني تكمن تحت كل غرزة من غرز تلك الملابس التي تحوكمها له ؟
ويحتاج عمل ملابس الأطفال إلى عناية ودقة وحسن ذوق، وهذا موفور لكل سيدة ذكية الفؤاد.

القميص الأول للطفل (لغاية ستة أشهر)

مقدمة : يلبس الطفل هذا القميص سواء أكان ذكرا أم أنثى في الأشهر الأولى من حياته فوق كاقولة مشدودة بهماط من (الفلانلا)، ولتسهيل لبس القميص يجب أن يفتح من الخلف، وبما أنه يلامس جسم الطفل فيجب أن يصنع من مادة خفيفة ناعمة .

نوع النسيج : يصنع هذا القميص من البندق (الباسته) أو (النانسوك) أو (الترانثيل) ويزخرف بالمضرسات (الداتله) أو (الزكامو) أو (الكرويشيه) لعمل الغرز الريشية .

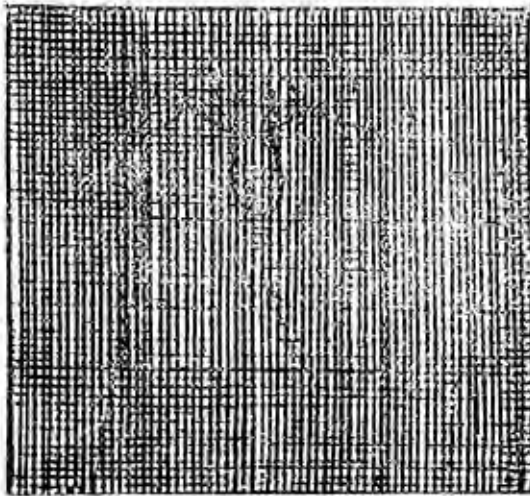
ملاحظات في التفصيل: يجب أن يكون طول القميص ٢٥ سم، وأن يكون عرضه ٦٠ سم، وعلى العموم فالعرض قدر الطول مرتين ونصف مرة تقريباً؛ ولعمله تؤخذ قطعة النسيج وتثنى نصفين في اتجاه خيط النسيج فيتمكون منها شكل طوله ٢٥ سم، وعرضه ٣٠ سم، ثم توضع ثنية على امتداد طول الجنبين لا يزيد عرضها على واحد ونصف سم.

التقوية الأمامية للطوق: يقاس على الركن العلوى الأيمن للقطعة الأخيرة مقدار ٦ سم على الطول ومثلها على العرض ثم يقور النسيج ما بين هاتين النقطتين.

التقوية الخلفية: ثم يقاس على الركن العلوى الأيسر مقدار ٣ سم على الطول، و٦ سم على العرض، ثم يقور النسيج كما تقدم.

وفي هذه الحالة تثنى القطعة نصفين بحيث تنطبق تقويرتا العنق على بعضهما، فتصبح القطعة أربع طبقات.

تقوية الذراع: ثم يقاس مقدار ١٢ سم على طول الثنية الأخيرة الوسطى، ثم توضع علامة تدل على نهاية طول الفتحة، ثم توضع علامة أخرى على بعد ٢ سم من مبدأ هذه الثنية، ثم يمد خط من هذه العلامة حتى يصل إلى مبدأ تقوية العنق التي على عرض النسيج، ثم يقص النسيج على هذا الخط، ثم تفرد القطعة كما كانت أولاً، ثم يقور النسيج بحيث يكون عرض القوارة ٤ سم متوسطها الثنية الوسطى، ويجب أن يزيد عرض نصف القوارة الأيمن نحو واحد ونصف سم على عرض النصف الأيسر كما هو مبين بالرسم.



(شكل قميص الطفل المولود)

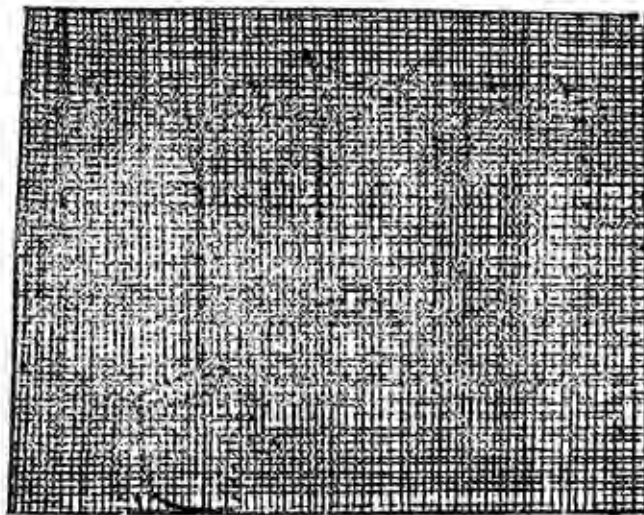
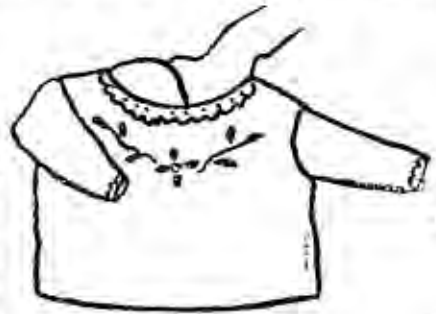
طريقة الخياطة: تضم الأكتاف (١) إما بالأجور التركي (٢) وإما بالخياطة الفرنسية (٣) وإما بطريقة الشل والكف: ثم تثنى تقوية الذراع ثنية بسيطة، ثم تكف ويركب حولها

مضرس (دنتله) ويركب في طوق القميص شريط وذلك ليتمكن استكماكه (تدكيكه)، ثم تكف ثنية الذيل والجوانب.

الصدر

تفصل كلقميص تماماً غير أن طول تقويرة العنق الأمامية لا يزيد على ٤ س م، وطول التقويرة الخلفية لا يزيد على ٢ س م، وهي تؤخذ من نسيج أبيض تتوفر فيه الخفة والدقة وكثرة المسام (كالفلانلا والبيكا والكستور).

كم الصدر : تؤخذ قطعة من النسيج عرضها ٢٥ س م وطولها ١٨ س م، ثم تطبق من منتصفها فتتكون منها قطعة طولها ١٨ س م وعرضها ١٢ ونصف س م، ثم على بعد ٣ س م في الركن العلوي الأيسر توضع علامة، ثم يقور النسيج من هذه العلامة إلى نهاية الركن العلوي الأيمن، كما هو مبين بالشكل، ثم يؤخذ على العرض قدر ٢ ونصف س م ابتداءً



من الركن السفلي الأيسر، ثم يقور النسيج من هذه العلامة إلى العلامة الأولى.

(صدر الطفل المولود)

التطريز

التطريز اسم شامل يتفرع إلى جملة فروع، ويسمى بالإيطائية (الركامو)، وبالعربية (الرقم)، وقد يكون على الألسجة البيضاء من قطن وتيل وكتان وسجل (بفته) ثقيل وخفيف (ترانيل).

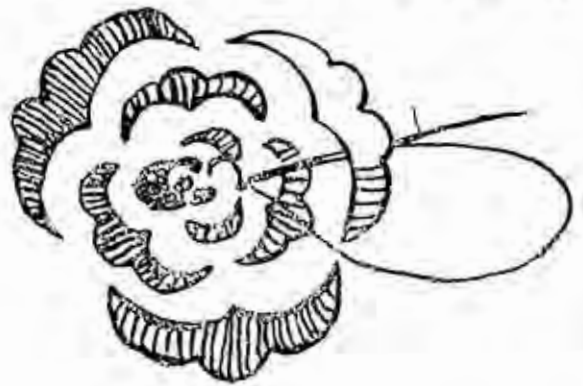
ويطرز البندقى (الباسته) والموصلى (الموسلين) وترقم السكروته والأطلس والقطيفة والجوخ والغلانلا .

خيط الرقم : أما خيوط التطريز فقد تكون من القطن أو الكتان أو الحرير الملون أو الخيوط المذهبة أو المفضضة ، وتختلف هذه الخيوط فى الغلظ وفقاً للنسيج المراد تطريزه .
الأدوات : الأدوات اللازمة فى التطريز غاية فى البساطة والرخس ، فهى لاتتعدى الإبرة والمقص والمنقب .

التطريز البسيط : لا يخرج عن الغرز البسيطة كما يرى فى الشكل الموضح ، وفيها يشل الجزء المراد تطريزه سواء أ كان على هيئة وردة كالشكل الأول ، أم على هيئة ورق الأشجار كما فى الشكل



الشكل (٢)



الشكل (١)

الثانى ، وفى الحالة الأولى يكسى الجزء المحدود بغرز الشل (الشلالة) كما فى الشكل السابق ، بعضها ملاصق لبعض ، وفى الحالة الثانية يكسى الجزء المحدود بغرز طويلة ثم غرز قصيرة مارة بالنسيج ، وهكذا على التوالى من اليمين إلى اليسار ، ثم تكسى الغرز الأولى بغرز ثانية وهكذا .
خديجة محمد إبراهيم

فى الخياطة

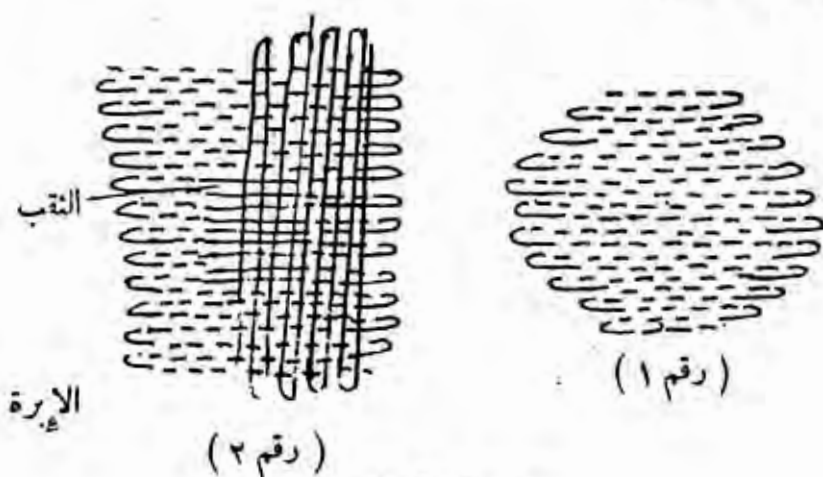
رفو الجوارب :

إصلاح الجوارب من ضروريات السيدات والرجال ، لسرعة تلف بعض أجزائها خصوصاً فى فصل الصيف . ولما كانت الجوارب تلاصق القدمين والساقين وقتاً طويلاً ، فيلزم أن تكون خالية مما يؤلم هذه الأجزاء الحساسة من الجسم . والذى يساعد على ذلك رفو تقويمها أو تقوية الأجزاء الضعيفة فيها بدل خياطتها بالطريقة العادية فى رتق شقوق الملابس العادية .

وللرفو عدة أنواع منها :

رفو الثقب: يقلب الجورب ، ثم يوضع الثقب على بيضة الرفو ، أو يشد بين إطارين دائري الشكل ، (التارة المعروفة للتطريز) ، ثم يبدأ - على بعد سنتيمتر من الثقب - بنرز إبرة الرفو في النسيج ، ثم يؤخذ على سن الإبرة خيط ويترك خيط آخر وهكذا إلى أن تراكم الخيوط على طول الإبرة ، ثم تسحب بلطف وتكرر العملية فيطول كل صف عن سابقه إلى أن تصل الصفوف إلى الثقب ، فتظل ذات طول واحد . أما الثقب فتعتمد فيه الخيوط امتداداً ، وتكون غرز الرفو جزءاً من أعلى الثقب وجزءاً من أسفله .

وبعد ذلك تملأ الجزء الذي رفيء أولاً ، مع ترك ثنية في نهاية كل صف . وتسمى الصفوف الأولى بالسدى ، ثم يدار الجورب فيصبح الجزء العلوى والجزء السفلى للثقب على الجانبين ، ثم يبدأ بصفوف اللحمة ، وهى التى تكون متجمعة على صفوف السدى ، ثم يؤخذ على سن الإبرة خيط من السدى ويترك آخر وهكذا إلى أن تصل الصفوف إلى نهاية السدى ، فيتكون من الطبقتين شبكة على الثقب ؛ وقد يمكن جعل الرفو على شكل مربع كما فى الشكل (١) ، أو كما فى الشكل (٢) وهو الأفضل .



حفظ نعال الأحذية

تدهن النعال كل أسبوع زيت معدنى ، وذلك بأن يغمر الفرجون بهذا الزيت وتطلى به النعال ، فتدوم أطول . ومن خاصية هذا الزيت أيضاً ، أنه يمنع الرطوبة عن الأقدام .

وإذا لحظ انكماش فى وجه الأحذية من عدم استعمالها أو من تأثير رطوبة ، فتحرق قطعة من الخشب الأخضر وتعرض الأحذية لدخانها ؛ وأن يراعى وضع مقوى الأحذية بداخلها إذا كانت غير مستعملة حتى تظل حافظة لشكلها المرتب .

في تنظيف الأثاث

(١) تنظيف الكراسى المنجدة المكسوة بالجلد

لتنظيف هذا النوع من الكراسى طرق كثيرة منها : أن تزال البقع بدعكها بقطعة مغمورة بزيت البترول أو بعطر التريبتين ، أو تنظف بعد ذلك بما يأتي : —

(١) إما بطلاء الأثاث (ب) وإما بزيت الخروع (ح) وإما بمزيج من الخل وريث البزرة بمقاديرين متساويين ، مع مراعاة أن تكون كمية المزيج المستعمل قليلة ، لأن كثرتة تعوق التلميع أو تجعله صعباً . وبراى على كل حال تلميع الجلد جيداً جداً ، حتى لا يترك أثراً ما من الوسائل التي استعملت في التنظيف حرصاً على ملابس من يجلسون عليها .

(٢) تنظيف الأخشاب المدهونة الملمعة

تنظف بطريقة من الطرق الآتية : —

١ — إما أن تدعك بزيت البترول ، أو بزيت البذر (الزيت الحار) دعكاً جيداً .

٢ — وإما أن تنظف بمزيج من مقدارين متساويين من الماء الساخن والخل .

٣ — ينظف خشب (الموجنى) بمزيج من الماء الدافىء والاسبرتو ، فتمزج ملعقة كبيرة من الاسبرتو ، ب لتر من الماء الدافىء ، أو ينظف الخشب المذكور بنقع الشاى بعد تبريده . فإذا نظمت الأخشاب المهمة تطلّى بورنيش الأثاث ، وتلمع جيداً فتعود جميلة صالحة للاستعمال .

طلاء الأثاث

ورنيش الموبيليات نوعان : جامد وسائل ، فالطلاء السائل يصنع من المواد بالمقادير الآتية :

١ — فنجان من زيت البذر ، وفائدته أن يغذى الخشب .

٢ — فنجان من عطر التريبتين ، وفائدته أن يزيل الأوساخ الدهنية .

٣ — نصف فنجان من الخل ، وفائدته أن يزيل بعض البقع ، ويجعل اللون زاهياً .

٤ — نصف فنجان من الاسبرتو ، وهذا يساعد على لمعان الأثاث .

تمزج هذه المقادير بعضها ببعض ، وتحفظ في زجاجة مسدودة بسداد محكم ، فإذا أريد دهن الأثاث ، ترج الزجاجة قبل الاستعمال رجاً شديداً .

الطلاء الجامد

يصنع من المواد الآتية : أوقية شمع أصفر (٢) أوقيتين من شمع أبيض (٣) أوقيتين من مبشور الصابون (٤) نصف رطل من زيت التريبتين (٥) ثلاثة أرباع رطل ماء مغلى ، ثم يبشر الشمع ويوضع مع زيت التريبتين في وعاء ، ويوضع هذا الوعاء في وعاء أكبر منه به ماء ساخن حتى يتم ذوبان الشمع في الزيت ، ثم يوضع مبشور الصابون مع الماء المغلى حتى يذوب ويبرد فيمزج الجميع ويحفظ في العلب .

كُتِبَ المَعْرِفَةُ

مشكلة البغاء

لصديقنا العالم الجليل الشيخ محمود أبى العيون ، نباهة ذكر ، وبعد صيت ، اكتسبهما عن جدارة واستحقاق ، بما يبذل في سبيل الدين والأخلاق والاجتماع عامة ، وفي مسألة البغاء بصفة خاصة ، من جهود جبارة ، وحملات جريئة ، وتقدمات مرة ، وهجمات خطيرة ، للقضاء على تلك المسألة ، التي هي سببة وشنار يلحقان سمعة مصر زعيمة البلاد الإسلامية ، بل هي - ولنكن صرحاء - لطخة عار في جبين القانون المصرى ، الذى ذات قدم وأواضعه في هذه النقطة زللاً عميقاً .

والله إن القلم لمعجز عن تصوير هذه المأساة ، وهاتيك الفواجع ، ووصف تلك المباتات ، وتشخيص أعراض هاتيك الرزيلات ، التي انتشر ظلمها في أنحاء بلد عربى دينه الرسمى الإسلام ، فهل من مستيقظ ؟ وهل من مستمع لهذه الأناث الصاعدة إلى بارئ النسم شاكية إلى الله ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ؟

لسنا والله بالقادرين على كظم الغيظ ، وتهدة السورة النفسية عن الانفجار ، فقد نفد الصبر ولم يبق في قوسه منزع ، فالأم النوم والتقصير ؟ وحتى م الجود يارجال الحقانية ؟ وأين أتم يارجال الصحة ؟

أقسم لكم أن جرة قلم واحدة كفيلة برد الشرف إلى منبعه ، وإرجاع الحق إلى نصابه ، فإن أبيت إلا الاستكانة فإن الله سيسألكم أشد السؤال ، ويجزىكم عما قدمتم بما تستحقون . نذكر هذا بمناسبة الرسالة التي بين يدينا الآن ، والتي خطها قلم الأستاذ أبى العيون ، وهي جديرة بالدرس والتحليل ، فمينة بأن تكون دستوراً لكل بيت ، وقانوناً لكل ناد ، ليتعظ من لا يتعظ ويعتبر من لا يعتبر .

وبعد ، فليتقبل صديقنا الفاضل جزيل شكرنا على ما يقوم به من خدمات في سبيل الدين أولاً ، وفي سبيل الوطن ثانياً ، وفي سبيل الإنسانية المعذبة ثالثاً ، وإن كان لا شكر على واجب .

سيرة حياتى

بقلم الأستاذ توفيق فضل الله ضعون

وضع زميلنا الفاضل الأستاذ توفيق فضل الله ضعون ، صاحب مجلة « الدليل » التي تصدر في (سان باولو - رانديل) سقراً تحت هذا العنوان ، تناول فيه بالتسجيل والعرض سيرة حياته

وما تضمنته من أهم ما جرى له من الحوادث في سوريا ومصر والسودان وسواها من البلدان ، وصاغ ذلك كله في قالب روائي فكاوى .

ولا يفوتنا أن ننبه إلى أن الدافع الذي دفع الأستاذ إلى وضع هذا السفر ، هو بلوغه الحسنيين من العمر ، وقد قال في مقدمة كتابه : إنه يريد التخلص من ربة الاستحياء الشرقى الموروث ، فيسرد سيرة حياته بكل تجرد وإخلاص لضميره .

والكتاب في موضوعه فكرة جديدة لما يألها الشرق بعد ؛ ثم هو إلى ذلك يجمع ملاحظات دقيقة ، ويضم بين دفتيه ألواناً متعددة من مختلف الحياة في الشرق والغرب . على أن مما يستحق الملاحظة ، وقد يكون النقد أيضاً ، ذلك الفصل الذي عقده على مصر مفتتحاً بإياه بما يأتي : « كنت في نحو العشرين من عمري ، عندما وطئت رجلاي للمرة الأولى في حياتي أرض مصر القاهرة في أصيل سنة ١٩٠٣ ، وكانت هذه السنة سنة شؤم على الذين أموا مصر من السوريين طلباً للاستخدام ، ورأس ما لهم من العلم والاختبار يكاد لا (هكذا ..) يذكر ، ورأس ما لهم المادى « عشوة بدوى » . ولكن هناك رأس مال يفوق الأول مكانة ، وقوامه كتب التوصية إلى بعض المتنقذين من بعض أصدقائهم أو أقاربهم في سوريا أو في مصر ، ويكاد يكون تعويذة لا أفعل منها في الحصول على وظيفة مما كان حالمها قاصراً علماً واختباراً وأدباً » .

فلعل المؤلف الفاضل يتفضل بزيارة مصر الآن ، ليرى مبلغ ما يتمتع به مواطنوه بيننا في مختلف شئون الحياة التجارية والمالية والأدبية ، من تقديرنا لهم ، وإقبالنا عليهم ، فلا يعود إلى تسجيل هذه السبة على مصر .

التربية عند العرب

تأليف الأستاذ خليل طوطح

وضع المربي الفاضل الأستاذ خليل طوطح — أستاذ في العلوم ودكتور في الفلسفة ، ومدير مدرسة الفرندز للصبيان برام الله بفلسطين — رسالة في التربية عن العرب ، قدمها في الأصل باللغة الانجليزية كأطروحة للدكتوراه في جامعة كولومبيا بأمريكا ثم ترجمها إلى اللغة العربية ، فجاءت كتاباً جامعاً أصول التربية ونشأتها وتدرجها عند العرب بما لا يدع قولاً لقائل ، موفياً كل نقطة حقها من البحث والاستقصاء ، متمشياً مع طريقة العرض المنظم تمشياً دقيقاً .

وما نفلنا في حاجة إلى دعوة الطلاب والمدرسين لمطالعة هذا الكتاب القيم ، ففيه ما يغنى عن كتب ، وحسبنا أن نشير إلى رءوس مواد التي بحثها ، ليعلموا قيمة الجهود التي بذلها المؤلف الفاضل ، وهذه هي :

المدارس — المعلمون — الطلبة — تعليم النساء — برامج الدروس — أساليب التدريس وآدابه — فلسفة التربية عند العرب — كتب التربية عند العرب — الخاتمة .

فنوصي القراء باقتنائها لنفاسه وقيمتها ، ونتمنى للكتاب ما هو جدير به من الذبوع والرواج .

دائرة المعارف الإسلامية

يطيب لنا أن نتحدث الآن في غير إسهاب، وفي كثير من القصد عن «دائرة المعارف الإسلامية»، لا من حيث فكرتها التي سبق إلى تحقيقها جماعة من عمد المستشرقين حتى تمكنوا من إخراجها باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية إخراجاً ليس أدل على توفيقهم فيه من تلك الشهرة الواسعة التي تجاوزت بها تلك الدائرة حدود الصيت البعيد.

وإنما يطيب «المعرفة» أن نتحدث عنها من جانب آخر، ونعني به جانب الجراحة النادرة التي توفرت في طائفة خيرة من شبابنا المتقنين، حتى قدرت لهم أن ينصرفوا عن التفكير في كل شيء، إلا عن ترجمة هذه الدائرة إلى اللغة العربية وطبعها في طابع عربي مبين. هي جراحة نادرة حقاً، لأننا نحن الذين نساهم في الدعاية الواسعة للثقافة العربية الإسلامية قد استطعنا أن نقبض بأيدينا على الجرح، فعرّفنا أن الجمهور العربي قلما يعنى بالناحية الثقافية الرفيعة عنايته بكل ما هو تافه ضئيل، ولكن هذه الجماعة التي نشهد اليوم الذي تستطيع فيه أن تنفض أيديها من آخر جزء في هذه الموسوعة الكبرى، والتي أخرجت لنا أول بواكيرها من بضعة أيام—هي قبس من ضوء الشباب؛ لا يعنيهم أن يذوقوا ألوانا من الضيق، بقدر ما يعنيهم أن يتابعوا خطواتهم إلى النجاح والنور.

إن الثقافة العربية الإسلامية في حاجتها الماسة إلى أشباه هذه الموسوعات، لتحقيق بها أن تفاخر بأولئك الشبان المتحمسين، لأنهم يواجهون في ترجمة «الموسوعة الإسلامية» ضروبا من العقبات، يتصل بعضها بالجانب المادي—وهو ما نرجو وزارة المعارف والهيئات العامة أن تساهم فيه لتكفيهم مؤونة البحث عنه إلى حد بعيد—ويتصل بعضها بالجانب العلمي، وقد استمطعوا أن يجاوزوا هذه العقبات حين وقف بجانبهم جماعة من أعلام العلماء يردون أخطاء المستشرقين عن ترائنا الخالد. وإنه لقليل على هذا العمل الجريء أن نقصر القول فيه على كلمة تقرير أو حمد؛ فإن لنا لعوداً عاجلاً إلى ذلك الجزء الذي أصدرته اللجنة حتى نبجته في ضوء الدراسة المستفيضة؛ مغتبطين كثير الاغتباط حين نقول: إن هذا العمل الباقي على الزمن هو نتاج التعليم الجامعي في مصر. فأنت مغتبط دون ريب حين تعلم أن الأساتذة الذين توفروا على إخراج الموسوعة في ثوبها العربي القشيب: محمد ثابت الفندى، وأحمد الشنتناوى، وإبراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس، وكلهم من أنضج الثمرات التي أنتجتها دوحة الجامعة القينانة.

وكلهم ممن قرأ لهم قراء «المعرفة» صفحات منشورة على صفحاتها هي بواكير بحوثهم؛ لذلك لا نقف نذكرهم بالخبر والثناء، داعين الجمهور العربي المتقف إلى تقدير هذه الجهود الجبارة، والاقبال على عملها إقبالاً يضمن لهذه الجهود التوفيق والنجاح.

ونحب أن يعلم القراء أن فكرة هذا المشروع ليست طارئة في أذهان هؤلاء الشبان الناهضين، وإنما هي فكرة متمكنة من أذهانهم منذ سنين ثلاث. وقد فلتحو—وقتها ذلك—صاحب «المعرفة» في المساهمة معهم في العمل، لكن ظروفه الصحفية، ومشاغله الخاصة المتعددة لم تتح له شرف المساهمة في ذلك العمل الجليل. فليطمئن العالم الإسلامي كله إلى هذا العمل المبارك، ولتبدأ لجنة ترجمة الموسوعة بتأسيس سجله لها التاريخ العربي من ذكر حميد في خدمة الإسلام والمسلمين.

بَيْنَ الْمَعْرِفَةِ وَطَرِيقِهَا

عمل السكر الصناعى

(سورابايا . جاوه) السيد محمد سعيد بن مرتع - من اهتمدى من الناس إلى نبات السكر ، وطريقة صنعه ؟

(المعرفة) نرجو السيد توضيح سؤاله هذا ؟ وماذا يقصد من نبات السكر ؟ فإن هناك أنواعا عدة من النبات يستخرج منها السكر ، أمثال القصب والبنجر . ولعل حضرة السائل يقصد السؤال عن اهتمدى إلى عمل السكر الصناعى ، فإن كان ذلك ، وهو ما نظنه جوابنا عنه ما يلى :

تمكن الأستاذ « بيلى » أحد أساتذة جامعة ليفريول ، من تركيب السكر بالوسائل الصناعية فى عام ١٩١٥ ، معتمداً فى ذلك على نور الشمس الذى تستخدمه النباتات لتحويل غاز الكربون إلى أنواع السكر والنشاء المختلفة ، ثم جاء بعد ذلك الكيمائيان السويسريان : آمى ديكتا وفوجل ، فتمكنوا من تركيب السكر بطريقة تخالف طريقة بيلى . وقد فاز « ديكتا » بصنع « السكروس » ؛ وطريقته فى ذلك علمية بحتة لم يتيسر استخدامها تجارياً لكثرة نفقاتها .

فناء المادة

(الزقازيق . مصر) السيد عبدالله الغندور - هل المادة تفتى أم لا ؟ وما هى أقوال الفلاسفة فى ذلك وأهل الكلام الطبيعين وغيرهم مع أدلة كل باتساع ؟

(المعرفة) نلفت نظر حضرة السائل إلى المقال المنشور فى هذا الجزء ص ٩٧ ، ففيه الكفاية ؛ فإن لم يقتنع فليكتب إلينا بذلك حتى نوفى الموضوع حقه من الناحية الفلسفية والكلامية .

ملكة الشعر

(القاهرة . مصر) ع . ع . خفاجى - أنا مولع بقراءة البحوث الأدبية عامة ، والشعر خاصة ، وعندى ملكة شعرية بالسياسة لا تصنع فيها ، وأقوله فى أى معنى أشاء دون التقيد بعلم العروض الذى لما أدرسه بعد . وأريد أن أتعهد هذه الملكة بقرض الشعر الرصين الأخاذ ، فماذا يشير على صاحب « المعرفة » باتباعه ؟

(المعرفة) ننصحك بقراءة دواوين الشعر القديم والحديث ، وحفظ الجيد المختار منه ، خصوصاً ما كان منه موافقاً نزعتك وروحك ، ويجب أن تقرأ ما تقرأ فى إمعان نظر ، ودقة

فهم، ليسهل عليك هضمه، ولا تظنن هذا يسمن شعرك بمسح التقليد، بل هو يسوقك إلى الخلق والابتكار، ثم هو يصقل ملسكتك ويعودك سبك الشعر وحبك في قوالبه التي لما تدرسها بعد، فيغنيناك عن دراسة العروض.

على أنه لا بد لك من الاطلاع على بعض القصائد الذائعة لكبار الشعراء من الإنجليز والفرنسيين، أو الألمان إن كنت تعرف لغتهم. ثم يحسن بك بعد هذا أن ترسل ما تنظمه إلى زميلتنا «أبولو»، وهي المجلة الفنية الوحيدة لخدمة الشعر، وبقيننا أن صاحبها الفاضل الدكتور أبا شادي، لا يألو جهداً في مساعدتك وتشجيعك بنشر الجيد مما ترسله.

جواب الشرط

(يافا. فلسطين) عزت الجبالي - قرأت لأديب معروف لدى الجميع، وممن تناولوا بعض نواحي من شعر «شوقي» بالنقد والتحليل في إحدى المجلات الشهرية... تقدماً لبيت أمير الشعراء وهو:

إن رأيتني تميل عنى كأن لم يك بيني وبينها أشياء

فقال: «في البيت خطأ نحوي، لأن تميل جواب الشرط، فيجب أن تكون مجزومة»، فقل لنا رأيك في هذا يا صاحب «المعرفة»، فقد قرأنا لك مقالاً عن «شوقي» عرفنا منه مبلغ تقديرك للرجل وصلتك به.

(المعرفة) هذا نقد لا محل له من الأعراب، فقد قال ابن عقيل في شرح الألفية عند كلامه في باب الجوازم: إن الشرط إذا كان فعلاً ماضياً والجواب مضارعاً صح الجزم والرفع، وكلاهما حسن.

فليطمئن حضرة السائل، فإن ابن عقيل أصدق وأعلم بعلم النحو من الناقد على الأقل.

عتاب في سبيل الزواج

(اللاذقية - سوريا) أحد خدام الدين - لصاحب «المعرفة» في نفوس الشرقيين والعرب وعلماء الاستشراق منزلة يحسده عليها كثيرون. وأقسم بحق محمد أننا هنا في اللاذقية نأخذ ما يقوله مؤمنين مصدقين؛ لذلك دهشنا جداً لهذه الكبوة التي كباها في الجزء الماضي عند رده على السؤال الخاص بالزواج، فقد كان لا يرى للسائل أن يتزوج، مع الملاحظة بأن السائل قد دل عليه سؤاله، أي أنه رجل لا ينقصه شيء سوى استكمال نصف دينه الآخر. فهل هذا يجوز من صاحب «المعرفة» وهو من أعلام العروبة؟ ثم لماذا لم يتزوج؟ هل هو من الداعين إلى الإضراب عن الزواج؟ أنبئنا بالخبر اليقين، ثبت الله دينك.

(المعرفة) يا خدام الدين، بل يا حريصاً غيوراً عليه، لك شكرى على حسن ظنك بي، وتقديرى لغيرتك الدينية وغضبتك المضرة، واعتذارى من قبول ما نمتنى به من منزلة «أخجلت تواضعي». والآن تعال معي إلى كلمة سواء:

أنالـم أنكر فضل الزواج ولا وجوبه ؛ بل أنا من أول الداعين إليه ، والحائـن عليه ؛ وكل ما في المسألة أنني لم أتزوج ، فلم أعرف ما إذا كانت حالة الطالب في الزواج تعود عليه بالخير أم بغيره ، فاضطرت إلى عرض سؤاله على فئة من أصدقائنا المتزوجين ، وكلهم له قيمته العلمية والدينية والاجتماعية ، فأفتوا بالرأى الذي نشرناه ، ولكنني احتطت فقلت في آخر الجواب مايلي : « توكل على الله وتزوج - نزولا على حكم الأغلبية - ولا تحملني مسؤولية ذلك في المستقبل ، لأنك سألتني ما ليس لي به علم . »

فأى كبوة كبوتها في هذا ؟ ألم تقرأ قول القائل : « من قال لا أدري فقد أفتى بما يدري » ؟ فياسيدي يا خادم الدين اعد إلى ما كتبته في ذلك الشأن وتدبره جيداً ، فلن ترني إلا متشرفاً معك بخدمة الدين أيضاً ، دون أن أستر كما تستر ، ولكل وجهة هو موليها . أما لماذا لم أتزوج ، فعلى الرغم من أن هذا شيء خاص ، لا يحق لأي إنسان أن يسألني عنه ، إلا أنه نظراً لاختلاصك وغيبتك الدينية ، أصارحك القول بأنني أرجى زوج حتى أبلغ سنّاً معينة ، وأوفى لوقت ملائمتي يكون الاختيار فيه موفقاً سديداً ، وليس في هذا معنى تفضيل لعزوبة على الزواج على طول الخط . فهل اقتنعت ياسيدي ؟ أم ما تزال مصراً على رأيك ؟ أرجو أن تكون اقتنعت ، وإلا ذكرتني بقول المعري :

في	اللاذقية	فتنة	ما بين أحمد والمسيح
هذا	بناقوس	يدق	وذا بمثدنة يصيح
كل	يعزز	دينه	باليث شعري ما للصحيح ؟

صور بعض الكتاب

ترجو صاحب هذا السؤال أن يحضر إلى الإدارة ، أو يكتب إلينا موضحاً عنوانه لندرد على سؤاله .

مجموعات المعرفة

ترسل الإدارة - إلى من يطلب - مجموعة السنة الأولى بثمن قدرة ٥٠ قرشاً مصرياً لمصر والسودان و ٧٠ قرشاً للخارج . أما السنة الثانية فثمنها ٤٠ و ٦٠ قرشاً . ولا حق للطالب في هدايا مطلقاً ، إذ هي وقف على المشتركين .

كذلك ترسل الإدارة الأعداد الناقصة التي يطلبها راغبوها ، نظير ٤ قروش للعدد الواحد ، عدا العدد الأول ، فثمنه ١٠ قروش مصرية .

ويجب أن ترسل القيمة مقدماً : أذونات أو طوابع بريد ، أو حوالة على أحد المصارف المالية الموجود لها فرع بالقاهرة . ولا تدخل في هذا مصاريف التجليد .

عنوان المجلة (٤ شارع عبد العزيز بالقاهرة)

فهرس

الجزءين : الخامس والسادس من السنة الثالثة

صفحة

بقلم عبد العزيز الاسلامبولى	٤٠٥	فصل
للأستاذ محمد الهراوى	٤٠٧	تعريف أدباء مصر إلى الأقطار العربية
بقلم عبد العزيز الاسلامبولى	٤١٢	آتى يزنات ومذهب الثيوصوفية الحديثة
للأستاذ عبد العزيز البشرى	٤١٧	محمد صلى الله عليه وسلم
للأستاذ على الجارم	٤٢٣	حنين (قصيدة)
للأستاذ فؤاد حسنين على	٤٢٥	طرائف لغوية
للأستاذ السباعى السباعى	٤٣٠	إعجاز القرآن
بقلم عبد العزيز الاسلامبولى	٤٣٣	ثقافة مصر: أن تكون عربية أم فرعونية ؟
للأستاذ عبد الباقي بدران	٤٣٥	أوروبا كما رأيتها
للأستاذ فؤاد بك حمزه	٤٤٣	اللغة والشعر والنثر في جزيرة العرب
للأستاذ مرسى شاكر الطنطاوى	٤٤٨	نظرات (شعر)
للأستاذ على حسن عبد القادر	٤٤٩	تاريخ العقيدة الإسلامية قبل المعتزلة
للأنسة زينب الحسكيم	٤٥٥	مدام ماريامنتسورى
للأستاذ محمد على الحوماني	٤٥٧	الحياة وكيف تتكون
للأستاذ رشدي ميخائيل السيسى	٤٦٠	أثر النهضة في الأدب بالانجلترا
للأستاذ محمد ثابت النندى	٤٦٥	ابن سينا وفلسفته
للأستاذ مصطفى جواد	٤٧٣	مهديو بنى العباس
للدكتور على مظهر	٤٧٦	كيف بدأ ديوان التفتيش ؟
للسيد عبد الله بن حسن بلفقيه	٤٨١	حضر موت وعهدا بالنحلة الاباضية
لنيقولا جوجول	٤٨٨	قصة الأنف (من القصص الروسى)
بقلم محمد جمال الدين النندى	٤٩٧	فناء عالم المادة
بقلم محمد إبراهيم صالح	٥٠٠	المدنية الحديثة في قفص الاتهام
للأستاذ محمد الهراوى	٥٠٤	الضيف (قصيدة)
بقلم محمد السيد المويلحى	٥٠٥	سمير (قصة مصرية)
بقلم أحمد متولى كيوان	٥١٣	بطلان المذهب الأحمدى

أبواب المعرفة

٥١٦	ملكة المرأة والبيت
٥٢٥	بين المعرفة وقراءها

٥١٢	بين المتناظرين
٥٢٢	مكتبة المعرفة